20 me. année No 993

Le Caire 6 — 14 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٧١ — ١٤ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

إلى النائمين فى العالم الاسلامى

للأستاذ سيد قطب

نحن فى مصر مشغولون لا نفيق ؛ ليس لدينا وقت للتفكير فيما يدبره لنا اليهود بمعاونة العالم الصليبي . نحن مشغولون بالانقلابات الوزارية ، مشغولون كذلك بالانتخابات : هل تكون بالقائمة أم بالوزن أم بالكيل ؟ مشغولون بحكاية الاستثناءات ، هل ترد لأصحابها أم لا ترد ؟ ومن منهم ترد إليه استثناءاته ويزاد ، ومن منهم يؤخذ منه ما معه . .

وهى أمور — كما ترى — من الأهمية بحيث لا تترك وقتا ولا جهدا للتفكير فى أى شئ آخر

وفى هذا الوقت تقترب إسرائيل يوما بعد يوم من حدود سينا المصرية ، المصرية اسما وإن كانت مصر لا تعرف منها شيئا ، لأن السياسة اليهودية الإنجليزية عزلتها عن مصر طوال فترة الاحتلال ، ولم يكن هذا العزل شيئا عارضا ولا أمرا غير مقصود ، إنما كان وفقا لسياسة بعيدة الغور ، تتفق مع أطماع اليهودية العالمية

إن شبه جزيرة سينا يشتمل على أقدس مقدسات اليهود . فمن جانب الطور الأيمن نودى موسى ، وعليه تلقى الألواح ، وبه صخرة العهد . وسينا هى أرض التيه . . لذلك كله ترف حول سينا أطماع اليهود التاريخية ، ويربى أبناؤهم على عقيدة أن جزيرة سينا هى قلب مملكتهم الموعودة ، وما فلسطين إلا جزءا صغيرا من تلك المملكة التى تضم سينا وفلسطين وشرق الأردن وقسما من سورية والعراق حتى الرافدين

وعلى هذا الأساس هم يعملون منذ أجيال ، وفى سنة ١٩٠٦ وفدت على مصر لجنة إنجليزية يهودية قضت فى سينا خمس سنوات كاملة ، تفحص عن كل شئ فيها ، وتنقب عن المياه الجوفية والأراضى الصالحة للزراعة ، والمعادن والطبيعة الجيولوجية بصفة عامة ، والمناخ والطرق والأهمية الاستراتيجية ، وعادت ومعها تقرير شامل يثبت أن سينا صالحة لإسكان مليون نفس وإعاشتهم

وقد عنى الإنجليز بعزل سينا عن كل نفوذ للحكومة المصرية ، وكان محافظ سيناء «جارفس» الإنجليزى هو حارس شبه الجزيرة أن تعتد إليها عين مصرية ؛ وأفهموا المصريين أن هذه الصحراء لا أمل فيها ولا ضرورة للاهتمام بها ، لأن المياه الجوفية فيها لا تصلح لخلق حياة مستقرة ، وكان هذا كله لحساب اليهود الذين يسيرون دفة بريطانيا

ومن المعروف أن جيش إسرائيل عندما تجاوز الحدود المصرية سنة ١٩٤٨ ، كان أول عمل لرجاله عندما وطئت أقدامهم رمال الصحراء بعد رفح أن ترجلوا جميعا ، وقبلوا تراب الأرض ، وأقاموا الصلاة ، ثم تابعوا خطواتهم فى الأرض المقدسة !

أما اليوم فهم يقيمون على الحدود استحكامات قوية ،

ويسكنون فى أرضها الفتيان الفدائيين بزوجاتهم وأولادهم ، يقطعونهم الأرض ، ويبنون لهم مساكنهم تحتها — لا فوقها — ويمدونهم بالمال ليستصلحوها

وأمامهم ألوف الأميال الربعة فى الشقة المصرية خلاء ! فإذا أرادوا هم أن يزحفوا فسيزحفون من استحكاماتهم على الحدود ووراءهم العار . وإذا أردنا نحن — حتى أن ندافع — وقفت جيوشنا ووراءها هذه الألوف من الأميال القاحلة الجرداء الخاوية من السكان

لماذا ؟ لأننا نحن مشغولون . مشغولون بالانقلابات الوزارية . مشغولون بالانتخابات هل تكون بالقائمة أم بغير القائمة ؟ مشغولون بالاستثناءات ومن ترد إليهم استثناءاتهم ومن لا ترد ؟ مشغولون بهذه الأمور الكبار التى لا يجوز أن يلهينا عنها خطر اليهود أو غير اليهود ، وماتكون سينا وهى صحراء جرداء إلى جانب كراسى الوزارة الفخمة ومقاعدها الوثيرة ، وقاعاتها المكيفة الهواء !

وفجأة — وفى هذه الظروف — تطلع علينا نغمة لا يدرى مبعثها إلا الله ، والراسخون فى العلم من اليهود والصليبيين . نغمة تحديد النسل .. لماذا ؟ لأن مصر تضيق بسكانها ، ولأن موارد الرزق لاتنمو بنسبة نمو السكان ، ولأن الأرض الزراعية محدودة

جميل ! نحن معكم فى أنه حين تعجز موارد البلد عن إعالة سكانه يجب أن يقف نمو هؤلاء السكان . ولكن حين تكون فى موارد هذا البلد بقية فيجب أن يستمر سكانه فى التزايد ، لأن نمو السكان فى هذه الحالة ضمانة من ضمانات البقاء أمام تكتل الأعداء . وضمانة من ضمانات القوة فى المجال الدولى . لأن الأمم التى تريد أن يكون لها وزن فى الكتلة الدولية تحاول كلها زيادة سكانها . وأمامنا ألمانيا وإيطاليا وروسيا واليابان . بل أمامنا إسرائيل الصغيرة وهى تحاول مضاعفة سكانها على الرغم من كل ما يشاع من الأزمة الاقتصادية المسكة فيها بالخناق !

فهل استنفدت مصر وسائلها لزيادة مرافقها ؟ إن فى مصر من الموارد والمرافق ما يكفى لإعاشة ضعف سكانها كما يقول بعض الخبراء ، وأمامنا مثل واحد فى سينا ، فهى كافية لإعاشة مليون من الناس ، لو وجدت من يعمرها ويرد إليها الحياة

فلماذا يتجه التفكير أول ما يتجه إلى وقف نمو السكان ؟

ومرة أخرى نكرر ، أننا لا نعارض — بل نحتم — وقف نمو السكان حين يثبت أن مرافق البلاد غير قابلة للنماء . أما حين يثبت أنها قابلة لأن تتضاعف ، فإنه يكون من الحق ، أو الاتجاه المريب ، أن تثور مثل هذه النغمة . لأن معناها وقف نمو البلاد لامن ناحية تعدادها فحسب ، ولكن كذلك من ناحية مرافقها . فضغط السكان قد ينبه الغافلين إلى محاولة الاستغلال الكامل لمرافق البلاد

على أن حكاية تحديد النسل أو زيادته لا تخضع لحسن الحظ ، لهذه الأفكار السطحية التى لا تحاول التعمق فى دراسة الأمور . إن الحرص على زيادة النسل فى الريف ضرورة اقتصادية وضرورة اجتماعية . ولا عبرة بالمدن لأنها على هامش حياة الوطن !

إن الذى لا أولاد له فى الريف يعيش فى مستوى اقتصادى أقل من مستوى أبى الأولاد . كما أنه أقل هيبة وحصانة على الاعتداء ! وهذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية من القوة بحيث لاتستمع لنصائح السطحيين !

ولن يتغير حكم هذه العوامل ويخف ضغطها إلا حين ينتشر التعليم ، ويصبح هناك مورد آخر للرزق على العمل فى الأرض ، وقوة أخرى للحماية غير قوة العضلات ! وعندئذ فقط يستطيع الشعب كذلك أن يستعيض من قوة العدد قوة العقل ، ليقف فى وجوه أعدائه المحيطين به

إن الفطرة تتصرف فى هذا أحكم مما يتصرف السطحيون الذين يحسبون أنفسهم « مثقفين ! » فإذا عز على حضراتهم أن يدرسوا الأمور دراسة حقيقية ، فلا أقل من أن يدعوا الفطرة تعمل بحكمتها ويقنعونا عن حكمتهم الذهبية ، المستمدة من الدسائس اليهودية والصليبية !

وبعد فنعود إلى استصراخ النائمين فى العالم الإسلامى ليصحوا على مطامع الصهيونيين فى سيناء . فإن مصر مشغولة الآن ، مشغولة بالانقلابات الوزارية . مشغولة بالانتخابات وهل تكون بالقائمة أو بالوزن والكيل . مشغولة بالاستثناءات وغير الاستثناءات . وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه . والأمم يقدم . ولا حول ولا قوة إلا بالله

سيد قطب

تبعات السينما
فى حياتنا الاجتماعية

للأستاذ أنور الجندى

استفاضت المجلات الأوربية فى الأسابيع الأخيرة فى الحديث عن السينما والأفلام التى تعرضها ، وكان الحديث هذه المرة جد غاية الجد ، انطوى على تقدير ومراجعة العوامل التى تصيب المجتمع نتيجة لموضوعات هذه الأفلام

وكانت الصحف الفرنسية الأسبوعية أكثر الصحف شغلا بهذه الآثار الاجتماعية والأخلاقية ، وتطرق الحديث إلى الشباب والشابات قبل سن المراهقة وإبانها ، ومدى أثر الأفلام وموضوعاتها فى شخصيته وكيانه ، والنتائج الهامة المترتبة على ذلك فى محيط الحياة العامة

وكانت إحدى المجلات الفرنسية قد قامت باستفتاء ضخم منذ عدة شهور فى موضوع « السينما والشباب » ، وهل تدفع إلى المعصية والخطيئة والإجرام

وقدمت صحف أخرى إحصاءات ظهر منها أن ٩٠ ٪ من الأفلام المعروضة تنطوى قصصها على القتل والإجرام والاختلاس والإغواء والزنا والنصب والاحتيال

وبذلك أصبح موضوع النتائج الاجتماعية للسينما والأفلام من الموضوعات الجديرة بالاهتمام فى مصر ، بعد أن لقيت مثل هذه الرعاية فى البلاد الأوربية التى ابتدعت هذا الفن

ولا شك أننا فى الشرق قد بدأنا نحس مدى الخطر الضخم الذى يجتاح المجتمع نتيجة للأفلام المعروضة ، والتى لا هدف لها ولا سياسة ثابتة توجهها

وكان من الضرورى — والفيلم جزء من الثقافة العالمية — أن يشغل أمره بال المصلحين والكتاب والباحثين

ولست أشك لحظة فى أن عنصر التسلية والمتعة ، والخروج من النفس والجد ، هو أبرز ما يهدف إليه القائمون على العمل السينمائى ، غير أن ذلك لا يحول مطلقا دون تقدير المدى الذى تستطيع أن تهضمه عقليات المراهقين والشبان والفتيات ، مما له أبعد الأثر فى تكوين السلوك الفردى والعقد النفسية

وإذا كانت الشاشة تستجيب لرغبات الجماهير — فى أغلب الأحيان — إلا أنه من الممكن اليسير أن يحاط ذلك بقيود تهدف إلى المحافظة على قواعد الخلق وتقاليد المجتمع

ولسنا نطمع فى أن تكون الشاشة موجهة مؤثرة مناحية عن المثل العليا فى الخلق ، أو عن الأمجاد الرفيعة المستمدة من التاريخ والماضى ، ولكننا نريدها على أقل تقدير كريمة وطنية بحيث لا تطغى عليها الناحية المادية التجارية التى يحرص عليها الممولون ، فتكون هدفها الأول والأخير

ويقينى أن كتابة القصة السينمائية وحبكتها الفنية ، وبراعة عرضها ، كل هذا كفيل بأن يكسبها أكبر عدد من المعجبين ، ويدر على أصحابها الربح بصرف النظر عن العوامل المصطنعة التى يغرى بها فريق قليل من النظارة

وإنا لنرجو أن تنال هذه الصيحات الأوربية اهتمام المشرفين على السينما فى مصر فيحرصوا على أن يتفادوا الآثار النفسية الإجرامية أو الآثمة ، وأن يحولوا دون كل ما من شأنه إبراز معنى الغواية ، وهى خطيرة الأثر على الشاب والشابة المراهقين

وإنا لنرجو أن يتسع الميدان أمام العاملين ، فلا يقصر عن المعانى الضيقة والأوهام والشهوات بعد أن خطت الأفلام الغربية خطوات واسعة فى مضمار الثقافة والتوجيه ، وعرفت بأنها جميعها بلا استثناء تحمل فكرة معينة مدروسة

وإذا كان الأوربيون اليوم يدرسون تبعات السينما وآثارها الخطيرة فى المجتمع ، فنحن أولى — ونحن نجرى وراءهم دائما — أن نأخذ منهم هذه الخطوة دون أن نخشى أن نتهم بالرجعية أو القصور

والسينمائى الناجح كالطبيب الماهر ، يعرض الداء ويصف الدواء ، ويستطيع أن يحشد عوامل الإيحاء والسيكولوجيا والفن فى تحويل نفسية المريض وإقناعه

ولا أظن أننا فى كبير حاجة إلى هذه الاستعراضات الراقصة

التي يتمسك بها المنتجون ، وقد ظهرت أفلام دون أن تحشر هذه المناظر المبتذلة ، فنجحت نجاحا منقطع النظير ، وقيل عنها في الخارج إنها رفعت رأس مصر عاليا ، بعد أن كانت مصر متهمة بإنتاج الألوان الفنية وحدها

وجدير بالشاشة في مصر والشرق أن تحرص على عرض أمجاد الشرق ومحاسنه ، ليكون ذلك — على الأقل — ردا على ما تحرص عليه الأفلام الغربية من تشويه تاريخ الشرق ومسخه ، ووضعه في صورة من ألف ليلة وليلة . .

فطالما عرضت الأفلام الغربية للشرق على نحو من التعصب والهوى ، وهي بما لها من قوة التوزيع والانتشار استطاعت أن تقنع الكثيرين بأن هذه هي حقيقة الشرق ، ونحن نستطيع — وفي أيدينا الوسائل ميسرة — أن نواجه هذه الحملة بتصوير صحيح لأمجادنا وقضايانا ، من شأنه أن يضع الحقائق في نصابها

ومما هو جدير بالذكر أن الأمم المتحدة كانت قد طلبت من مصر في العام الماضي موافاتها ببيانات عن أفلام تنتفع بها لجنة التربية والعلوم الثقافية للهيئة ، لتوزيعها بعد اعتمادها على سائر الدول الأعضاء في العالم كله.

وقد حدد هذا الطلب بأفلام تصلح للعرض على الطلبة في المدارس ، وعلى الجمهور المثقف ، مما يعالج المشكلات العالمية ، من سياسية واجتماعية واقتصادية ، ومن موضوعات صحية ، وأساليب وقائية ، ومن رعاية للطفل إلى نظام المنزل ، إلى مزارع نموذجية لتربية الحيوانات ، إلى مصايد الأسماك ، ثم في مسائل التغذية واختيار الأطعمة ، وطريقة تحضيرها وحفظها . . الخ

ومع الأسف الشديد أن السينما المصرية لم تجد ما تقدمه لهذه اللجنة ، لأننا لازلنا قاصرين عن بلوغ هذا الشوط . .

فالسينما هي إحدى المدارس الثلاث الخطيرة الأثر ، البعيدة المدى في حياة الشعوب ، وهي لذلك جديرة بأن تحاط بالكثير من العناية ، وعن طريقها يمكن إصلاح المجتمع وتوجيهه خير وجهة ، بعد أن تتغلغل دور السينما في الأحياء وفي البلاد وفي القرى ، حتى يمكن القول بأن ٩٠٪ من السكان يحضرونها ، ومعنى هذا أن جزءاً ضخما من مواردنا المالية ، وخاصة موارد العمال والطبقات الوسطى ، وهي موارد محدودة جدا تذهب إلى هذا الباب ، ولما كنا نقاسي في حياتنا العاملة العامة ضغطا وضيقا ، فإننا نجد في السينما بابا من أبواب التسلية ، وفرجة من فرج تصريف العوامل النفسية المكبوتة ، ولذلك فنحن في مثل هذه الحالة من الاستعداد للتلقي ، نتأثر إلى أبعد حد بما يقدم لنا لاسيما الفتيات في سن مبكرة ، والأطفال والشباب إبان المراهقة ، ولعلنا نلحظ بوضوح تلك الحركات التقليدية الواضحة في تصرفات النشء الصغار ، والتي هي منقولة نقلا كاملا عن حركات الممثلين والممثلات

ولهذه العوامل مجتمعة كان من حقنا على المصلحين أن يولوا مدرسة السينما عناية كبرى بحيث لا يقضي جانب التسلية والترفيه على روحنا المعنوية أو شخصيتنا الحقيقية —

أنور الجندي

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمي الواقعي

لشاعر فرنسا الخالد

* لامرتين *

ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

٤ ـ إندونيسيا

الحياة الاقتصادية

الاستاذ أبو الفتوح عطيفة

الاقتصاد والاستعمار :

لاشك ان الدافع الأول إلى الاستعمار هو العامل الاقتصادي. فالدول الاستعمارية إنما تقصد بوضع يدها على المستعمرات إلى أن تضمن لنفسها إنتاج هذه البلاد سواء أكان زراعيا أم حيوانيا أم معدنيا ، كما أنها تضمن أن تكون هذه المستعمرات أسواقا لتصريف مصنوعاتها . وكل هذا يحقق رفاهية الشعب المستعمر ورخاءه ، وهكذا يسعد بعض الشعوب ويشقى البعض الآخر

تلك هي قصة الاستعمار منذ نشأته ، وستظل كذلك مابقى ! إنه الدليل الحي على ظلم الإنسان للانسان وجشعه وطمعه وأنانيته .

ولم تختلف قصة الاستعمار الهولندي لإندونيسيا عن غيرها من القصص ، فقد ظل الهولنديون يدأبون على وضع يدهم على منتجات إندونيسيا وخيراتها وأرضها وعلى تسخير الإندونيسيين في العمل والإنتاج حتى تم لهم ذلك ، فأصبحوا يسيطرون تماما على الاقتصاد الإندونيسي وجنت هولندا « بقاله أوربا » وشبعها من وراء ذلك أرباحا طائلة وسعد الهولنديون بينما كان الإندونيسيون لايجدون القوت ! وكثيرا ماستخدم الهولنديون القسوة في دفع الإندونيسيين إلى العمل ، ولما وجه إليهم اللوم قالوا إنا نفعل ذلك لأن فيه صلاح الإندونيسيين ! وهذا هو الاستعمار : شر وبلاء وفقر ومذلة !

وقد كانت الشركة الهولندية الشرقية أول محتكر لإندونيسيا ولكن منذ ١٨٧٠ سمح للرأسماليين الهولنديين باستثمار أموالهم في إندونيسيا فامتلأت البلاد بشركاتهم ومؤسساتهم ، وعاد الربح الوفير على الشركات الهولندية والهولنديين

راع الدول الكبرى ماتجنيه هولندا من أرباح فطلبت أن يسمح لرعاياها باستثمار رؤوس أموالهم في إندونيسيا ، واضطرت هولندا إلى اتباع سياسة « الباب المفتوح » فتدفقت رءوس الأموال الأجنبية من هولندية وإنجليزية وأمريكية وفرنسية وألمانية ويابانية على إندونيسيا .

وقال المستعمرون إنهم يعملون على إنماء ثروة إندونيسيا . ربما كان صحيحا ، ولكن هل أدى ذلك إلى تحسين حال الإندونيسيين ورفاهيتهم ؟ والجواب على ذلك : لا

صحيح أن إندونيسيا قد أصبحت قطرا غنيا عظيم الإنتاج يعج بالمصانع والبنوك ، وتنتشر فيه الطرق الحديدية والسيارات ، وتكثر بموانيه السفن والبواخر ، ولكن الشعب الإندونيسي كان ينظر إلى تلك الثروة بكل حسرة لما أصابه من الحرمان والفقر المدقع . يقول الأستاذ «هلفرسن» الهولندي عندما ودع إندونيسيا : آه يا إندونيسيا الغنية ... ولكن شعبك في عوز وفقر مدقع ! ويقول الدكتور ليفرت « إن الأجور التي يتقاضاها العمال الإندونيسيون لاتزيد عما يسد الرمق » .

على أن هذا البؤس كان مما دفع الإندونيسيين إلى أن ينهضوا وإلى أن يحاولوا رفع هذا الضغط الاقتصادي عن كاهلهم وإلى أن يعملوا على تحسين حالتهم الاقتصادية ، وفي النهاية إلى أن يعملوا على تحرير وطنهم من ربقة الاستعمار وإعادة الاستقلال إليه . وهكذا استيقظت إندونيسيا من سباتها

وكانت الشركة التجارية الإندونيسية التي تأسست ١٩٠٩ أول حجر في هذا البناء الشامخ وأصبحت الجمعيات والأحزاب الإندونيسية تعنى بالتحرر الاقتصادي للاندونيسيين كما تعنى بالتحرر السياسي ومن ثم كثرت الشركات الوطنية التجارية والصناعية

وفي ١٩٣٨ تأسست شركة « الملاحة والتجارة » للجمعية المحمدية . وقد كانت تهتم بتيسير نقل الحجاج إلى مكة ، وساعدت كثيراً على تقدم حركة النقل التجاري الإندونيسية .

ثم أنشىء « البنك الإسلامي » تحت إشراف الجمعية المحمدية وبمجهود المرحوم الدكتور ستدمو قام في سورابايا « البنك الإندونيسي الوطني » .

وهكذا سارت حركة التحرير الاقتصادي جنبا إلى جنب

مع حركة التحرير السياسي ، وفي ١٩٤٥ تحقق استقلال إندونيسيا ونحن نرجو لشعبها الرفاهية والقوة في ظل الاستقلال

قصة جوز الهند :

شجرة جوز الهندى زينة المناطق الحارة وحلية الناظر الطبيعية في الغابة ، تمتاز بارتفاع هامتها وباعتدال جذعها النحيل وبتجرد ساقها من كل فرع أو غصن ، وتتوج هامتها أوراقها الوارفة تتموج وتتمايل في الفضاء تحت ضربات الرياح فيسمع لحركاتها صوت يشبه حفيف أجنحة الحمائم الطائرة .

وإندونيسيا من أكثر الدول إنتاجا لجوز الهند فهي تنتج ٢٥٪ من المحصول العالمي وتصدر منه مايزيد على ٥٠٠ر٠٠٠ طن سنويا .

وللجوز الهندى منافع جمة : فبداخله شراب لذيذ الطعم ويحيط به لب ناصع البياض هو غذاء شهي . وللجوز الهندى غلاف صلب يمكن استخدامه كوعاء وتغطيه ألياف يمكن صناعة الحبال منها وكذلك تستخدم في صباغة الأكلة والمكانس أما السعف والأوراق فتستخدم وقودا وأما الجذع فيعتبر من أقوى خشب العمارة ويتخذ لبناء البيوت والجسور .

ولشجرة جوز الهند قصة طريفة ترويها الأساطير الإندونيسية .

زعموا أنه كان يعيش في إندونيسيا في قديم الزمان ملك عظيم الشأن يخضع لسلطانه جميع الملوك المعاصرين . وكان لهذا الملك طاهية قديرة تتفنن في صناعة الأطعمة الشهية والمأكولات اللذيذة ولا يفوقها أحد في براعتها أو مهارتها . وكان الملك يخصها بالمزيد ببراعتها ويشملها دائما بعطفه ورعايته وهداياه وجوائزه .

ولقدرتها الفائقة بعث الملوك بطهاتهم إلى قصر الملك ليأخذوا عن الطاهية فنها ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى السر وظل فنها قاصرا عليها

وذات يوم كانت الطاهية مشغولة بإعداد طعام الملك فغافلها أحد ندمائه ودخل المطبخ خلسة واختفى في ركن من أركانه ، وظل يراقبها لكي يقف على سرها

وكانت الطاهية تحمل على ذراعها طفلها الرضيع ، وسرعان ما وقف النديم مبهوتا مدهوشا . لقد رأى الطاهية تحلب من ثديها لبنا صبته في الإناء الذي يفور فيه الطعام المهيأ للملك . عرف النديم السر فتسلل من مخبئه وذهب توا إلى الملك وأوقفه على الأمر

ثار الملك وغضب على طاهيته التي تجرأت على أن تطعمه من لبن ثديها القذر ، ولم ير سوى الموت عقابا لها على جريمتها ، وأمر بتنفيذ حكم الإعدام فورا ولم يشفع لديه بكاؤها ولا توسلاتها

عرفت المسكينة أنها هالكة لامحالة فدعت الإله في ضراعة أن يحمي طفلها الوحيد بعد موتها وسألته أن يرد جسمها بعد دفنه إلى شيء يستطيع أن يقوم لابنها ولأعقابه بأجل الخدمات ودفنت جثتها في موضع بداخل الغابة ، ولم تمض أيام على موت الطاهية حتى شوهد فوق قبرها نبات ينمو ويترعرع في سرعة مدهشة ، ومالبث أن أصبح شجرة عالية ذات ثمار كبيرة مستديرة ! إن الوجود قد انشق عن أول شجرة للجوز الهندى أو النارجيل

لقد تحقق جميع ما طلبته الطاهية : إن جسمها قد تحول إلى شجرة جمة المنافع ، فثمرتها عظيمة ، في جوفها ماء ليس كالماء ! تجده نقيا صافيا فيه حلاوة الرحيق وأنفاس النبيذ لذة للشاربين ومطفئا لأوار الظامئين . كم من مسافر أطفأ ظمأه شراب جوز الهند !

وكم من جائع ناله الشبع من لب جوز الهند ! .

وكم للجوز الهندى من فوائد (راجع ماسبق) !

وهكذا استجاب الإله لدعاء الطاهية فصنع من جسمها شجرة عظيمة النفع لأبنائها وأحفادها .

وتمضي الأسطورة فتقول : إن روح الطاهية تطوف بأشجار النارجيل ليلا تودع أحفادها وكأنها تقول

نم أيها الطفل الحبيب نم

فإن أعمالي قد انتهت

وقد أجهدت أنت نفسك كثيراً في اللعب

والنهار قد ولى وبلغ نهايته

هلن كلـــر

العمياء الصماء البكماء

للأستاذ نقولا الحـــداد

بقية ما نشر في العدد الماضي

قالت مس سوليفان في أحد تقاريرها . إن لهلن ذاكرة عجيبة لا تصدق . كنا ذات يوم في فندق في بلدة تدعى هوسفيل وتجمع النزول حولنا لكي يروا تلك المرأة العجيبة . كانوا نحو عشرين شخصاً . فقدموا لهلن هدايا مختلفة . وقدموا أنفسهم إليها بأسمائهم . وكانت تصافح كل واحد منهم وكنت أنقل لها اسمه على كفها . وفي اليوم التالي تجمعوا حولها . وكانت تصافح كل واحد منهم وتذكر لي اسمه على كفي

هذا هو العجب العجاب ! من يصدق ؟ المعلمة لا تكذب إذ لا غرض لها من الكذب في تقريرها . وكان كل واحد من نزلاء الفندق يقول كلمة من إعجابه . فقال أحدهم : ما رأيت في حياتي وجهاً يشع بهاء كهذا الوجه كأنها ليست عمياء أو خرساء وقال آخر : أود أن أهب كل ما أملك وأن تكون هذه الفتاة دائماً إلى جانبي »

والليل قد أرخى سدوله
فنم أيها الطفل العزيز نم
وأغمض جفونك أيها الحبيب
وخذ قسطك من الراحة
كيما تشب قويا مفتولا
واتخذ من صدري فراشا وثيرا
وأغمض جفونك أيها الحبيب

قيحت بقية

أبو الفتوح عطيفة

روت مس سوليفان في أحد تقاريرها أن هلن كانت شديدة الإحساس العقلي لدرجة لا تتصور . كانت تدرك عاطفة كل شخص تلمسه أو تلمس يده أو تتصل به بأية طريقة . فتعلم هل هو مرح أو غاضب أو مستاء أو يائس أو آمل ففي ذات يوم رمى ولد « فرقيعة » صغيرة أمام أمها فما جفلت فسألتها هلن في الحال « لم خفت » ؟ (ألا يخفى أنها كانت قابضة على يد أمها كعادتها حين تسير مع أي شخص) . وفي ذات يوم كانت هلن ومعلمتها سائرتين في الشارع ، فرأت المعلمة شرطيا قابضاً على غلام يمضي به إلى دائرة البوليس ، فقالت لها هلن : « ماذا تشاهدين ؟ » كأنها أحست أن المعلمة أشفقت على الغلام

وفي ذات يوم دعا داع أن تدخلا إلى مقبرة . قالت سوليفان رأيت هلن قد انقبضت كأنها أحست بشيء كئيب مع أنها حتى ذلك الحين لم تكن تعرف شيئاً عن الموت ، بل عرفته لأنها في ذات يوم عرفت أن حصاناً انكسرت رجله في حادث . فكانت تريد أن تزوره كل يوم . وكانت تشعر أنه يئن من الألم ، وفي ذات يوم ألحت في الذهاب إليه فقالت لها إنه مات ودفن تحت التراب . فسألت : كيف مات ؟ هل مات كما تموت البطة التي يصطادها أبوها بالبندقية ؟ وكانت تعلم البطة الميتة وهي تعرف كيف تكون البطة الحية . فقالت لها المعلمة : نعم وقد رموه بالرصاص كي يخلصوه من الألم إذ لم يبق أمل بشفائه . وهكذا عرفت الموت

وفيما كانت في المقبرة كانت تتحسس كل حجر وكل رخامة إلى أن صادفت اسم فلورنس محفوراً على رخامة قبر . فسألت : « أين فلورنس الآن ؟ هل بكيت عليها ؟ من وضعها في الحفرة الكبيرة ؟ أظنها ماتت جدا . وكانت المعلمة تتجنب أن تجاوب على أسئلتها . وإنما أفهمتها معنى الموت

وكانت هلن في حداثتها رقيقة الشعور جدا . ففي ذات يوم ألبستها أمها معطفاً أنيقاً ، وكانت فرحة به جدا ، وقالت لها أمها « يوجد غلام أعمى فقير ليس له مثل هذا المعطف . فما قولك ؟ فما كان منها إلا أن جعلت تخلع المعطف لكي تعطيه للغلام .. فردته أمها عليها وقالت سأصنع معطفا غيره للغلام

وكانت رقيقة الإحساس نحو جميع الأحياء الذين حولها . وكانت إذا ركبت المركبة إلى جنب السائق ترجو منه أن لا يقرع الحصان بالقرعة فتقول له بلغتها . « حرام ! الحصان يبكي » .

كانت في أوقات الفراغ تخيط أو تطرز . ولكنها كانت تقرأ كثيرا ، وفي قراءتها تمر أصابع يسراها على الخط العميائي وبأصابع اليمنى تهجي الكلمات ، وحركات يدها سريعة جدا

وفي ذات يوم علمها ابن عمها أبجدية التلغراف فتعلمتها بسرعة وكانت تخاطب بها كل من يعرفها بنقر أصابعها على كفه . عجيب أنها تفهم بسرعة ولا تنسى ما تعرفه

والغريب أنها تعلمت السباحة والغوص ، وكانت تسوق المركبة ذات الحصانين . وبالطبع كانت معلمتها إلى جنبها لتقيها من الزيفان والحصان يقيها منه لأنه يرى الطريق وهي تلقي له اللجام على الغارب

وكانت كل أمنيتها أن تدخل كلية ردكليف لتدرس مع المبصرين والسامعين العلوم العليا ، ولما دخلت الكلية انتظمها الصف الأول نائبة رئيس الصف ! والصف أربع سنين دراسة أعلاها الرابع

جميع كتب الدراسة والتعليم مكتوبة للعميان بالحروف البارزة . وللعميان آلات كتابية (تيب ريتر) يستعملونها . وكان لهلن جميع الكتب العميانية ولها آلة كاتبة خاصة . ومس سوليفان لا تفارقها فتساعدها في كل ظرف من ظروف دراستها

في الكلية درست النحو وآداب اللغة الإنكليزية . ودرست اللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة اللاتينية واليونانية . ولما كان للعميان جميع الكتب المهمة في هذه اللغات بالحروف تيسر لهلن أن تقرأ بعض إلياذة هوميروس وبعض شكسبير . وأهم مؤلفات الألمان والفرنسيين

والغريب أنها وهي في الكلية كانت تهتم بإنشاء كلية لتعليم العمي والبكم . وبذلت جهداً في هذا السبيل وألفت لجنة لهذا الغرض منها معلمتها وأمها وبعض موظفي مدرسة العميان التي درست فيها ، وهي تعترف دائماً بأن مس سوليفان صاحبة الفضل الأعظم عليها وأنها أمها الثانية ، ثم إنها جعلت تسعى لتحويل هذا المشروع فكتبت للكثيرين أن يمدوه بالمال . فلا بدع أن تراها وهي في سياحتها في الشرق توجه كل اهتمامها إلى مدارس العميان والسعي لمساعدتها

وانتهت هلن من كلية ردكليف بنجاح فائق وأخذت مع المبصرين والسامعين درجة بكلوريوس علوم . وما قنعت بهذا بل طمحت إلى الجامعة لكي تحصل على دكتوراه في العلوم ثم دكتوراه في الفلسفة

ولما بلغت العشرين من العمر وكانت قد انتهت من الدرس شرعت تكتب تاريخ حياتها الذي طبع في سنة ١٩٠٣ أول مرة ثم طبع سنة ١٩٣٢ مرة ثانية

وكانت مجلة السيدات Ladies home Journal تنشر مقالاتها وجميع أخبارها وأخبار مس سوليفان عنها

وبكل أسف ليس في كتاب تاريخ حياتها الذي نحن بصدده شيء عن حياتها بعد كتابة كتابها الأول . وإنما هناك كتاب آخر بعنوان Mid Sheom يستوفي بقية حياتها في الجامعة وبعدها . وأتأسف أنه لم يتيسر لي الحصول عليه

ولمس سوليفان فصل طويل في مسائل هلن من الوجود والله والطبيعة ، فكانت مس سوليفان تسوف الأجوبة على هذه الأسئلة إلى أن تنتهي هلن من الجامعة ودرس الفلسفة

هذه هي هلن كار التي هي كتلة عقل في دماغ طري مرن ، وكتلة أعصاب في بدن شديدة الحساسة ما عدا أعصاب السمع والبصر . والذين رأوها في مصر دهشوا من مقدرتها في التعبير عن نفسها وأفكارها . ومنهم كثيرون لم يصدقوا هذه المقدرة لأنهم رأوا وجهها يشع جمالا وليس في عينيها ما يدل على عمى ، وما فهموا أن العيب ليس في عينيها ولا في أذنيها ، وإنما هو في مراكز السمع والبصر في الدماغ

فسبحان من منع ثم منح

جحا القاضي

للاستاذ عطا الله ترزي باشي

اشتهر من بين المستظرفين في الشرق رجلان سميا بجحا ، أحدهما عربي ، هو أبو الغصن بن رجين بن ثابت الذي عاش بمدينة الكوفة في القرن الثاني من الهجرة ، والآخر تركي يعرف بجحا الرومي ، وهو الخوجة نصر الدين الفيكهان(١) العالمي المعروف

ونريد في هذا المقال أن نتكلم عن الثاني على أن نحصر الكلام في ناحية هامة من نواحي حياته ، ونعني بها جانب القضاء ، وأن نتطرق كذلك بإيجاز إلى جوانب حياته الأخرى كلما مست بنا حاجة أو دعت إليها ضرورة

ولد جحا بمدينة (سيوري حصار) من ولايات الأناضول وتلقى علومه الابتدائية في مدينتي (آق شهر) و (قونيه) . وعين بعد ذلك إماماً في بعض المساجد فدرساً . وقد اشتهر بالوعظ والخطابة ، وشغل منصب القضاء مدة غير قليلة في نواحي قونية . وتوفي سنة ٦٨٣ هـ عن عمر يناهز الستين . وقد ثبت تاريخ وفاته في مرقده بترتيب عكسي لأرقام السنين ، فكتب تاريخ ٣٨٦ هـ بدلا من ٦٨٣ . وهذا الأخير مشكوك فيه أيضا

لقد كان جحا الرجل الفذ المعروف بحضور بداهته وقدرته على إبداع النكات بما لا يضارعه في ذلك أحد من المستظرفين . وإن كان جحا ضحكة (٢) بين الناس فإنه لم يكن صاغراً أو مهاناً راضيا بالذل والضيم .. فقد كان شيخاً كريما وأديباً ممتازا جمع بين الجد والهزل بشكل لا يجاريه فيه أحد من الأدباء ، وعالماً فاهما يفحم فطاحل العلماء بأجوبته المسكتة وأدلته المفحمة . وهو بعد بلا شك برناردشو زمانه ، والواقع أنه كان أذكى وأعقل .. ومن درس حياته دراسة عميقة توهم فيه أديباً رفيعا بعيدا عن المهازل المبتذلة .. ورأى من وراء سفاسفه فلسفة مثلى .. والمطلعون على نكاته — باختلاف طبقاتهم واختلاف ألوانها — تراهم يستمتعون بلذاتها أبد الدهر . فهو يتمثل في مخيلة كل قارئ شخصاً يتغير وصفه بتغير حال المخيل ، فيتصوره الصغير رجلا طاعنا في السن وعصاه في يده يسوق بها حماره الذي يلازمه في أكثر نكاته . ويتخيله الجاهلون من طبقة العوام رجلا ذا جنة فيهرفون في الضحك به ، ويعتبرون نوادره لونا من الهزل الرخيص . وهو في الواقع رجل عظيم كما ذكرنا ، حكيم رزين ، وعالم متزن متحل بمزايا الإنسان الكريم . أما نكاته فهي مرآة صافية تتمثل فيها جوانب شخصيته الممتازة . وقد ترجم أغلب نوادره إلى اللغات العربية والفارسية والهندية فضلا عن أنها ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية الحديثة . وقيل إن أحد الإنكليز المغرمين بنوادر جحا كان يقتني كل نادرة غير موجودة في مجموعته بجنيه استرليني ، حتى تمكن من الحصول على عدد غير قليل من نوادره ..

كان جحا يجالس العلماء البارزين ويتحداهم في كثير من المسائل ، وكان يصاحب رجال الدولة وخاصة القضاة منهم ، فيستشيرونه في كثير من الأمور فيرشدهم إلى أسلم الحلول . وكان الأفراد ، صغيرهم وكبيرهم ، يحتكمون إليه فتراه يحل مشاكلهم بفطنته ويقطع بينهم دابر الفساد بدرايته . فيرضى بحكمه الصغير ويقنع برأيه الكبير .. يحسم النزاع بشكل لا يدع فيه للاعتراض مجالا ولا يترك للمناقشة بابا . يعبر عن غاياته بتعابير شيقة توافق مقتضى الحال . فيعرف كيف يخاطب الصغير ويجاري الجاهل الغرير(٣) وهو يعرف كيف يوازي الحكيم المحكم ويوازن الشيخ الكريم ...

أدرك جحا عصر تيمورلنك (٤) الملك الجبار وأنس بمجلسه . وكان يواجهه في كل حين مواجهة صديق لصديقه ، لا يأخذه منه روع أو جزع ..

دخل تيمور بلدة جحا مظفراً منتصرا على العثمانيين . فخاف الناس أن يصيبهم منه أذى حتى أقدم جحا على زيارته

(١) بمعنى الفاكه

(٢) وهو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه

(٣) بمعنى الغر بكسر الغين

(٤) وإن يرى بعضهم خلاف ذلك ..

وأبدى جسارة فى الجلوس بجانبه . ولما رآه وقد مد إحدى رجليه (٥) أراد أن يضحك منه ؛ فمد هو رجله من ساعته . فاستشاط تيمور غضباً وقال له : لقد سمعت عنك أنك ظريف حكيم ولكن تبين لى أنك حمار ! فتبسم جحا ضاحكا وقال له : أجل ! إنه ليس بينى وبين الحمار فرق سوى ذراع أو ذراعين (٦) ! فتعجب تيمور من هذا الجواب فأمر بالإنعام عليه وجعله من المقربين

ويروى عنها نكات كثيرة ، نخص بالذكر هنا إحداها وقد تميزت بطابع القضاء الذى جعلنا المقال يدور حوله

ارتجل (٧) جحا يوماً أوزة رجاء يقدمها إلى تيمور . فغلب عليه الشوق إلى أكل شرحة منها ، فعالجها لاختيار الوضع الذى يأكل منه حتى تناول إحدى رجليها(٨) . . فغضب السلطان للمسألة ، فسأله بغضب عن علتها فأجاب جحا قائلا :

— إن الإوز فى هذه البلاد — يا سيدى — له رجل واحدة ! وأشار إلى الإوز فى الحديقة وهى واقفة على رجل واحدة (٩) .. وعندها قام تيمورلنك فضرب الإوز بعصاه حتى تولت برجليها مسرعة . . قال له جحا : لئن ضربتك بهذه العصا لرأيتك تركض بأربع أرجل ! وكان ذلك جواباً مفحما ابتغى من ورائه الإشارة إلى الآثار السيئة التى تنجم عن التعذيب فى المجتمع

* * *

لقد زادت قيمة جحا وعلت منزلته بين الناس بمر الأيام وكر الأعوام حتى تكون له مركز ممتاز فى المجتمع . وقد ذاع صيته فى أطراف البلاد ، فاهتمت به الأوساط الأدبية وعنت المجالس الثقافية بجمع نوادره الرائعة .. وأحبه الناس حبا جما فكانوا يكرمون وفادته فى كل مكان . وكان رجال العلم وأكابر القوم وولاة المملكة وقضاتها لا يقطعون عن مجلسه ولا يدعونه ينقطع عن مجالسهم

يروى أن أحد القضاة أراد يوماً أن يستهزئ بجحا فى مجلس ضم جمعا غفيرا من علية القوم ، وكان يغريه فى ذلك أحد التجار ، قال :

— لا غرو أن كثرة الكلام داعية للخطأ ، فهل صادف أن سببت لكم الثرثرة خطأ ؟

قال جحا : نعم . وكان ذلك فى موضعين : أحدهما فى جملة « وقاضيان فى النار » فقد قرأتها خطأ « وقاض فى النار » وثانيهما فى آية « إن الفجار لفى جحيم » إذ قرأتها « إن التجار ... »

ويروى له مع هذا القاضى نادرة أخرى أطرف من سابقتها وهى أن جحا كان يوما جالسا مع صديقه القاضى فى قاعة المرافعة ، فجاء رجلان يتخاصمان على رفع جيفة كلب ملقاة فى الطريق بين داريهما ، يطلب كل منهما إلزام الآخر برفعها

رأى القاضى أن يحيل المسألة على جحا فيحسم النزاع وكان يروم الاستهزاء به . فما كان من جحا إلا أنه اعتلى منصة القضاء وأصدر حكما يتضمن أن الأفراد غير ملزمين بإزالة الجثث من الطريق العام ، وإنما المختص بهذا العمل هو حضرة القاضى الذى يمثل المصلحة العامة (١٠)

وهكذا حسم الدعوى حسما موافقاً لمقتضى القانون والعدالة ، منتقما من القاضى الذى أراد الاستهزاء به ..

ويعبر جحا بنكاته البديعة عن واقع الحال تعبيراً صادقا ، ويصور بها الأوضاع السيئة فى عصره خير تصوير . فانظر إلى فكاهته هذه كيف يوضح بها سوء القضاء وتفشى الرشوة بين الحكام :

حكى أن تريا قال لجحا : إن تبصق على وجه فلان ، وهو

(٥) لمة فى رجله

(٦) وكان يبعد عن تيمورلنك فى المجلس بهذه المسافة

(٧) بمعنى طبخ فى الوجل

(٨) نأشار بذلك إلى عرجة تيمور

(٩) والمعروف عن هذا الطير أنه يقضى معظم أوقاته واقفاً على الرجل الواحدة

(١٠) وفى التعبير التركى الذى استعمله جحا كناية تعنى أن جيفة الكلب هى حصة القاضى .

عدو لى ، فلك منى دراهم كذا .. وافق جحا على ذلك .. فرفع المشتكى أمره إلى القاضى ولدى السؤال أجاب جحا قائلا . إن لدى فرمانا (١١) يخول لى الحق فى ذلك ..

فاستغرب القاضى من ذلك وقال له أرنى هـذا الفرمان . فإذا بجحا يدفع كيساً إليه وفيه نصف المبلغ الذى أخذه من صاحبه التاجر . وما أن أخذ القاضى الدراهم حتى ولى وجهه إلى المشتكى وقال :

— حقا لقد أبرز خصمك فرمانا يخول له الحق أن يبصق على وجهك وعلى وجوه الناس بل وعلى وجهى كذلك !..

وتقلد جحا منصب القضاء مدة طويلة كان خـلالها مثال الحـاكم العـادل الذى لا يغريه الطمع والحـكيم المجرب الذى لا يغويه الفساد . فكان حازما فى رأيه صريحا فى نطقه ، قوى الحجة كثير البلاغة ، ذكيا ذا فطنة لا تخدعه خديعة الماكرين ولا يجترفه عن الصواب مكر الماجنين .

حكى أن أحد الماكرين أراد أن يحتال على كسار خشب ، فادعى أن له بذمته مبلغا نشأ عن حثه المدعى عليه على كسر الحطب بترديده كلـمات « هينغ .. هينغ » حيث سهل أمر الـكسر ، ولذا فإنه يطلب من المحـكمة إلزام المدعى عليه بالمبلغ المدعى به وهو أجر قوله ...

تأمل القاضى — وكان جحا — فى المسألة ثم قال للمدعى عليه : هات المبلغ المدعى به ! وما أن أخذ الدراهم حتى رنها وأعادها إلى صاحبها المدعى عليه قائلا :

— إياك الدراهم .. وأنت يا مدعى قد انتفعت بصوتها فهو أجر قولك !

ويروى عن جحا فى هذا الموضوع نوادر شتى ، منها :

المدعى (مشيراً إلى المدعى عليه) لقد كان هذا يحمل ثقلا فوقع من ظهره ، وطلب إلى أن أعاونه ، فسألته عما يعطينيه قال « لاشئ » فرضيت بها وحملته الثقل ... ولذا فإنى أطالب من المحـكمة إلزام المدعى عليه بتأدية « لا شئ » لى

جحا (وهو القاضى) — دعواك صحيحة يابنى ! .. تقرب منى وارفع هذا الـكتاب .. ماذا تجد فى أسفله ؟

المدعى — لا شئ ..

جحا — خذها إذن وانصرف !

ويلاحظ أن القرارات التى كان يصدرها جحا لم تكن من نوع القرارات القراقوشية التى لا تتفق مع قواعد العدالة .. ولئن كان ظاهرها موصوفا بطابع الهزل فإن باطنها كان محبوكا بأنسجة الحق والصدق .. فلم يكن جحا ليمزج الحق بالباطل أو يخرج الصدق بالمين إلا على سبيل الملاطفة .. جاءه يوماً رجل وقال له :

— إن ثوركم نطح ثورى فهلك ! فهل يلزم الضمان ؟

فقال جحا : كلا ! فإن دم العجماء جبار ...

فقال صاحب الثور : عذرا لقد أخطأت ، فإن ثورى هو الذى نطح ثوركم !

وعندها قام جحا منزعجا وقال :

— هات لى الـكتاب الفلانى ، فقد تغير وجه الادعاء

وأبدع جحا مرة فى الإجابة عن بعض الادعاءات المتناقضة بقول حاسم جميل ، لقد جاءه أحد المتخاصمين يبسط له النزاع ويبرئ نفسه ويدين خصمه . فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، وبعـد قليل جاء المتخاصم الثانى وبدأ يشرح له الأسباب ، فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، فاستغربت امرأته من ذلك وقالت له : لقد جاءك المتخاصمان فقلت لـكل منهما إنك على حق ! ولئن كان أحدهما محقا فى دعواه ، فإن الآخر ولاشك غير محق فيها ، فالتفت إليها جحا وقد تدارك الجواب :

« نعم ولـكنك على حق »

كركوك عطا الله رزى باشى

(١١) الفرمان هو الارادة السنية التى كان يصدرها السلاطين العثمانيون فى أمر تولية بعض المهام الرسمية

زعماء التاريخ

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسين

« لم يكن مصطفى كمال رجلا من رجال المصادفة والحظ . . يرفعه إلى البطولة خلو الميدان . . ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذي يوشك أن يضل . . والحيوية للشعب الذي يأبى أن يموت . » الريات بك

— ٦ —

انتهى الكفاح المسلح ... وخرجت تركيا من الحرب منتصرة ظافرة . . وبذلك بدأت الحياة تدب في قلب الوطن التركي من جديد . . واضطر الحلفاء أن يعترفوا باستقلال الأتراك .. ويعيدوا إليهم حريتهم المسلوبة .. وأراضيهم المحتلة .

(١) ومن عجيب المتناقضات . . أن هول هذه النكبة التي حاقت باليونانيين .. كانت أكبر سبب في إزالة العداء بينهم وبين الأتراك . . وإنشاء علاقات ودية بين حكومتي أنقرة وأثينا . . وهكذا نفذ مبدأ تقرير المصير عن طريق السيف والنار..والذبح والتدمير !

وإن الباحث في تاريخ الحركة الكمالية يرى أن هناك ظروفا — لم تخل من مزايا — ساعدت مصطفى كمال وأتباعه .. على الوصول إلى هذه النتيجة الباهرة . . التي لم يكن يتوقعها الأتراك أنفسهم

وهذه المزايا يمكن تلخيصها فيما يلي :

(٢) أولا : نجد الترك في سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ قد تخلصوا — إن طوعا وإن كرها — من عبء إمبراطوريتهم .. وكانت عبئا أثبتت الحوادث أنه لم يكن لهم طاقة بحمله

ثانيا : في الحروب الماضية لم تنفذ الأطماع الأوربية إلى أرض الوطن التركي نفسه . أما عند نهاية الحرب العالمية .. فقد قسمت تركيا إلى مناطق نفوذ بين الدول الكبرى . . فكان لذلك أثر كبير . إذ دبت في صدور الأتراك عاطفة وطنية قومية .. تهدف إلى استقلال الوطن .. لا إلى استعباد الغير ..

ثالثا : انهكت الحرب العالمية قوى المتحاربين جميعا لا فرق في ذلك بين المنتصرين والمنهزمين . . ولذلك لم يعبأ الرأي العام في الغرب بغضب رجال السياسة .. ولم ينل اليونانيون مساعدة جدية . . من جانب الحلفاء . . . مما ساعد الكماليين في حركتهم القومية

رابعا : عملت الحكومة البلشفية في روسيا على تشجيع الكماليين ومساعدتهم .. علهم يتمكنون من إجلاء الحلفاء عن القسطنطينية .. وسد المنافذ للبحر الأسود

ويرى الأستاذ محمد شفيق غربال . . أن هذه المزايا الأربع .. كانت عظيمة الأثر . . كبيرة الخطر . . ولكن لا يقال هذا من عظمة مصطفى كمال .. وحسن بلاء أتباعه .. إذ لم تكن إذ ذاك واضحة وضوحها لنا الآن .. وكان قيامه بالحركة كله جرأة وإقدام وبعد نظر

وإذا أردنا أن ندرك عظمة الجهود التي قام بها مصطفى كمال . . فلنرجع إلى خطابه الذي ألقاه أمام حزب الشعب سنة ١٩٢٧ م .. والذي جاء فيه .. « وهناك أمران مهمان في صدد هذه الفترة .. أولهما : أنه كان يسود في الأذهان فكرة وجوب عدم إغضاب الدول الكبرى المنتصرة » . أثناء البحث في وسائل الخلاص . . وكانت فكرة عجز الأمة عن الوقوف أمام واحدة منها ... فضلا عن الجميع ... راسخة رسوخا قويا في الأذهان . . ولم يبعد منه شيء أبعد عن المنطق والعقل في نظر الناس من الوقوف في وجه قوى الحلفاء

أما ثانيهما : فهو الارتباط التام بمقام السلطان الخليفة انسياقا وراء التقاليد الدينية والوطنية التي مرت عليها الأجيال . . ولم يكن أحد قادرا على فهم معنى الخلاص من غير الخليفة . . وكان من يشذ عن هذا المفهوم .. يتهم باللادينية.. واللاوطنية.. والخيانة ... »

ومع هذا الفساد في الحكم .. والتشاؤم من المستقبل المظلم القاتم . . وفقدان الثقة بعظمة الأمة التركية وحيويتها . . كانت خطب الزعيم مصطفى كمال . . وأقواله المأثورة منذ أوائل الحركة

(١) هـ فشر : تاريخ أوروبا في العصر الحديث : ص ٥٨٤

(٢) محمد شفيق غربال بك : دائرة المعارف الاسلامية المجلد ٥ تركيا

النضالية وفى أثنائها . . وبعدها . . تدل على أن ما صدر عنه من توجيهات . . وأعمال قضائية . . وسياسية . . وانقلابية . . وإصلاحية . . فى مختلف النواحى . لم يكن مرتجلا ، وإنما كان يدل على عظمة حقيقية

بعد أن انتهى مصطفى كمال من تحقيق غرضه الأول . . وهو الحصول على استقلال الوطن التركى . . بدأ ينظر فى حالة البلاد الداخلية . . فكان أول عمل قام به هو الفصل بين السلطنة والخلافة . . وإلغاء السلطنة نهائيا من البلاد

أخذ يخطب فى المؤتمر الوطنى . . وقال للنواب : « إن السلطنة شئ . . والخلافة شئ آخر . . ولا بد من الفصل بينهما وإلغاء الأولى . . »

وحينما طال الاجتماع — وكثرت المناقشات . . ضجر مصطفى كمال من طول الانتظار . . فاقتحم القاعة وقال . « لقد اغتصبت السلطنة العثمانية السلطة من الشعب . . ومن حق الشعب أن يستردها . . ويفصل بين السلطنة والخلافة . . ويجب عليكم أن توافقوا على هذا القرار . . وإلا كلفتكم المعارضة ثمنا غاليا هو ... رؤوسكم . . » وما أسرع ما وافق الأعضاء . . وألغيت السلطنة . . وعزل السلطان وحيد الدين . . ونصب مكانه عبد المجيد خليفة للمسلمين . . دون أن تكون له صفة سياسية . . وبعد فترة قصيرة . . أعلنت الجمهورية . . وأصبح مصطفى كمال رئيسا لها . . ورئيسا لأركان حرب الجيش . . ورئيسا لحزب الشعب ... »

نظر مصطفى كمال بعد ذلك إلى منصب الخلافة . . وكان يعتقد بعبث وجوده . . خصوصا وأن زعماء المعارضة بدأوا يتخذونه محورا لحركاتهم . وعملوا على تقويته بمختلف الوسائل ، وكانت خطتهم تقضى بإعادة السلطة الزمنية للخليفة ، وجعله سلطانا على الأتراك ، وفى سنة ١٩٢٤ ، قرر المؤتمر إلغاء الخلافة وحرمان الخليفة المخلوع ، وأفراد العائلة العثمانية ذكورا وإناثا ، من الإقامة داخل حدود الجمهورية إلى الأبد

عمل مصطفى كمال بعد ذلك على إلغاء الطرق الصوفية ، لأنه رأى ما لمشايخ الطرق من تأثير على الجمعيات والاجتماعات السرية ، والدعوة إلى المظاهرات ، وإثارة العصبية الدينية ضد العهد الجديد ، وفى سنة ١٩٢٥ ، صدر قانون بإلغاء الطرق ، وإغلاق الزوايا ، ومما قاله مصطفى كمال فى ذلك ، « إن هذا الظرف كان من خير الظروف للقضاء على هذه الخلافات البغيضة التى شوهت الدين ومبادئه ، وجعلت أماكنه أوكار جهل وعبث وفساد ... » كما أصدر تشريعا يقضى بمنع الإسراف فى الأعراس ، ومما جاء فى هذا التشريع ، « منع إقامة الأفراح لأكثر من يوم واحد ، ومنع إقامة مآدب أفراح عامة ، ومنع إهداء العروس أكثر من ثوبين ... »

وعمل أيضا على منع تعدد الزوجات ، وتعليم البنات ، وقد نص الدستور على التعليم الإجبارى للأنثى كالذكر تعليما ابتدائيا ، ويعتبر هذا التشريع خطوة كبرى أدت إلى سفور المرأة التركية ، وخروجها إلى ميدان الحياة ، ولم يقتصر على ذلك ، بل نادى بتغيير الزى بما يتناسب وروح العصر ، وجعل القبعة غطاء الرأس لجميع أفراد الشعب التركى . . كما أصدر قانونا بإلغاء الرتب والألقاب ، واكتفى بأن جعل لكل عائلة لقبا تعرف به ، وبذلك عرف باسم « أتاتورك » أى والد تركيا

حقا : لقد كان مصطفى كمال ، والد تركيا ، وزعيمها الأكبر ، فإليه يرجع الفضل فى نهضتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فهو الذى جدد معالمها ، وخلقها خلقا آخر ، وجعلها من أقوى الدول الشرقية

ومما عرف عنه ، أنه كان يكره أن يعزى إليه كل الفضل فى بناء صرح النظام الجديد ، بل يعزو نجاحه إلى وطنية الشعب التركى ، وإخلاص رفاقه القائمين معه بأعباء الدولة ، وكان يكره أيضا أن يوصف عهده « بالكمالى » ، أو أن يقال إن الشعب التركى ينتمى إلى الحزب الكمالى ، وذلك لأنه يعتقد أن ليس فى البلاد حزب كمالى ، وحزب غير كمالى ، لأن الشعب كله حزب واحد ، هو حزب الوطن ، يسعى لخير الأمة ، ويعمل على رفع منارها

ولقد كان للأتراك فى مصطفى كمال ثقة عمياء ، وقد سئل أحدهم عنه مرة فقال « إنه صفوة الرجولة التركية ، ونموذجها

مجال الدعوة الاسلامية

يجب أن يشمل المجموعة البشرية

الاستاذ أحمد عوض

مهداة إلى الأستاذ سيد قطب

كان من أثر الاستعمار فى البلاد الإسلامية أن سلبها حريتها ، وألزمها خطة الانطواء على النفس ، وركز فيها سوء الظن ، وحرمها مزية التعاون ، وكفها عن نشر دعوة ألزمهم دينهم نشرها ؛ هى دعوة الإسلام

والإسلام دين لم يخص من الناس فريقا دون فريق ، ولا على بطائفة دون أخرى ، وإنما أنزل على قوم كلفوا بأن يوسعوا مجاله بنشر تعاليمه حتى تشمل الكافة . وعلى كل من ينضم إليه أن يشارك السابقين إليه فى الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالجدل بالتى هى أحسن

لكن الدعوة إلى تعاليم عالية تستلزم أول ما تستلزم ضروبا من الحريات ، منها حرية الكلام ، وحرية الاجتماع ، وحرية العقيدة

وهذه الحريات جميعا وسائر الحريات كبحها الاستعمار وبخاصة ما كان منها مؤديا إلى دعوة عالية ، فالاستعمار منفعة خاصة أساسها أنانية المستعمرين على حساب حريات الإنسانية العامة .

وفرط المسلمون فى حق أنفسهم وحق دينهم بما أهلوه من التسلح بكافة الأسلحة ، معنويها وماديها ، فغلبهم المستعمرون على أمرهم ، وكبتوا مشاعرهم ذلك الكبت الذى لم يصل وان يصل إلى أصل العقيدة ، ولكنه وصل إلى وسائل نشرها ، فلم يقو الاستعمار على رغم بطشه وظلمه على انتزاع الاسلام من الصدور ، ولكن قوته كانت كافية لمنع المسلمين من توسيع مجال الدعوة إليه ، وهذا ركن أساسى فيه

واكتفى المسلمون قرونا بالتحدث عن مزايا الاسلام بين المسلمين ، حديثا مادام بين مسلم ومسلم ، فهو لا يشرح العقيدة الفروغ بين المسلمين من اعتقادها ، وإنما يشرح الطقوس والشكليات ، لأن هذه هى التى يحتاج الفروغ من أمر عقيدته الاسلامية إلى الاستزادة من معرفتها . وبذلك أصبحت الدعوة بين المسلمين قاصرة على العبادات والمعاملات ، وهى عظيمة الشأن ما فى ذلك من شك ، ولكن روح الاسلام وأهدافه الجماعية — وهى التى من أجلها أنزل — أصبحت مهملة ، لأن الكلام فى الدين أصبح بين مفروض فيهم التمتع بها ، بتلك الروح والمعرفة بهذه الأهداف

لكن لا هذه ولا تلك ولا المعاملات ولا العبادات ولا أى شئ فى الحياة يمكن أن يصل إلى كماله أمام العقبات التى أوجدها الاستعمار من كبت الحريات ، ومن نشر الجهل والمرض والفقر

والآن وقد أكلت النار نفسها حين لم تجد ما تأكله ، وتناقصت قوى الغرب المستعمر بما تناقص إيمانه بالله وتمسكه بالفضائل ، فأصبح لا يكاد يستقر فى حكم نفسه حتى يستقر فى حكم المستعمرات . والآن وقد أحس المفكرون فى الغرب بأن الحضارة التى أقاموها على الماديات توشك أن تنهار ، فقد انتقمت الفضائل المهملة لنفسها ، وتزعزعت عقائد الماديين بالمادة ، وبشر الاسلام بنفسه حين أكره المسلمون على الكف عن التبشير له

والآن وقد بدأ المسلمون يستروحون نسيم الحرية بما أضعف خصومهم ، فانصدعت قيودهم ، واتسعت حدودهم ، فإنهم يجدون فى الغرب عقائد دينهم تمشى على أقدامها هى لا على أقدام المسلمين . وللفكرة أقدام وأيد ولها أيضا أجنحة ، وأن

المعصوم عن كل خطأ » لقد كان مصطفى كامل زعيما وطنيا مخلصا ، أحيا وجاهد ، وأصلح وشرع ... « ولم يكن رجلا من رجال الصدفة والحظ ، يرفعه إلى البطولة خلو الميدان ، ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة ، وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يرشك أن يضل ، والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت ... »

الاسكندرية عبد الباسط محمد حسنه

أهملنا أن نعطى من مزايا الاسلام ، فقد أكره الغرب وإن لم نعطه منها على أن يأخذ هو ، وشتان بين أخذه من ماديتنا ذلك الأخذ الذى ينتقص من تلك الماديات ، وبين أخذه من معنوياتها ذلك الأخذ الذى يزيدها ويباركها ، والدين كالعلم يزيد مع كثرة الإنفاق ، والآن أمام هذا كله أصبح فى الغرب من يبشرون بالاسلام ، أو بركن من أهم أركان الاسلام ، هو نواحيه الخلقية ، ودائرته الجماعية ومساواته بين الخلق كافة فى الحقوق والواجبات ، ودعوته إلى السلام ، وتحريمه الحرب إلا دفاعا

بدأنا نتحرر ، وبدأنا نستطيع استئناف ما وجب علينا ، ولا يزال مستمر الوجوب من الدعوة إليه ، فهل يقضى المنطق بأن نصحح أخطاء الداعين دعوتنا ، ونكمل النقص إذا كان هناك ثمة خطأ أو نقص ، أم نظل نحن المنوطة بنا رسالة الدين من بين المدعوين المستعمين ، أم نظل مقتصرين على الدعوة للاسلام بين المسلمين ؟

ماذا يجب على المفكر المسلم الملم بلغات الغرب حين يقرأ فى تلك اللغات دعوة إلى مبادئ دينه ؟ أيناهضها لأنها « من الخارج » أم يدعو الداعين ويجادلهم بالتى هى أحسن

ليس هناك إسلام أجنبى ، بل ولا إسلام عربى ، وإنما هناك رسول عربى بكتاب عربى من عند «الله» ، كلف المسلمون أن ينشروا تعاليمه فى أرجاء العالم الفسيح ، ومن أركان الإسلام : الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا

نعما ونعم هى ، ولكن الاسلام الذى هذه أركانه والذى كتابه قرآنه ، قد نص على سبب نزوله ، وهو الهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ونبيه المبعوث بين سبب بعثته بأنها إتمام مكارم الأخلاق

وبعد فالحركات القائمة فى أوربا وأمريكا لنشر فضائل الدين الاسلامى ، لا تهدف إلى مزاحمة ديننا ، وليست مذهبا فى هذا الدين ، وهى لا تزيد فيه ولا تنقص منه ولا تبتغى التأويل ، وإنما القوم قد أسرفوا فى ماديتهم واستعزوا بها ، ومن استعز بشئ أورثه الله ذله ، فاتجهوا إلى الدين ، إلى دينهم أولا فوجدوا من الهداية بالمحبة والتسامح والتضحية ، ولكنهم فطنوا بعد ذلك إلى أمور نص الاسلام فيها أصرح وأوضح ، فالاصلاح المنشود سبيله فى الاسلام التغيير . تغيير المرء ما بنفسه حتى يغير الله ما به . ولئن دعاهم السيد المسيح فيما ينص عليه إنجيلهم أن على الذى يحبه أن يحمل صليبه ويتبعه ، فإن القوم قد لهجوا بالآية القرآنية

ولئن فطن القوم إلى أن علة شقائهم هى التنازع فيما بينهم على المستعمرات ، والعداوة التى وجهها العالم إليهم سببها التنازع بين الطبقات وبين الألوان وبين الأديان ، فقد لهجوا بما نص عليه القرآن من أن أفضلكم عند الله أتقاكم ، وما نص عليه مبعوث هذا الدين من أنه لا فضل لحر قرشى على عبد حبشى إلا بالتقوى وقام فيهم من يدعو ، لا إلى اعتناق الاسلام على صورة غير صورته ، ولا إلى نسبة شئ إلى الاسلام ليس فيه ، ولا إلى إخراج لفظ فى الاسلام عن معناه ، بل إلى روح الدين وإلى الفضائل الشائعة بينه وبين سائر الأديان

ولكنهم أخذوا بعضه ، فهل ندلهم على باقيه ؟ أم لا نزال بأنفسنا من أثر الاستعمار بقية تلزمنا الانطواء على النفس ؟

إنهم يريدون محاربة الشر بمثل سلاحنا ، بسلاح الخلق . فهل نحارب الشر معهم به ؟ قبل أن ننطق بالجواب يجب أن نسائل أنفسنا ، أين منا موضع الدعوة ومن الذى ندعوه وكيف ندعوه ؟

ليس فى أمريكا ولا أوربا إسلام أمريكانى ولا أوربى ، وإنما فيها اليوم أكثر من دعوة لنشر فضائل الدين الاسلامى ولكن فى مصر وفى سائر البلاد الاسلامية من يهملون الدعوة إلى الاسلام تاركين هذا الواجب لدخلاء عليه مستغلين له مستغرين لغايات استعمارية ابتغاء منفعة شخصية كما قال بحق الأستاذ سيد قطب فى افتتاحية العدد الأخير من الرسالة

هؤلاء يجب أن يحاربوا ولكن يجب أن نفرق بين هؤلاء وبين الداعين مخلصين لمبادئ إسلامية لم يجدوا غيرها وسيلة لمحاربة المادية ، استعمارية كانت أو شيوعية ، ولانتشال المدنية مما جنى عليها من المطامع الأشعبية

أحمد هوصه

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ٣ —

أما الأوضاع الاجتماعية في الشرق العربي فقد شغلت الشاعر شغلا عنيفا حتى أتعبته ، فقد دار بعينيه فيما حوله فوجد العطب يدب في كل مكان ، والظلم يخنق الرقاب بقيد حديدي ثقيل ، وقد تعددت مظاهر الفساد ، فلم تقتصر على شكل واحد ، واختلفت أماكن الداء فلم تخيم في بقعة واحدة ، ولكنها سلاسل ممتدة مشدودة ، لاتجد الرقاب والأيدي والأرجل منها بعض الفكاك ، والجواهري لايفرد النواحي الاجتماعية بقصائد خاصة تكشف عن مساوئها الخاطئة ، بل يقرن الشعب السياسي بالفوضى الاجتماعية في قصائده الملتهبة ، فلولا الانحطاط الاجتماعي الشائن في الشعوب المحتلة ، ماوجد المستعمرون وأذنابهم ماء عكرا للصيد ، ولولا فساد الساسة وأنانية القادة مارزحت الدول تحت كابوس ثقيل من الجهل والمرض والحرمان ! وكان شاعر الفرات يتأوه تأوها مريرا لما تقابل به صيحاته من دس وانهام ، فقد علم المستعمر أذنابه أن يقاوموا حركات الإصلاح في كل شعب ، فكل ناصح مخلص ثائر مخرب ، وكل مدافع عن دينه ووطنه هدام ثوري يدين بالمبادئ الخطيرة المتطرفة ، حتى التبس الأمر على السواد ، ودفعهم الجهل إلى التردد في قبول النصائح وإحلالها محلها اللائق من القبول والانصياع .

فالوعي بغي والتحرر سبة والهمس جرم والكلام حرام

ومدافع عما يدين مخرب ومطالب بحقوقه هدام

وقد كانت الشيوعية — ولازالت — أقرب تهمة وأيسرها على المحتلين وأشياعهم ، فما يكاد أحد في الشرق العربي ينطق بكلمة في الإصلاح ، حتى يتهم اتهاما خطيرا بما لايقصد إليه بحال ، واضطر الساسة جريا وراء مآربهم الذاتية أن يربطوا عجلتهم الضعيفة الواهية ، بعجلة إنجلترا القوية السريعة ، ووقف الدب الروسي رمزا للخوف والهلع والإزعاج ، كأن الأسد البريطاني المتوحش لايؤذي أحدا من الضعفاء مع أن ضحاياه في الشرق من تسعين عاما قد ملأت المقابر بالأشلاء ، والطرق بالدماء . ولايزال المغرضون يفيئون إلى حنانه الكاذب وعطفه المزعوم .

شدوا بذيل غراب أمة ظلمت

تطير إن طار ، أو تهوى إذا وقعا

وخوفوها بدب سوف يأكلها

في حين تسعين عاما تألف السبعا

وضيقوا أفق الدنيا بأعينها

بما استجدوه من بغي وما ابتدعا

وذاك معناه أن يبيعوا كرامتكم بيع العبيد بتشريع لكم شرعا

ورغم هذه التهم الكاذبة شق الشاعر طريق الإصلاح في صلابة وإيمان ، وقد حارب ببراعة المكافح في جبهات متعددة ، وحمل المشعل في يده يطارد الظلام في كل مكان ساخرا بالعواصف ، متحديا جميع الصعاب !

ففي جبهة أولى يقف أمام الفقر فيحلل أسبابه ، ويكشف عن علله ، ويرمي بنظره في هذه الكتل المتراصة في الشوارع وقد كساها الجوع لباسا أصفر شاحبا هزيلا تمد الأيدي السائلة وتتبع الفتات في القمامات كما تتبعه الحيوانات ، وتقف أمام القصور الشامخة منحنية ذليلة تتطلب الكفاف مما يرمى إلى الكلاب المدللة !! وقد مسح الفقر من نفوسها معاني الكرامة والعزة والإباء ، وفي داخل القصور الممردة نفوس تبترد بالخمور ، وتتجمل بالحلي والعطور ، وأخونة تمتد بالطيبات من المطاعم ، وليالي حمراء مرنة بالقصف والرقص ، مغردة بألحان الفتيان ، مضيئة بوجوه الكواكب الحسان ! فشتان بين أولئك وهؤلاء

عجبت لخلق في المغارم رازح يقدم ما تجني يداه لغانم

وأنكأ من هذا التفاني قرحة فباوة مخدوم وفطنة خادم

لو اطلعت عيناك أبصرت مأتما أقيم على الأحياء قبل المآتم

إذا أقبل الشيخ المطاع وخلفه
من الزارعين الأرض مثل السوائم
قياما على أعتابه يعطرونها خنوعا وذلا بالشفاه اللواثم
حنايا من الأكداح تلق ظلالها
على مثل جب باهت النور قاتم
أمبتردات بالخور تثاجت وبالماء يغلى بالعطور الفواعم
ومفترشات فضلة فى زرائب يوسدها ما حولها من ركائم
أمن كدح آلاف تفيض نعاسة يتمتع فرد بالنعيم اللازم
سياسة إقفار ، وتجويع أمة وتسليط أفراد جفاة فواشم

وفى جهة ثانية يحارب الجهل فيعلن أنه أس المصائب وشر لمحن ، فلولاه ماتهش الجوع نهشا فى النفوس الكادحة ، ولولاه ما حيكت الدسائس والمؤامرات للشعوب فى ظل من الخداع والابتسام ، ولولاه ما وطد المستعمر قلاعه وأقام بناءه الراسخ ، ولولاه ماأقفلت المصانع والمتاجر وأصبحت الوظيفة الحكومية مناط الآمال ومبعث الرجاء ، ولولاه ماقيدت الجموع اللاغية حفاة عراة لراكب ، ولولاه ماحاز أشباه الجهلة من المتعلمين أسمى المناصب ، وأعظم الألقاب ، ولولاه ما كانت الأفواه الناطقة ، واحتجزت الألسنة الصارخة عن كشف المثالب والهنات !! وأخيراً لولاه ماتدهورت الشعوب العربية إلى ما انحدرت إليه من ذلة وهوان فزا الجهل أرض الرافدين فخلها
كثير المرايا مستجاش الكتائب
طليعة جيش للمصائب هددت كرامته ، والجهل أم المصائب
وما خير شعب لست تعثر بينه على قارئ من كل ألف وكاتب
تمشى بجر الفقر ردفا وراءه
وأنعس بمصحوب وأنعس بصاحب
فكان لزاما أن تحوز عصابة تربت يزى العلم أعلى الرواتب
وكان لزاما أن تتم سيادة عليه لأبناء الذوات الأطايب
وكان لزاما أن تعطل صنعة
وأن يصبح التوظيف أعلى المكاسب
وكان لزاما أن تقاد جموعه حفاة عراة مهطعين لراكب
وأوجع ما يصمى الغيور مقاصر
أطلت على محجورة فى الزرائب
يبين على الحيطان شرخ نعيمها وتغمرها اللذات من كل جانب
وتحيا ليالى الرقص فيها خليعة
تكشف عن سوق الحسان الكواعب
وتلك من الإدقاع تفسد الثرى يلاعب جنبيها دبيب العقارب

والجواهرى قد حارب الجهل كما تقدم محاربة عنيفة ، يحمل سوطه فى يده ويهوى به على النشء المثقف من المتعلمين ! فيعجب القارئ بادئ ذى بدء لهذا الثائر الذى لا يرضى عن أحد ، ولكنه ينصت للشاعر فيجده صاحب حق فى جميع أقواله ، فلا تناقض بين ما يقوله فى شىء ، إذ أن النشء المثقف فى العراق وغيرها لم يحققوا الآمال المعقودة عليهم فقد رأوا كثيرا من الخرافات فلم يجلوا ظلامها الحالك عن النفوس ، وشهدوا الأوضاع الظالمة — فى عالم السياسة والاجتماع — فلم يحاولوا أن يقفوا أمامها وقوفا ينذرها بالتصدع والانهيار ، بل ربما ساروا فى ركابها سيرا مشينا ، وقذفهم التيار إلى لججها الزاخرة ، فهزوا مع القواة وأساموا سروح اللهو حيث أساموه ، والشاعر يرجع ذلك كله إلى التربية نشأ عليها التلميذ فى مدرسته ، فقد وجد من الأساتذة من لا ينير طريقه ويكشف ليله ، ومن المناهج قشورا بالية يعنى وضعها المستعمر ، فليست تقوم خلقا أو تحيى كرامة ، بل تخلق فى مائعا يعنى بهندامه كملبسه ، ويتشبه بالنساء فى عطوره وزينته ، ويمشى متخاذلا مدلا تغمره الأحاسيس الناعمة . وتقوده العواطف الرقيقة وقد يتنامى رجولته فيلجأ إلى التحدث والتبذل والعربدة ، فخطرات النسيم تجرحه ، ولمس الحرير يكلم راحته ، وقد مات شعوره فلم يفكر فى ضحايا قومه ، وصرعى معشره ، كأنه ليس منهم وليسوا منه ! فيصير هؤلاء المأسيخ المشرهون خلقا وعقلا معقد آمال ومبعث حياة ، أم يسيرون بأممهم إلى الوراء مئات الأميال ، ويهوون بها إلى الحضيض السحيق فى أغوار الظلام !

هلم إلى النشء المثقف واكشفوا
حجابا يغطى نفسه وقناعا
تروا كل مفتول الذراعين ناهدا قصيرا إذا جد النضال ذراعا
وكل أنيق الثوب شد رباطه إلى عنق يمشى العيون لماعا
يموج إذا مس الهجير رداءه كما انحل شمع بالصلاء فماعا

تراه خلى البال أن راح داهنا وأن قد ذكا منه الأريج وضاعا
وليس عليه ما تكامل زيه إذا عرى الخلق الكثير وجاعا
وأن راح سوط الذل يلهب أمة كراهية يستاقها وطواعا
ولم تشجه رأيا وسمعا قوارع يسوء عيانا وقعها وسماعا
ورب رءوس برزة عششت بها خرافات جهل فاشتكين صداعا
بهـا نومتنا الأمهات تخوفا وما أيقظتنا الحادثات تباعا

وكما حنق الجواهرى على المثقفين من بنى وطنه ، حنق على بعض رجال الدين من ذوى العمائم المعتدة ، والمذبات الطويلة ، إذ أن رجل الدين الصادق فى رأيه هو الذى يغير المنكر بيده ولسانه وقلبه ، فيكون ثائرا إن دعا الأمر للثورة ، وسائلا حين يتحتم السيال ، وقد تزيى بلباس الدين أقوام من مشايخ الطرق وأصحاب الأذكار والأوراد ، وهم لا يفهمون قليلا عن روح الشريعة ولباب الإسلام ، وصادفوا من العامة ثقة غالية ومنزلة رفيعة فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وابتدعوا البدع ابتداعا ، وجسموا الأوهام تجسيما يدعو إلى الذعر والهلع ، ومسخوا روح الدين من النفوس ، وساعدوا الطغاة والآثمين ، فكانوا مطاياهم السريعة فى التنويم والتخدير ، وزاد الكارثة هولا أن هؤلاء الأدعياء لا يتورعون عن الآثام فى حقير أو جليل ، فهم يقترفون الموبقات ، وينتهكون المحارم ! ويتصيدون الرشى والأموال من سبل مريبة ، حتى فاح النتن الآسن منهم على الناس ، ولابد لهذه الشرذمة من نقد عاصف يكشف زيفها الخاتل ، ويطمس بريقها الأخاذ ، فاندفع الجواهرى يندد بهم فى قصائده الثائرة كأن يقول

تحكم باسم الدين كل مذمم ومرتكب حفت به الشبهات
وما الدين إلا آلة يشهرونها إلى غرض يقضونه وأداة
وخلفهمو الأسباط تترى ومنهمو لصوص ومنهم لاطة وزناة
وما كان هذا الدين لولا ادعاؤهم لتمتاز فى أحكامه الطبقات
أتعجبى ملايين لفرد وحوله ألوف عليهم حلت الصدقات
وأعجب منها أنهم يذكرونها عليهم وهم لو ينصفون جباة

والشاعر لا يترك سبيلا للتنديد بهم إلا سلكه وأوغل فيه ، ولو لم تسكن مناسبة الكلام قوية ملحة ، فعندما احتفلت البلاد بالذكرى الألفية لأبى العلاء المعرى ، وذهب الشاعر إلى دمشق ليلقى قصيدته باسم العراق ، لم يشأ أن يقصر الحديث على روائع الفيلسوف وآثاره ، بل حلل آراءه الاجتماعية تحليلا شعريا يمس اللباب الخالص ، ويشع مومضا بمختلف الإيحاء والإلماع ، وكأن شاعر الفرات يجد الراحة الهانئة فى التنفيس عن مشاعره المتزجية بمشاعر أبى العلاء ، والناس هم الناس فى كل زمان ومكان ، فما أغضب المعرى من أوضاعهم الشائنة قد أغضب الجواهرى بعد ألف عام !! وكان لأدعياء الدين نصيبهم الوافر من النقد والتجريح ، فحفلت قصيدة الجواهرى بفوارس لاذعة تسيل دماءهم وتحطم كبرياءهم ، وتوغر صدورهم ، وما عليه وقد وافق أبا العلاء فى رأيه ، وجرى معه فى سنن واحد حين أهدى إلى روحه هذه الأبيات

وهؤلاء الدعاة العاكفون على
أوهامهم صنما يهدونه القربا
الخابطون حياة الناس قد مسخوا
ماسن شرع وما بالفطرة اكتسبا
والقاتلون عثانينا مهرأة
ساءت لمحتطب مرعى ومحتطبا
والملصقون بعرش الله مانسجت
أطماعهم بدع الأهواء والريبا
والحاكمون بما توحى مطامعهم
مؤولين عليها الجد واللعبا
على الجلود من التدليس مدرعة
وفى العيون بريق يخطف الذهبا
أوسمتهم قارصات النقد لاذعة
وقلت فيهم مقالا سادقا عجبا
صاح الغراب وصاح الشيخ فالتبست
مسالك الأمر أى منهما لعبا

يتبع

محمد رجب البيومى

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للاستاذ عبدالقادر رشيد الناصرى

— ٢ —

اطلع القراء فى العدد السابق من الرسالة الغراء على درة من درر شوق التى تجمع إلى أخواتها فى دواوينه الأربعة المطبوعة ولم تضم إلى شعره المتداول بين أيدى القراء فى جميع البلدان الناطقة بالضاد ، وكنت وعدتهم فى ذيل مقالى السالف أن أقدم لهم فى هذا العدد شوقية أخرى من تلك الشوقيات الفذة التى لم تتفتح عنها غير قريحة أبى على ، وهذه القصيدة الجديدة عثرت عليها فى مجلة أدبية قديمة يرجع تاريخ صدورها إلى سنة ١٩٢٨ أيضاً. أما اسم المجلة فلا أعرفه لأن أكثر صفحاتها الأولى والأخيرة كانت ممزقة ، وأما كيف عثرت عليها فتفصيل الخبر أنى كنت فى يوم من الأيام فى سوق الوراقين ببغداد أنقب بين الصحف القديمة التى تعرض للبيع بالأكوام فلفت نظرى صديق إلى مجلة ممزقة كانت بين يديه وهو يشير إلى بعض بحوثها فلما أخذتها منه وتصفحتها عثرت فيها على قصيدة أميرنا مدرجة . وكم كان سرورى عظيما عندما راجعت دواوينه فلم أعثر لها على ذكر ! فقلت فى نفسى هذه هدية قيمة لا تستحقها إلا مجلة الأدب الرفيع والشعر الخالد حيث تقدمها إلى أبناء العروبة

والقصيدة كما يراها القراء لا تختلف فى كثير أو قليل عن شعر شوق من جميع النواحى ، فالديباجة ديباجته ، والأسلوب أسلوبه ، والنفس واحد ، والصور والتراكيب والتعابير والموسيقى اللفظية واللفتة الشعرية البارعة كلها له ، وهى فوق كل هذا قصيدة عالية مشرقة بالرغم من أنها من بحر الرمل ، ذلك البحر الذى لا يجيد فيه من حيث متانة تركيب الأبيات إلا القادر من فحول الشعراء . ولا أذكر أنى — على كثرة قراءاتى للشعر — وقفت إلى شاعر نظم قصيدة من بحر الرمل وأجاد فيها أو أظهرها بديباجة متينة اللهم إلا شوق ، لأن هذا البحر على الرغم من سهولة النظم فيه لابد أن تأتى القصيدة فيه ركيكة مهلهلة الأبيات كما يحدث عند الكثير من الشعراء . لذلك يتجنب الفحول النظم فيه على العكس من البحور الأخرى كالكامل والوافر والبسيط حيث تأتى الأبيات قوية التركيب متينة الأبيات كأنها البنيان المرصوص . وأذكر أننى فى بدء نظمى الشعر كنت لا أقوله إلا على بحر الرمل لسهولته، ولكننى تركته بعد ذلك ولم أعد ألجأ إلى النظم فيه إلا ما ندر ؛ حتى الموشحات الغنائية التى أكثر من النظم فيها فإننى أترك الرمل وألتزم مجزوءه — نظرا للايقاع الموسيقى الذى فيه والجرس الراقص ، أما شوق فهو حتى فى هذا البحر يبدع ويجيد — خذ مثلا قوله

ارفعى الستر وحيى بالجبين ... وأرينا فلق الصبح المبين

واتركى فضل زماميه لنا ... نتناوب نحن والروح الأمين

ألا يرى معى القارئ القوة والمتانة التى تتخلل الأبيات على سهولتها وعذب موسيقاها ؟ أيستطيع أحد مهما بلغ من المقدرة البيانية والبلاغية ومطاوعة اللغة والقوافى له أن يضع لفظة بدل أخرى !! أنا أشك فى ذلك لأن الفحول من الشعراء عندما ينظمون حتى على هذا الوزن لا يتركون فيما يقدمونه مغمزا لناقد فيه ! وهكذا الحال عند شوق على خلاف غيره من شعراء عصره

قد يطول بنا القول إذا نحن قارنا بينه وبين غيره لأن المفاضلة والموازنة تحتاج إلى إيراد أمثلة تخرجنا عن الموضوع الذى نطرقه الآن ، لذلك نترك ذلك الحديث إلى مجال آخر وعسى أن يكون ذلك فى القريب

قلت فى بدء الكلام إن القراء تشوقوا فى العدد الماضى عطرياقة من أزهار أبى على . ويسرنى الآن أن أتحفهم بإضمامة أخرى قطفتها لهم من روضته وهى كما يرون نغمة عبقة كل شعره القطر الندى ، تزول جدة الدهور ولا تزول جدتها ، فان كان الورد لا تتفتح أكمامه إلا فى الربيع ولا يعبق نشره إلا فى أيار، فان شعر شوق فواح الأريج فى كل الفصول . فلنستأنف إذاً شذاه المواز

الشوقيـة الثانية

وهذه القصيدة الثانية قالها شوقي في جمعية الشبان المسلمين حيث ألقيت في حفلتها التي أقيمت بدار الأوبرا الملكية في ١٤ شوال من عام ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

لم يضع صاحب المجلة عنواناً للقصيدة ولم يذكر المناسبة التي قيلت فيها ولكن القارئ يدرك من فحواها أنها نظمت لأجل جمع الإعانة لدار الأيتام التي قامت ببنائها الجمعية المذكورة على حد قوله :

ياشبابا حنفاء ضمهم منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى وينجيهم من المرعى الوبيل

أو قوله

رب عرس مر للبر بما ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته ومشى يستروح البر العليل
والقق البائس والنعمى به وسمى المأوى لأبناء السبيل

ومن أحق بالرعاية من اليتامى وأبناء السبيل ؟ ومن غير شوقي من شعراء عصره يستطيع أن يلهب أكباد الأثرياء حماسة ويضرب على المواطن الحساسة من شعورهم فيجودوا لهذا المشروع النبيل بالمال عن طيب خاطر ؟

إذن لنستمع إلى صناجة القرن العشرين وهو يوقع على أوتار قيثارته أغاريد الخير والحق والحنان ، في أسلوبه الموسيقي المشرق ونغماته العذاب إذ قال في ...

مهرجان اليتيم

هيذا الساحة والظل الظليل وثناء في فم الدار جميل (١)
لم تزل تجزى به تحت الثرى لجة المعروف والنيل الجزيل
صنع « إسماعيل » جلت يده كل بنيان على الباقي دليل
أتراها سدة من بابه فتحت للخير جيلا بعد جيل

* * *

ملعب الأيام ، إلا أنه ليس حظ الجد منه بالقليل
شهد الناس به « عائدة »
وشجى الأجيال من « فردي » هديل (٢)
وائتلفنا في ذراها دولة ركنها المؤدد ، والمجد الأثيل
أينعت عصرا طويلا وأتت دون أن تستأنف العصر الطويل
كم ضفرنا الغار في محرابها وعقدناه لسباق أصيل
كم بدور ودعت يوم النوى وشموس شيعت يوم الرحيل

* * *

رب عرس مر للبر بما ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته ومشى يستروح البر العليل
والقق البائس والنعمى به وسمى المأوى لأبناء السبيل
ومن الأرض جديب وند ومن الدور جواد وبخيل

* * *

يا شبابا حنفاء ضمهم منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى وينجيهم من المرعى الوبيل
اذهبوا فيه وجيئوا أخوة بعضهم خدن لبعض وخليل
لا يغرنكم قلته كل مولود وإن جل ضئيل

* * *

أرجفت في أمركم طائفة تهم الظن عن الإنصاف ميل (٣)
اجعلوا الصبر لهم حيلتكم قلت الحيلة في قال وقيل
أيريدون بكم أن تجمعوا رقة الدين إلى الخلق الهزيل ؟
خلت الأرض من الهدى ومن مرشد للنفس بالهدى كفيل
فترى الأسرة فوضى وترى نشأ عن سنة السبريل
لا تكونوا السيل جهما خشنا كالعاب ، وكونوا السلسبيل
رب عين سمحة خاشعة روت المشب ، ولم تنس النخيل

* * *

لا تماروا الناس فيما اعتقدوا كل نفس بكتاب وسبيل
وإذا جئتم إلى ناديكم فاطرحوا خلفكم العبء الثقيل

* * *

١ — الدار يقصد بها الأوبرا الملكية

٢ — عائدة — أسطورة مصرية قديمة مستقاة من تاريخ مصر وقد نظمها مصرحية غنائية ووضع ألحانها الموسيقار « فردي » الايطالي

٣ — ميل = الانحراف عن جادة الصواب

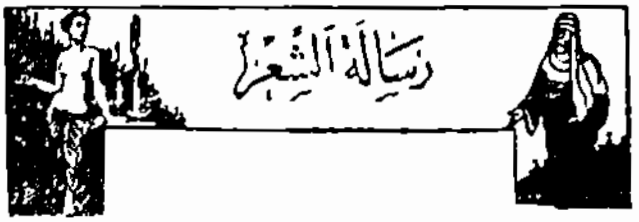

الشاعر

أنت حب ورقة وحنان ومن الحب عبقرى العطاء

« تهدى إلى الكاتب الكبير الذى أغار الشعر من النثر ، بما أراق عليه من عطر ، وأشاع فيه من سحر ، الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات بك » « أنور العطار »

للأستاذ أنور العطار

واهب عاش خالد الأصداء عمر الكائنات بالنعماء

هذه ليلتكم فى « الأوبرا » ليلة القدر من الشهر النبيل
مهرجان طوف « الهادى » به ومشى بين يديه « جبرئيل »
وتجلت أوجه زينها غرر من لمحة الخير تسيل
فكأن الليل بالفجر انجلى أو كأن الدار فى ظل الأصيل
أيها الأجواد لا تجزبكم لذة الخير من الخير بديل
رجل الأمة يرجى عنده لجليل العمل ، العون الجليل
إن داراً حطتموها بالندى أخذت عهد الندى أن لا تميل

إلى هنا تنتهى القصيدة ويبدو فيها شوق مرشداً ينصح شباب الجيل بعدم الطعن فى العقائد لأن الطائفية من شأنها التفرقة ، والأمة لا تستطيع الوثوب إلى الأمام ومماشاة ركب النهضة إلا بالاتحاد ، وأن الأمة التى لا تستطيع أن تهذب أبناءها وتجد لهم سبل العيش والثقافة ما هى إلا أمة مقضى عليها لا محالة وخصوصا إذا جمع أبناؤها « رقة الدين إلى الخلق الهزيل » لأن « الأمم هى الأخلاق » ولله دره حين يقول :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

فشوقى إذن هنا مصلح اجتماعى يلبس مسوح الوعاظ ليقدم نصائحه ، وهكذا يجب أن يكون الشاعر الإنسانى حيث يؤدى رسالته على الوجه الأكمل

عبد القادر رشيد الناصرى

للهوى قلبه ، وللشجو عينا ه ، وللحالمين سحر الحداء
طافت الأرض فى رؤاه تصاوي ر ندايا بجدة ورواء
قيل لى صفه قلت : دنيا من الفن وكون من رفعة وازدهاء
ليس يدرى غير التسامح دينا فهو روح السخاء رمز الفداء
صاغه الله من حنان ورفق ودموع وصبوة ووفاء
صور الطبع خير من صور الطبـ ـع وغنى فى رقة وصفاء
يشرق البشر فى محياه نضرا ومن البشر أنفس الشعراء
ويرف المعنى النبيل على اللفـ ـظ رفيف السنا على الأنداء
هو فى حالتيه قيثارة النجـ ـوى تسامت فى ضحكها والبكاء
تذر النفس أدمعا وشعوراً ولهيبا كوقدة الرمضاء
يا له ساحرا تمرس بالسحـ ـر وأربى عليه فى الإفناء
إن تغنى مسترسلا ملك الأر واح حتى تغيب فى الإصغاء
كل معنى مثل الطبيعة باق والمعانى مناجم الحكماء

* * *

ياصدى الأنفس اللهيفة ياحا مل عبء الهموم والأدواء
تنقل البرء للألى نشدوا البر ء وفى القلب عالم من رثاء
هكذا الأنفس الكبيرة تحيا لسواها فى فرحة واحتفاء
فإذا رمت أن تكون سعيدا فتعهد مصائب الأشقياء
بسمات الحنان أفضل فى الأنـ ـفس من أى نائل وعطاء
تحيى الكائنات والفضل يبقى وهو إرث العلياء للعلياء
وإذا راعك القضاء بخطب فكن الثبت فى صروف القضاء
واحى للشعر والهوى والتمنى واصحب العيش بالرضا والرجاء
قل إذا اهتجت فى احتدام الليالى والتحام الأرزاء بالأرزاء :
أنا ما عدت أستسيغ بكائى مردت مرقى على البأساء
نقيت مهجتى من الوهن المز رى ولم تحفل الأسى حوبائى
ونفضت الإعياء عنى وصعب أن يعيش الفتى بلا إعياء
وتهزأت بالحياة ولاقيـ ـت الرزايا بالنظرة الشزراء
وتقحمت غايتى غير هيبـ ـا ب صراع الدجنة السوداء
وهى النفس إن تثر تركب الصعـ ـب وتزحم مناكب الجوزاء
فاعصفى فى رياح، هامتى اليو م تعرت عن صخرة صلداء
واصخبى واصرخى فلن تثلمى الده ر اعتزامى وان تفلى مضائى

من هبوب السموم أنفاسي السحـ ـم ومن شملة الشموس ردائي
ما أبالي الرمضاء وهي تلظى بلهيب يفري حشا الغبراء
أنا من زأرة الأسود أناشيـ ـدي ومن جأرة الرياح نداني
أنا هذي الصحراء في قلبها النا ـت وفي هزلها من اللأواء
أنا دنيا من المهابة والعز ـم وكون يضج بالأنباء
لست أختار أن أكون نبيا أنا أسمى والمجد يسعى ورائي
عربي النجار من ذروة الحز ـم ومن قمة العلى والإباء
يادموع الضعاف، خير وأبقى من شجا الدمع بسمة الأقوياء
ونعيم الحياة ملك الأشـدا ء فواها للعشر الضعفاء

° ° °

فن يا ابن الغمام والجبل الملـ ـم والظل والشذا والماء
فن يا ابن الليل الموشح بالنو ر ويا ابن الضحى ويا ابن الماء
فن يا ابن الوديان يا ابن الينابيـ ـع ويا ابن السماء والدأماء
فن يا ابن النجوم والقمر الما شـق والسفح والربا الشماء
فن يا ابن الفتح الذي انتظم الأر ض رأولى طرائف الأشياء
فن يا ابن الماضي المضمخ بالمجـ ـد ويا ابن العروبة العرباء
فن فالعالم الرحيب تسابيـ ـح هيامي من نشوة الإيحاء
صور الرحمة التي تغمر الكو ن بفيض الأندى والآلاء
صور الحب والحنان على الأر ض وتجوى الأصداء للأصداء
طف كهذا الربيع نشوان فرحا ن غنى العبير جم البهاء
لح كهذا الصباح يختال جذلا ن بعم الأكوان بالأضواء
بأبي القلب ساميا بالمزايا بأبي الوجه طافحا بالحياء
بأبي العبقرية الفذة البكـ ـر تلف الحياء بالكبرياء

° ° °

أنا نشوان من نشيدك هيما ن فهات اسقني وزدني انتشائي
هدهد القلب والهوى والأماني بغنـاء باق على الآنـاء
وطن أنت ظاعنـا ومقيما لست والله بالغريب النـائي
إنما الغربة التي ما تقضى غربة الفكر والندى والملاء
شاعر الخلد يا نشيد الأناشيـ ـد ويا روعة الأماني الوضاء
لك لحن جم المناعم فيه راحة النفس والقلوب الظماء
هو فيض المقول والفطرة السمحة وابن الطبيعة السجواء
لا يغني سوى الجمال ولا يعـ ـرف غير الحقيقة الغراء
خيره كالربيع صاف شهي طائح بالطيوب والأشذاء
لم يزل ينشد الوضوح ويبغي الشعر خلوا من زخرف وطلاء
لك من روضه الظليل الندى مثل ما للربيع من أفياء
عبق يغمر السموات والأر ض ويزهى بمطرف وشاء
حافل بالعبير آذار ندا ه وأغنى على البطاح الرواء
كل زهر في الكون يذوي ويفنى غير زهر القريحة الغناء
درج الليل والنهار حثيثين وملا من روحة واغتداء
وأصاب الحياة عادي المنايا فتوارت عن نفسها بخباء
وأطل البيان من رفرف الخلـ ـد عتيا على الردى والعفاء
لم يزل عطره يروح ويندو وهو زاد الحياة والأحياء
هو باق على امتداد الليالي والليالي هوالك رنواني
هات يا شاعر الهوى نبه القو م وحدث بالذمة الحمراء
شاعر الحب شد فيثارة الشعـ ـر وغن الحمى لحون السماء
أيها الموقظ النفوس من الضيـ ـم ومردي جحافل البغضاء
انفح الكون بالعظائم تترى فالعظيمات نفحة العظماء

° ° °

أيها العبقري يا روعة الفكـ ـر ويا رفرف السنا والسناء
أنت حب ورقة وحنان ومن الحب عبقري الغناء
خالد أنت والعوالم تفنى لا يذوق الخلود طعم الفناء
أيها الشاعر الذي عاش لحنا ومرى كالعبير في الأرجاء
زهر أنت يغمر الكون بالعطـ ـر رحيق موشح بالضياء
يا نجي القلوب يا جدول البشـ ـر يا نسمة الخميلة الغناء
منك صفت القريض لحنا شجيا وتفردت في بديع أدائي
كرمتك الأجيال يا رفة الخلـ ـد وأولتك روضة من ثناء
فلئن صاغت القريض عقودا فبما صغت يا شماع البقاء

* * *

هات منك البيان سمحا طروبا خيرا نيرا كقلب الفضاء
لا يوفي القصيد مهما تغنى ما دناني تكفي ولا صهباني

أنور العطار

دواوين الشعراء الستة الجاهليين

شرح الأستاذ عبد المتعال الصعيدي وتنسيقه

نشر مكتبة القاهرة سنة ١٩٥٢ . في ٣٧٦ من القطع المتوسط

الدكتور زكي المحاسني

عناية الأدباء المحدثين بأدب أمتهم القديم دليل على أصالة ذلك الأدب . وأيما أمة اطرحت أصول أدبها فإنما هي قد جزت جذورها ، وأنكرت أنسابها ، فضاعت بين سمع الأرض وبصرها . وماشيء كان أجدر بالعناية في أدبنا العربي من الشعر الجاهلي ، لأن فيه نبعة التراث الروحي لأدب الأمة العربية . وهذا سر عكوف الأقدمين على دراسة هذا الشعر يجمعونه ويمحصون فيه ، ويروون قصائده ، ويروقون رواياتها . ولقد عاق التلهف على دراسة الشعر الجاهلي في الفترة الحديثة ما طلع به بعض الأدباء من إنكار لصحة هذا الشعر ، وما زعم الزاعمون من أن هذا الإنكار مرده دراسات لبعض المستشرقين . وإن الصواب الذي لا أرتاب فيه أن هذا الشك ذاته قد سبق الناس إليه الأصمعي وقد بان لي أن من عند الأصمعي كان مولد هذا الشك حين اختلفت لديه أبواب الرواية في الشعر الجاهلي ، واضطراب الأسانيد في بعض أنحائه . وقد ترك السبيل مفتوحة أمام ذوي الشك في الأدب خلو النصوص الجاهلية للشعر من التقييد الحجري . فلو أن شعراء المعلقات بديلا من أن تكتب لهم معلقاتهم على رقاق الغزلان بماء الذهب وتعلق على الكعبة قد نقشوها في الحجارة ، لما تركوا سبيلا لذلك الشك والارتياب الذي كدر علينا في فسحة من الزمن نقاء الشعر الجاهلي

إن الدكتور طه حسين حين أنكر الشعر الجاهلي سنة ١٩٢٦ كان كمن جاء إلى أسرة فيها الزوج الوقور والأم الحنون والولد المطيع ، وهم جميعا في خير وطمأنينة ، فقال للأبوين إن ابنكما هذا مدخول النسب . قالها قولة جارفة فأقض على الأسرة مضاجعها ، وهدم بناءها . ولم تكن أداته أكثر من شك وارتياب . ومن المحمود للدكتور طه حسين بعد ذلك أنه اعتلى منبراً في جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٥ سمعته وشهدته يقول من فوقه فيدلي باعترافات أدبية جديدة في أنساب الشعر الجاهلي الذي صح عنده أنه يمثل في تاريخنا الأدبي أدبا كلاسيكيا قديما . وقد أمسك بيده الأستاذ الفاضل عبد الوهاب حمودة قبل أن يغادر ذلك المنبر وصاح في الناس أيها الجامعيون إن طه حسين الذي أنكر الشعر الجاهلي يعترف به اليوم ويرد إليه اعتباره

هذه خواطر دارت بفكري وأنا أقلب كتابا حديثا فيه دواوين الشعراء الستة الجاهليين شرحه ورتبه صديقنا الأستاذ الجليل عبد المتعال الصعيدي . ومن المقطوع به أن يكون بدء الكلام على امرئ القيس وختامه على عنترة . وقد نسب شرح هذه الدواوين في أصلها إلى ثلاثة من علماء الأدب القديم أشهرهم الأعلم الشنتمري من سانتا ماريا بالأندلس . وفي عصرنا تناول هذه الدواوين بالشرح أحد فضلاء العلم في جامعة فؤاد الأول هو الأستاذ مصطفى السقا . حتى إذا حانت عناية الأستاذ عبد المتعال الصعيدي بالشعر الجاهلي أخرج هذا الكتاب بطبعة جديدة تضم هذه الدواوين بتناول ميسور . وعني بشرحها على صورة موجزة كثيرة الجدوى . فهو يعطيك في معنى البيت على استغلاق وجهه وغرابة لفظه ، شرحا موفيا للغرض من أقرب سبيل . وقد قدم لكل شاعر من هؤلاء الستة وهم امرؤ القيس فلقمة فطرفة فالنابغة الذبياني فزهير فعنترة بنبذ يسيرة مكثفة ، ألم فيها بتاريخ الحياة ثم بلمحات ثابتة في دراسة الشعر وتحقيق الرواية . والذي كنت أتمناه عليه ، وقد يكون مطلوبا منه سنمه ، أن يكون قد كتب لهذه الدواوين مقدمة ، وإنما كتب تقديما في سطور . فهو لم يذكر رأيه في الشعر الجاهلي ، ولم يتناول قضية هذا الشعر ، وقد شغلت الناس زمنا في القديم وفي الحديث . كما لم يفضل شاعرا على شاعر وإنما قصر همه على الشرح وحده . وذلك ضرب من ضروب التأليف الذي عرف في عصرنا الحديث وفي الأقدمين ، وقل شبيهه في الأدب عند الغربيين . فليس شائعا

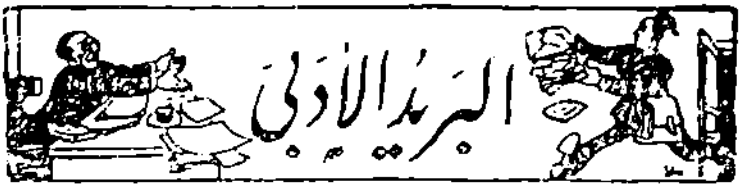

المدرسة الصلاحية

وصل إلى بريد الكنانة الأخير هدية غالية من هدايا صديقنا الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول وهى الجزء الأول من مؤلفه القيم « الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ولا أريد فى هذه الكلمة أن أذكر قيمة الكتاب من الناحية التاريخية لأن مثل هذا المؤلف الضخم الذى اعتمد علامتنا البدوى على أكثر من «٢٠٢٥» مرجع فى تأليفه يحتاج إلى دراسة طويلة وقراءة متقنة؛ وخاصة أن لهذا الجزء بقايا تحت الطبع، كما أننى لا أريد أن أعرف الأستاذ البدوى فهو غنى عن التعريف بمؤلفاته ومترجماته وبحوثه النادرة التى نشرها وما زال ينشرها فى الصحف وبذيعها على الناس. وقراء « الرسالة » الزاهرة لا شك يعرفونه جيدا ولكنى أحييه وأنا أقرأ كلامه عن المدرسة الصلاحية المنشور فى الصفحة (٤٣) من كتابه النفيس أن أضيف إليها هذه النبذة الوجيزة التى نشرتها مجلة « الزهراء » فى الجزء السادس سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م وهى :

« هى مدرسة إسلامية أقامها السلطان صلاح الدين الأيوبى لفقهاء الشافعية منذ القرن السادس الهجرى وقد زارها رصيفنا السيد عمر الطيبى وقرأ على بابها الكبير منقوشا فى الحجر السطور الخمسة الآتية

(١) — بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله

(٢) — هذه المدرسة المباركة أوقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام

(٣) — والمسلمين أبى المظفر يوسف ابن أيوب بن شاذى محيى دولة أمير المؤمنين أعز الله

(٤) — أنصاره وجمع له خير الدنيا والآخرة على الفقهاء من أصحاب الإمام أبى عبد الله

(٥) محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه . فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

واستمرت هذه المدرسة إسلامية سبعمائة سنة ، ثم سعى الفرنسيون سنة ١٨٥٦ م لدى السلطان عبد الحميد بانتزاعها من أيدى المسلمين بحجة أنها كانت فى الأزمان القديمة كنيسة على اسم حنه أم سيدتنا مريم عليها السلام ، فأذن لهم السلطان عبد الحميد بأخذها ، وجعلها هدية منه إلى نابليون الثالث ، فاتخذها الفرنسيون داراً للتبشير بالمذهب الكاثوليكى

ولما أعلنت الحرب العظمى ووضع الترك أيديهم على ما

عندهم نشر ديوان للشعر مقصور على الشرح لألفاظه ، وإنما لديهم الناشرون من الأدباء الذين يكثر تناولهم الدواوين بالدراسة والتعليق مع الشرح والتفسير ، وقد نعذر الأقدمين منا والمحدثين فى هذا الضرب من التأليف إذ المعول فيه على إبراز النصوص القديمة كما جاءت دون التقول فيها . وهذا مذهب أدبى له دعاته . فللنصوص القديمة حرمة لا ينبغى أن تمس بتقويل

والقصد الذى ينبغى أن يدركه دارسو هذه الدواوين هو الوقوف على صحيح معانيها لتمثل الشعر الجاهلى واهتضامه فى الفكر والإحساس . وحين يقنع المتأدبون المحدثون أن الرجعة إلى الشعر الجاهلى هى قوام الأدب العربى كله ، وأن صفاء ذلك الشعر ونقاء معانيه هو الشعاع الأول الذى ينبغى أن تستمد منه كل روح فى كل شعر عربى ؛ فقد حملوا رسالة الأدب لا فى العصر الحديث فحسب؛ وإنما فى سائر العصور الأدبية التى توالت على العرب . وإنى لأعد الشعر الجاهلى ضمان لغة العرب فى الشعر ، وناظم روحها الأصيلة مهما تجدد الأدب ، وتطور الشعر

والأستاذ الكبير عبد المتعال الصعيدى إلى إكبابه على التأليف فى الموضوعات الدينية والأدبية التى اتسمت بالدقة والإحكام جدير بالثناء على جهده الذى بذله فى شرح دواوين الشعراء الجاهليين وعنايته بتبسيط المعانى للطلاب خاصة وللقراء عامة

زكى المحاسنى

لرعايا دول الحلفاء من مدارس ومعاهد أعادوا هذا البناء إلى تصرف المسلمين وجعلوا فيه « الكلية الصلاحية » التي كان يديرها الأستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش . فلما انتهت الحرب العظمى بانكسار الترك واستيلاء الإنكليز على القدس أعطى الإنكليز هذه الدار إلى البعثة الفرنسية وهي الآن مدرسة لتخريج الرهبان الكاثوليك

بغداد عبد القادر رشتر الناصري

المعري لا المتنبي

أورد الأستاذ أحمد الشرباصي هذا البيت :

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

منسوبا إلى المتنبي والصواب أنه لأبي العلاء المعري من قصيدته المشهورة التي مطلعها :— (ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل) ومثل الشرباصي في فضله وعلمه لا يفوته ذلك ولا بد أنه سبق قلم سببه تأثر الأستاذ أثناء رده . وقد انتظرت حتى صدر العدد التالي ٩٩٠ وما بعده لعل الأستاذ يصحح هذا الوهم . فلما لم أجد ما توقعته بكتابة هذا راجيا نشره مع خالص الشكر .

عبد العلوم النجار

تصحيح

طالعت في العدد ٩٨٦ من الرسالة مقال الدكتور الكفراوي عن أبي العتاهية فاسترعى انتباهي قوله في آخر المقال : قال الشاعر مشيرا إلى جواري المهدي

رحن في الوشي وأسبحن عليهن الوشوح
كل نطاح من الدهر له يوما نطوح
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمرت ما عمر نوح

والذي نعرفه أن أبا العتاهية قال هذه القصيدة وهو في السجن لما آلم لحن اللاحين في دجلة الخليفة الرشيد فأرسل إليه أن يصنع لهم شعرا سهلا يتغنون به فغاظه أن يطلب إليه ذلك ولم يأمر بإطلاقه فصنع هذه القصيدة لينغص عليه عيشه ومطلعها

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح
هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح

فمن هنا نعلم أن القصيدة قيلت في عهد الرشيد لا المهدي كما يقول الدكتور وأن الإشارة إلى جواري الرشيد

محمد ابراهيم الجيوشي

دار العلوم

أشكر للأستاذ الشاعر أحمد المجمي عنايته بشعراء الشباب وأتوقع لما أثرا طيبا وإن كان قد ذكر في العدد « ٩٨٧ » من الرسالة الغراء أن في الاستطاعة أن يحصى الناقد ستة عشر شاعرا من دار العلوم أيام أن كانت مدرسة ، أما بعد أن صارت كلية جامعية فلا يستطيع أحد أن يحصي شاعرا أو اثنين ، فيسره أن عرف أن السبب في ذلك هو أن الفترة التي قضتها دار العلوم وهي مدرسة فترة طويلة جدا كفيلة بأن تنجب فيها ما تشاء من الشعراء ، أما الفترة التي قضتها وهي كلية جامعية فهي فترة وجيزة لا تكفي لإشهار شعراء يعدون ويحصون

على أنني أرى أن هناك أزمة شعرية في هذه الأيام الأخيرة في جميع المعاهد الأدبية . ومرد ذلك — فيما أعتقد — إلى أن الصحافة وهي المنبر الذي يذيع عليه الشعراء الناشئون أشعارهم أصبحت يضيق صدرها بالشعر والشعراء ولا سيما الناشئين منهم ، فبعض الصحف تنشر القصائد في صفحة الغلاف بشكل يوحي بالإهمال ، والبعض الآخر يفرد لها حيزا محدودا جدا يستوعبه في الغالب من اشتهر من الشعراء . ! ربك ماذا يفعل الشعراء الذين يريدون أن يظهروا ؟

أيلجأون إلى طبع أشعارهم في دواوين وهم في الغالب لا يملكون من المال والشهرة ما يساعد على ذلك ؟ !

أم يقطعون على أنفسهم يقولون الشعر لا يسمعه أحد حتى يملوا هذا الوضع فيطمر ينبوع الشعر في نفوسهم ؟

إننا نرى كل فن من فنون الأدب قد خدم الخدمة الكافية به ، فللمقالة تعج بها معظم الصحف ، وللقصة أفردت لها صحف خاصة ، بقي الشعر والشعراء المساكين

إني لأذكر بالخير ذلك المهد الذي كانت تقوم فيه مجلة « أبولو » على خدمة الشعر الحي . وأعتقد أنها أفسحت لكثير من الشعراء الناشئين طريقهم حتى برزوا وجلوا في ميدان الشعر. فهل إلى بعث هذه المجلة أو ما يشبهها من سبيل حتى تتفتح براعم من شعراء الشباب أوشكت أن تموت ؟

محمد علي . محمد الشايب

أدب ولغة

١ — كسول : صنيع اللغويين يشعر بأن كسولا من الأوصاف المختصة بالإناث ، قال جار الله في الأساس — كسل : وامرأة كسلى ، وهي مكسال وكسول ونحوه في المختار والمصباح والتاج والقاموس واللسان وأكثر المعاجم التي رجعت إليها ، ومن ثم ذهب كثير من الخاصة إلى تخطئة مثل هذا التعبير (تلميذ كسول)

بيد أني وقعت في لسان العرب مادة ـ زمل ـ على هذا البيت:

فلا وأبيك ما يغني غنائي من الفتيان زميل كسول

وهذا نص لا يحتمل التأويل ينادي بصحة ما خطأه بعض الباحثين . ولعل من يتتبع كلام العرب يقف على أكثر من شاهد لهذا الاستعمال . ولا يعزبن عن البال أن كتب اللغة لم تلتزم الإحاطة بكل ما نطقت به العرب ، فدون هذا خرط القتاد كما يقولون . على أنه يمكن أن نلتمس عذرا لصنيع اللغويين في أن النص على — امرأة كسول — من قبيل النص على البعيد المفهوم — لا من قبيل البيان لما يجوز حتى يمنع ما عداه ، وعلى هذا أرى أن لفظة — كسول — مما يوصف بها المذكر والمؤنث على السواء ، وليست مختصة بأحدهما

٢ — كسلان : أما كلمة — كسلان — فقد يتبادر إلى الذهن بادي الرأي أنها عامية أو خاطئة وإن هي إلا فصيحة ، وقد وردت في تضاعيف قصة أدبية تروقها قراء الرسالة لطرافتها ولما فيها من جمال وإبداع

روى المبرد أن عمر الوادي سمع عبداً أسود يغني ، فأعجب به ، وطلب إليه أن يعيد عليه ما سمع ، فقال العبد: والله لو كان عندي قرى أقربك ما فعلت ، ولكني أجعله قراك ، فإني ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته — وأنا كسلان — فأنشط ، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ، ثم انبرى يغني :

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما قضت أحدوثة لو تعيدها

تحل أحقادي إذا ما لقيتها وتبقى بلا ذنب على حقودها

وكيف يحب القلب من لا يحبه بلى قد تريد النفس من لا يريدها

٣ — نسوان : وقد وردت هذه الكلمة التي تتردد على ألسنة العامة — وقد تنفر الأسماع منها — في شعر يسحر اللب ويأخذ بمجامع القلوب ، قال كلثوم العتابي :

تلوم على ترك الغنى باهلية لوى الدهر عنها كل طرف وتالد

رأت حولها ـ النسوان ـ يرفلن في الكسا مقلدة أجيادها بالقلائد

العقد ج ٣ ص ١٥٩

وقال الحكم بن معمر — عاصر ابن ميادة — :

فوالله ما أدري أزيدت ملاحة وحسنا على النسوان أم ليس لي عقل

فساهم ثوباها ، ففي الدرع غادة وفي المرط لفاوان ردفاها عيل

الأغاني ج ٢ ص ٢٨٦

وقال الهمداني (الأجدع أبو مسروق بن الأجدع الفقيه)

لقد علمت نسوان همدان أنني لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل في الهيجاء وجهي وإنني له في سوى الهيجاء غير بذول

(تهذيب الكامل ج ٢ ص ٩٣

وقال ابن مقبل :

(١) أصوات نسوان أنباط بمصنعة بجدن للنوح واجتبن التبابينا

(الأساس — صنم)

(١) المصنعة ـ المدينة والقرية ـ بجدن ـ لبسن البجد ـ التبابين ـ جمع تبان السراويل الصغيرة

رياضه عباس

الخـــادم

للكاتب العظيم سيمونوف

عاد جيرازيم إلى موسكو حين كان يتعذر الحصول على عمل فيها ، وذلك قبل عيد الميلاد بأيام قلائل . وفي هذه الفترة كان كل عامل يتمسك بعمله مهما كان حقيراً ، طمعاً في الحصول على هدية من مخدومه . وهكذا قضى الشاب الفلاح ثلاثة أسابيع دائباً في البحث عن مهنة ولكنه لم يوفق

وكان يعيش مع أقاربه وأصدقائه الذين نزحوا من قريته . ولم يكن في فقر مدقع ، ولكنه يغتم لرؤية شاب قوي مثله يحيا بغير عمل

وقد عاش جيرازيم في موسكو منذ حداثته . وعندما كان طفلا كان يشتغل بغسل الأواني في معمل من معامل البيرة ، ثم اشتغل بعد ذلك خادماً في أحد المنازل . وفي السنتين الأخيرتين كان يعاون أحد التجار ، ولولا أنه دعي إلى قريته لسبب يتعلق بالخدمة العسكرية لبقي حيث كان إلى الآن . والسبب ما لم يقبل جيرازيم جندياً . ولما لم يكن معتاداً حياة الريف فقد بدت القرية لعينيه في حلة من الكآبة ، وصمم على الرجوع إلى موسكو مهما كانت النتائج

وكل دقيقة تمر كانت تزيد ملله من جوب الطرقات في فراغ وبطالة . ولم يترك جيرازيم أي سبيل للعمل إلا طرقها . ولقد ضايق جميع معارفه بإلحافه ، وأحياناً كان يتصدى للمارة ويسألهم إذا كانوا يعرفون سبيلا إلى عمل خال

ولم يعد يحتمل جيرازيم أن يكون عالة على الناس . وقد أصبح وجوده يغيظ بعض مضيفيه . وتعرض بعض الخدم الذين كان ينزل عليهم لتأنيب مخدوميهم إياه بسببه . لقد كان في حيرة تامة لا يدري ماذا يفعل . وأحياناً كان يجوب الطرقات النهار كله دون أن يتناول طعاماً

وفي أحد الأيام ذهب جيرازيم إلى صديق له من أبناء قريته ، يعيش على حدود موسكو . وكان هذا الصديق حوذياً عند رجل يدعى شاروف ، وقد مضى عليه أعوام كثيرة في خدمة شاروف وقد أفلح في أن يستحوذ على محبة سيده فأصبح يأمنه على كل شيء ويبدي له دلائل الرضا . ولعل لسانه الفتيق هو الذي كسب له ثقة سيده فقد كان يشبه بكل الخدم ، وكان شاروف يقدره من أجل ذلك

وتقدم جيرازيم وحياه ؛ واستقبل الحوذي صديقه استقبالا مناسبا وقدم إليه شايا وبعض الطعام ثم سأله عما يفعله فأجابه :

— في أسوإ الأحوال يا يجور . إني أعيش بدون عمل منذ أسابيع

ألم تسأل مخدومك القديم أن يستعيدك إليه ؟

— لقد سألته .

— أو لم يقبل ؟

— هناك من حل محلي

آه ... هذا هو السبب . تلك هي خطتكم أيها الشبان . تخدمون رؤساءكم حيثما اتفق ، فإذا تركتم مهنتكم تكونون قد سددتم طريق الرجوع إليها بالأوحال . ألا يجب أن تقوموا بواجباتكم بحيث تنالون التقدير الحسن ، فإذا رجعتم إلى مخدومكم لا يهملونكم — بل يخرجون من حل محلكم ...

— وكيف يكون ذلك ؟ إنك لا تجد مخدومين على هذه الشاكلة في هذه الأيام كما أننا لسنا بملائكة !

— وما فائدة الكلام ؟ ! إني أريد أن أحدثك عن نفسي : إذا حدث أني تركت عملي لسبب من الأسباب ورجعت إلى منزلي ، فالسيد شاروف يقبلني عندما أرجع ويكون سعيداً بقبولي

وجلس جيرازيم محزوناً . لقد لاحظ أن صديقه يباهي بنفسه ورأى أن يساير فقال :

— إني أعرف ذلك ولكن من العسير وجود رجل مثلك يا يجور . ولم لو تكن من أجود الخدم ما أبقاك سيدك في خدمته اثني عشر عاما

فابتسم يجور لأنه كان يحب المدح وقال :

— ذلك هو الواقع . لو أنك اتبعت نظامي في الحياة والعمل ما وجدت نفسك عاطلا شهراً بعد شهر

ونادى شاروف حوذيه فخرج وهو يقول :

— انتظر برهة .. سأرجع حالا

— حسن جدا

عاد يجور وأخبر صديقه أن عليه فى خلال نصف ساعة أن يعد العربة ويسرج الخيل ويستعد لحمل سيده إلى المدينة . وأشعل يجور بيبته وأخذ يذرع أرض الغرفة ثم وقف فجأة أمام جيرازيم وقال :

— استمع يابنى، إذا رغبت أن أحدث السيد شاروف عنك فلا بأس

— وهل هو فى حاجة إلى خادم؟

— لدينا خادم غير كفء تقدم به العمر ومن المتعذر عليه القيام بالخدمة . ومن حسن الحظ أن هذه الضاحية غير مأهولة — كما أن رجال البوليس لايدققون كثيرا ، وإلا لما استطاع الخادم الشيخ أن يحتفظ بالمكان على حالة من النظافة ترضيهم

— آه .. لو أمكنك ، حدثه عنى يايجور — إنى سأدعو لك طول حياتى .. لم أعد أحتمل العيش بدون عمل

— حسن . سأحدثه عنك . تعال غدا . والآن يحسن أن تأخذ هذه الدريهمات

— شكراً يايجور . هل ستحدثه عنى ؟ قم بهذا الجميل من أجلى

— حسن . سأحاول

وانصرف جيرازيم وأعد يجور العربة وارتدى ملابسه الخاصة بمهنته وقاد العربة إلى الباب الرئيسى للمنزل حيث ركب شاروف ثم آب إلى منزله . ولاحظ يجور أن سيده على شىء من البشاشة فبدأ حديثه معه

— هل لى أن أسألك معروفاً ؟

— وماذا تطلب ؟

— شاب من قريتى ، شاب طيب . . . ليس لديه عمل

— حسن !

— ألا تلحقه بخدمتك ؟

— وهل أنا فى حاجة إلى خادم ؟

— ألحقه على أن يقوم بأى خدمة تطلب منه

— وماذا يعمل پوليكار ؟

— وما فائدة پوليكار ؟؟ لقد حان أوان فصله

— ليس من العدل فصله لقد خدمنا سنوات . فلا أستطيع طرده بدون سبب

— ولنفرض أنه اشتغل بخدمتك سنوات . إنه لم يخدمك بغير أجر . لقد كان يتناول مرتباً ، ومن المؤكد أنه ادخر بعض المال لسنى شيخوخته

— ادخر ؟ كيف كان يمكنه ذلك ، إنه ليس وحيداً فى الدنيا : لديه زوجة يعولها وهذه مضطرة أن تأكل وتشرب أيضا

— إن زوجته تكسب أيضاً . إنها أجيرة باليومية . ولم تعير پوليكار وزوجته اهتماماً ؟ حقا إنه خادم فقير ؛ ولكن لم تبعثر أموالك ؟ إنه لايؤدى عمله كما يجب . وعندما تحين نوبته فى حراسة المنزل يترك مكان الحراسة أكثر من عشر مرات أثناء الليل . لم يعد يحتمل البرد وقد يكدوك البوليس بسببه يوماً . قد يهبط اللصوص علينا يوماً ، وعندئذ لن يسرك أن تكون مسئولا عن نتائج إهمال پوليكار

— ومع ذلك ففصله قسوة واستهتار . لقد خدمنا خمسة عشر عاما ، وبعد هذه المدة نعامله هذه المعاملة الفظة فى شيخوخته . إنها لخطيئة

— خطيئة ؟ هل يصيبه منك ضرر ؟ إنه ان يموت جوعا بل سيذهب إلى ملجأ الفقراء . وهذا أجدى عليه . هناك يقضى شيخوخته فى سلام

وأخذ شاروف يفكر فى المشكلة ثم قال .

— حسن . دع صديقك يحضر غدا . وسأرى ما يمكننى أن أفعل له

— أرجو يامولاى أن تلحقه بخدمتك . كم أنا حزين له ! يالله من شاب خير ! ومع ذلك فهو عاطل منذ أمد طويل . إنه سيؤدى واجبه على أكمل وجه وسيخدمك باخلاص : لقد ترك عمله الأول بسبب الخدمة العسكرية ولولاذلك ما ترك مخدومه الأول

عاد جيرازيم فى المساء التالى وسأل صديقه :

هل أمكنك أن تقوم بشىء فى سبيلى ؟

— نعم ... على ماأعتقد : دعنا نتناول بعض الشاى أولا ، وبعد ذلك نذهب لمقابلة سيدى

ولم يكن جيرازيم بالراغب فى شرب الشاى : لقد كان منشوقا إلى معرفة ماقر عليه أمره ولكن مقتضيات الواجب واللياقة نحو صديقة أجبرته أن يشرب قدحين من الشاى ، أخذه بعدها صديقه إلى رب الدار

وسأل شاروف جيرازيم عن مكان مسكنه وعن مخدوميه السابقين ، ثم أخبره بعد ذلك باستعداده لقبوله خادماً عاما يؤدى كل مايطلب منه وأن عليه أن يأتى صباح اليوم التالى ليبتدىء عمله . وأذهل جيرازيم هـذا الحظ المفاجئ وكان فرحه عظيما حتى أن قدميه لم تقويا على حمله ، وبعد برهـة رجع جيرازيم إلى غرفة الحوذى

وقال له الحوذى : « حسن يا بنى يجب أن تعنى بأن تؤدى واجبك على الوجه الأكمل حتى لا أضطر يوما إلى الخجل بسببك ، أنت تعرف من هم السادة إذا قصرت مرة تعقبوك دائما بالبحث من أغلاطك وان يدعوك فى سلام أبدا

— كن مطمئنا يا بجور

وانصرف جيرازيم وعبر فى طريقه فناء المنزل ، وكانت غرفة بوليكار تطل على هذا الفناء وكان ينبعث منها نور ضئيل يضىء طريق جيرازيم الذى شعر بالشوق إلى رؤية الغرفة التى ستخصص له ، ولكن زجاج النافذة كان مغطى بالصقيع بحيث يتعذر رؤية أى شىء خلاله . وسمع جيرازيم أصواتا تنبعث من الغرفة فوقف يتسمع . سمع صوتا نسائيا يقول « ماذا نفعل الآن ؟ » فأجاب رجل — وكان بوليكار لا شك :

— لست أدرى .. لست أدرى نطوف الشوارع مستجدين ،

— هذا كل ما بقى لنا . وما من حيلة أخرى . يالله لنا ، نحن الفقراء ! أى حياة تعسة نحياها ؟ نكد ونكدح من الصباح الباكر حتى الليل يوما بعد يوم وعاما بعد عام ، وعندما تتقدم بنا السن نتضور جوعا

— ماذا نفعل ؟ إن سيدنا ليس من طبقتنا ، ولا جدوى فى الذهاب والتحدث إليه . إنه لا يهتم إلا بمصلحته

— كل السادة على مثل هذه الحالة . إنهم لا يهتمون إلا بأنفسهم ، لا يخطر ببالهم أننا نعمل بشرف وإخلاص مدى سنوات ، نفنى زهرة قوانا فى القيام بخدمتهم ثم يخشون أن يبقونا عاما آخر ، حتى ولو كانت لدينا القوة للقيام بواجباتهم . فإذا عجزنا تماما وجب علينا أن ننصرف من تلقاء أنفسنا

— إن شاروف لا يلام بقدر ما يلام حوذيه الذى يود الحصول على مهنة لصديقه

— نعم ... يا له من ثعبان ! إنه يعرف كيف يشقشق بلسانه ... وأنت يا بجور أيها الحيوان القذر اللسان ... انتظر ، سأنتقم منك ، إنى سأذهب إلى السيد وأخبره كيف كان هذا الوغد يغشه وكيف يسرق التبن والعلف . وسأقنع السيد أن هذا الوغد يكذب فى كل ما ينقله عنا

— لا لا : أيتها المرأة لا ترتكبى خطيئة

أية خطيئة ؟ أو ليس حقا ما أقوله ؟ إننى أعرف صدق ما سأتحدث به وسأقضى بكل شىء للسيد . ولم لا ؟ ماذا نفعل الآن ؟ أين نذهب ؟ لقد حطمنا ، وانفجرت المرأة باكية متأوهة

سمع جيرازيم الحديث كله وكأن خنجرا نفذ فى أوصاله . لقد تحقق أى بلاء كان يجره إلى هذين الشيخين وشعر أن قلبه يتمزق

وقف حيث كان زمنا طويلا محزونا غارقا فى الفكر ، ثم دار على عقبيه وذهب ثانية إلى غرفة الحوذى الذى سأله عندما رآه

— هل نسيت شيئا ؟

وأجاب جيرازيم متلعثما : لا ... لقد أتيت ... استمع إلى ... أود أن أشكرك كثيراً على حسن استقبالك إياى ، وكل ما عانيته من أجلى .. ولكنى لا أقبل العمل هنا

— ماذا ؟ ماذا تعنى ؟

لا شىء . لا أرغب فى العمل هنا ، سأبحث عن عمل آخر .

وانتابت بجور حدة غضب وقال :

— هل تعنى أن تجعلنى مجنونا فى رأى سيدى ؟ هل تعنى ذلك أيها الأبله ؟ لقد أتيت تتضرع فى وداعة وترجو المساعدة . والآن ترفض العمل . أيها الوغد لقد أخزيتنى !

وصعد الدم إلى وجه جيرازيم وخفض عينيه ولكنه لم يلبس بينت شفة

وأدار بجور ظهره فى احتقار وكف عن الكلام وعندئذ التقط جيرازيم قبعته بهدوء وترك غرفة الحوذى وعبر الفناء مسرعا ثم اجتاز باب المنزل وابتعد عن الدار مهرولا

وكان يشعر بالسعادة والفرح ...

يتبع

م.ع.م

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٤ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة

والرواية

فهرس العدد

على الماء ! ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ٧٩١

التصوف على البلاج ... ... : « أنور الجندى ٧٩٨

الاستعمار البريطانى فى الملايو ... : « محمد جنيدى ٨٠١

الأدب الحديث ... ... : « أنيس المقدسى ٨٠٧

طبيعة الحج فى الإسلام ... ... : « محمد فياض ٨١٠

الجواهرى شاعر العراق ... ... : « محمد رجب البيومى ... ٨١٤

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٨١٧

قافلة البصر ... ... (قصيدة) } لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب ٨١٩
لست طروبا ... ... (قصيدة) }
مافوق هذى الأنجم ... (قصيدة) } عزام بك ... ...

النهر الشاعر ... (قصيدة) : للأستاذ أنور العطار ٨١٩

(الكتب) — مسرحية صلاح الدين الأيوبى — للداعية الأستاذ ٨٢٠
عبد الرحمن البنا — للأستاذ محمد رجب البيومى

(البريد الأدبى) — المواهب المقدرة — تصويب واستدراك — ٨٢٢
التقدم بالمصدر — تصحيح نسبة أبيات — أغانى الربيع

(القصص) — الشق المدال — للفيلسوف الروسى تولستوى ٨٢٣

٣٩٠٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 994

Le Caire 21 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٧١ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

علمـــاء !

من مفاليك العامة جماعة انتسبوا إلى علماء الدين كما ينتسب الزواق إلى الحنطة . نالوا شهادة العلم بالغش ، ولبسوا شارة الدين بالباطل ، وبلغوا مناصب الدنيا بالملق ؛ ثم اندسوا فى المجتمع اندساس الإثم فى الضمير ، أو الداء فى البدن ، فكانوا فى الوحدة مظهر تفريق ، وفى النهضة مصدر تعويق ، وفى العقيدة مثار شبهة . ثم اتخذوا من دورهم معامل لتفريخ الأكاذيب ، ومن ندواتهم وسائل لترويج الشوائع ! يشيعون الفاحشة فى الذين آمنوا ، ويثيرون الريبة فى الذين عملوا ، ويقصدون من حركات الاصلاح مقاعد للتربص والتلصص ؛ فإذا دعاهم الصلح هبوا فى وجهه هبّة الريح العاتية على المصباح الهادى ؛ وإذا دعاهم الفساد نفحوا قلبه الوارى نفح النسيم الرخى للنار المشتعلة ! ذلك لأنهم لا يخططون فوائسهم إلا فى الظلام ، ولا يشوون ذبائحهم إلا فى الحريق . ينفرون من الخير كما تنفر الجعلان ، ويفرون من النور كما تفر الخفافيش ، ويموتون من الطهر كما تموت الجراثيم ، ويفزعون من الخير كما تفزع الشياطين ! أما الروح ، وأما الدين ، وأما الخلق ، وأما الأدب ، فهى ألفاظ شأنها فى صدورهم كشأنها فى المعجم : صفات لا تدل على موصوف ، وكلمات لا تزيد على أنها حروف !

المادة فى حياتهم الفارغة هى كل شئ . غلّفوا بها قلوبهم حتى صدئت منهم النفوس ، وأفعموا بها أفواههم حتى تتنت منهم الأنفاس . ثم جعلوها قياسا لكل قضية ، وسببا لكل حكم ، وأساسا لكل نقد ، وغرضا من كل عهد ؛ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

وقد تسول لهم النفس الغرور أن يلوثوا وجوه الصحف بما يكظ بطونهم من أخلاط الحقد على المصلحين والعاملين فيكشفوا عن سوءاتهم ثم يدعوها تزكم الأنوف بالنتن الوبئ ، وتؤذى الآذان بالصوت الكريه !

إن من أول وسائل الاصلاح للدين والدنيا أن يُكنس هؤلاء من معاهد العلم ومقاعد التعليم كما تكنس الأوحال من الطريق . فإن البانى لا يبنى وفى يده مسطرين وفى أيديهم معول . وإن الغارس لا يغرس وفى يده مشتل وفى أيديهم منجل . ولولا أبو جهل وابن سلول وشيعتهما من عدو الله لما قال الرسول الصادق الصابر الشجاع وهو يلوذ بأحد الجدر : اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس !

وأفظع الأمر أن أولئك كانوا يحاربون الله وهم يقولون : كذب ؛ وهؤلاء يحاربونه وهم يقولون : صدق ! وإن الكفر خير من النفاق . وإن الصدارة أفضل من الخدمة . وإن الصراحة على كل حال مظنة ، وإن المراءاة على أى وجه حقارة !

(صيدا)

التصوف على « البلاج »

للأستاذ أنور الجندى

من أعجب المفارقات أن يذكرنى « البلاج » بالتصوف

بل لعل غاية العجب أن أكتب هذا الفصل أمام إحدى « كبائن » ستانلى باى . .

وليست هذه هى المرة الأولى فيما أعتقد، التى تدعو المفارقات فيها مثل هذه الدعوة . .

إننا لاشك نمر بمحنة عنيفة ، تبدأ أطرافها الأولى هنا على البحر ، وتنتهى هناك فى معترك الحرية واستخلاص الحقوق ، وإقامة المجتمع الصالح . .

وليس فى الإمكان أن يجتمع الخير والإثم معا ، ولا أن يشترك الحق والباطل ، ولا يمكن أن نواجه المستقبل إلا بنفوس مفطومة من الشهوات وأوضار اللذات . . فإذا لم نستطع أن نصوغ هذه النفوس ، كنا أعجز من أن نحقق لوطننا أو لبلادنا ما تبتغيه من مجد

ولا عبرة بما يقوله البعض ، من أن النفس الإنسانية تستطيع أن تجمع بين الجهاد واللذة ، أو أن بعض المكافحين والمناضلين كانوا فى حياتهم الخاصة على غير الصورة المثالية التى كانوا يدعون إليها . .

إن « البلاج » الآن مدرسة ضخمة من مدارس الرخاوة والميوعة والانطلاق ، يتلقى فيها الآباء والأمهات والشبان والفتيات والأطفال دروساً على جانب كبير من الخطورة ، إنها أبعد أثرا فى مستقبل هذا الوطن من مدرسة السينما ، أو قل إنها التطبيق العملى لتلك الصور المتحركة

إننى أشك كثيرا فى قدرة الشباب الذى اعتاد أن يقضى بضعة شهور من العام فى محيط ينضح بالإغراء ، واشترك إلى حد كبير فى تلك المناورات التى تقوم على الشاطئ وفى الأمواج ، وفى الكابينات ، أشك كثيرا فى أنه يستطيع الصمود يوما لمعركة فاصلة فى سبيل الحرية أو الإصلاح . .

وهذه الفتاة وهى النصف الثانى من الأمة ، هى الجزء البعيد الأثر فى رعاية الزوج وتنشئة الابن ، كيف يمكن أن يعتمد عليها ، وهى على هذه الصورة من الاندفاع فى العباب العنيف

أنا أومن كل الإيمان بحق الجسم فى الرياضة والهواء والماء ولكن ليس على هذه الصورة المزعجة القاسية ، التى لا يمكن أن تحتملها نفسية الشباب المراهق ، دون أن تدفعه دفعا إلى اتجاه قد يكون بعيد الأثر فى حاضره ومستقبله . .

فى الإمكان أن يتاح للأسر وللشباب وللفتيات أن يحققوا جميعا غايتهم من الاستفادة من الهواء والماء ، بطريقة أو بأخرى، أما على هذه الصورة ، فليس الأمر أمر صحة أو راحة أو إجازة ، فإن الحياة فوق البلاج ليست باليسيرة على النفوس التى تعيشها ، وليست مؤدية بأى حال إلى ذلك السلام أو الاستجمام المنشود . .

وإنما هذا « سوق » يقام ، فيه كل أنواع الصراع والصياح والضجيج ، وفيه قسوة النزاع النفسى الداخلى ، وأسباب الإغراء ، ووسائل المتاع الجسدى ، واستفزاز الشهوات ، وتدفقها واندفاعها . .

إن الحياة فى القاهرة طوال العام ليست إلا مقدمات أو نتائج لهذه الفترة التى يقضيها الفتى أو الفتاة على البلاج . إنها فترة التحضير والأحلام بالأجساد العارية ، والجلسات الماثلة والنظرات الباسمة ، أو هى النتائج القاسية للحظات التى استحكم فيها الشيطان ، أو تطامنت فيها الغريزة . .

إن « الحرية » التى يتمتع بها الناس على البلاج «ضريبة» قاسية تدفع من الأجساد ومن النفوس ومن الأرواح ، تدفع من حساب هذا الوطن ، ولا يستفيد بها إلا خصومه ، فهى

تؤخر نهضته أعواما ، بل أجيالا .. وهى لا تفسد نفوس الجيل الحاضر فحسب ، بل تترك جراثيم المرض لتنمو فى أجساد أخرى ، ما زالت يافعة نضرة ، فإذا استوت كانت أعجز من أن تقاوم التيار أو تواجه الحقائق .. فإذا ما اصطدمت فى «معركة» خرت كليلة واهية

إن الأمم التى أطلقت لنفسها العنان فى ميدان اللهو كانت قد تحررت أولا ونضجت ، واستحصدت شخصيتها .. فكان عليها بعد ذلك أن تلهو .. أما « نحن » الذين ما زلنا نكافح ونجاهد ونصارع فى سبيل الوجود الذاتى ، وفى سبيل تحرير أوطاننا ، وإقامة دعائم مجتمع كامل ، فإننا فى حاجة إلى سواعد قوية مفتولة ، ونفسيات قديمات غاية السمو والكرامة والعزة ، نفوس قـــد فطمت عن الشهوات ، وترفعت عن الصغائر ، وتسامت عن النزوات ، فحفظت كيانهـا الروحى والنفسى والعقلى قويا عاليا . . ولا شك أن مدرسة « البلاج » تتعارض مع هذا النوع من الشباب تعارضا كاملا ، بل إنها من أسباب القضاء عليه . . إنها تمده بالمادة السامة التى تحطم البقية الباقية فيه .. فلا تدعه يسطع يوما ، أو يقف موقفا حاسما ، أو يصمد فى جولة حامية

ولعل هذه المعانى هى التى جعلتنى أفكر فى «التصوف» .. التصوف المستنير الذى عرفه عمر وعلى والحسن البصرى والجنيد ..

هذا الذى يرتبط فيه الزهد فى مغريات الدنيا بالقدرة على مواجهة الحقائق ..

فليس شك أن الرجل « الجنتيل » الذى لا يستطيع أن يجهر بكلمة الحق ، هو فى الأغلب رجل غلبت عليه المطامع الدنيوية ، فهو يجامل ويتملق ، ويسمع مايكره ، ويخفى آراءه الخاصة ، حتى لا تنشأ خصومة مع فلان أو فلان ، ممن قد تضطره الحياة يوما إلى أن يلجأ إليه . . وبهـذا يقال إمعة ، ومصدر هذا أن متاع الحياة قد وقذه ، فمات فى نفسه روح الجرأة والشجاعة الأدبية

أما الصوفى الزاهد الذى استهان بالدنيا واحتقرها ، فهو أجرأ الناس فى قول كلمة الحق ، ونقد ما يراه . .

ولذلك عرف المتصوفة بالجرأة على الزعماء والأمراء والحكام يجبهونهم بكلمة الحق ، ويقولونها سافرة جريئة ولا يبالون . . لأن الحياة هانت عليهم فلم يعد يخيفهم الحرمان منها ، ولأنهم قداستخفوا بزخرفها ، واتعظت من قلوبهم مطامعها ، فأصبحوا يرددون مع الصوفى القديم « إن قتلى شهادة ، وسجنى خلوة ، وتغريبى سياحة »

والتاريخ يذكر شعيبا والفضيل بن عياض وعطاء وأبى حازم وابن السماك وعمارة بن حمزة والأوزاعى ، بأنهم كانوا زهادا صوفية ، وقفوا مواقف الجرأة فى تذكير الخلفاء بعيوبهم وأخطائهم ، ورفضوا ما يقدم لهم من أعطيات أو هدايا ، وكان الخلفاء من سليمان إلى المنصور إلى الرشيد إلى المهدى يسمعون نصحهم بقلوب واجفة ، ونفوس متأهبة لقبول النصح

وعندما وضع الغزالى أصول التصوف ، نصح الصوفية باعتزال الأمراء والحكام ، والانصراف عن موائدهم ، حتى يكون لديهم من الشجاعة ما يكفيهم لأداء رسالتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

• • •

ونحن فى حاجة إلى موجة من التصوف ، حتى نوازن ذلك الخطر «البلاجى» ، وقديما كان التصوف يغزو ميادين الحياة عندما يجنح الناس إلى الترف والغنى ، وينصرفون إلى الأمصار ويكونون الثروات ، فكان بذلك عامل « سد الفراغ » كما يقول المحدثون

ويرمى التصوف فى صميمه إلى القناعة ونفض اليد من البريق ، وشغل القلب عن المتاع ، والانصراف عن زخرف المال والنضار إلى ما هو أسمى منه ..

والتصوف فى غايته يدعو إلى القصد من متاع الدنيا ، رجاء

متاع الآخرة ، والانصراف عن كثير من حلال المتاع خوف الوقوع فى حرامه ، ويهدف إلى حرمان النفس مما تتطلع إليه مما فى أيدى الناس

وكان هؤلاء الصوفية أنفسهم يحملون السيف إبان الغزو ، فإذا انتهى الجهاد بالسيف عادوا إلى جهاد النفس وإخلاص النية لله

وليس شك أن انصراف النفس الإنسانية فى بعض العهود عن التصوف هو الذى أرخى العنان لهجمات التتار والصليبيين ، وكان عاملا فعالا من عوامل الهزيمة ، إذا واجهت هذه القوات التى كانت تحمل فكرة معينة ، جيلا مريضا رخوا قد أضرت به الرغبات وقتلت قوته وصلابته ، فلم يستطع أن يقف أمام الجحافل المثيرة أو يردها ، فلما برز مرة أخرى الرجال الذين أشربوا روح الصوفية الحقة أمثال الشهيد نور الدين زنكى وغيرهم أمكن مقاومة العتاة وسحقهم ، واستعادة مجد البلاد

هى الصوفية الناصعة الصافية التى كانت تتصم باحتقار المغانم والأموال والجاه ، فى سبيل الله ، وترى رجالها فوق سروج الخيل ، وأطباق الماء وأعماق الصحراء

إن نظام الفروسية فى ذاتها الذى اقتبسه الأوربيون ، نظام صوفى ، ونظام الصفوة القائم على الكرم والسخاء والشجاعة والمروءة نظام صوفى ، وهى تهدف فى جملتها إلى أن يجرد الفرد نفسه للأمة ، فيعيش للجماعة ويعيش للفكرة ، ويعيش للمثل الأعلى

ولا شك أن روح الصوفية الخالصة هى التى دفعت أبى حنيفة من أن يقبل القضاء ، وهى التى أدت إلى أن يجلد مالك ويعذب أحمد بن حنبل

فلست أقصد بالتصوف ، ذلك الزهد والاعتدال والاعتكاف ، فليس هذا من الإسلام فى شئ . إننا نمر بمرحلة « الضرورة » من تاريخ الوطن ، وهى تقتضينا أن نكون جميعا جنوداً ، قد أعدوا أنفسهم لاحتمال أعباء كفاح ضخم طويل المدى ، من شأن هذا الكفاح أن نعد له أنفسنا بالتربية الروحية ، هذه التربية التى تستدعى صلابة النفس وقوة الاحتمال والقدرة على مواجهة الخطوب

ولن يتيسر هذا للشباب الذى يئد شبابه ورجولته ووقته ، ويصرفها على غير وجهها

تريد ذلك « التصوف » الذى تحس النفس فيه بالقوة أمام غزوات الإغراء ، والاستعلاء أمام الملذات والشهوات ، هذا التصوف الذى يدفعنا فى الحياة كراما ، نعمل ونجاهد ونواجه الخطوب ، فنصبر لها ونقاومها ، ولا ننهزم أمامها ولا ننهار

إستانبول

أنور الجندى

مختارات من الأدب الفرنسى

شعر ونثر

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

ثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

عود على بدء

الاستعمار البريطاني في الملايو

عرض وتحليل

للأستاذ محمد جنيدي

هناك في الشرق الأقصى على بعد آلاف الأميال من قلب العالم الإسلامي يرقد شبه جزيرة الملايو وبضة الأسد المتحفز للوثبة الكبرى للتحرر من قيود الذل والاستعباد

هناك وعي قومي منبعث من النفوس الحرة ، ثائر على الأوضاع الاستعمارية . يمثل القوى القومية الناهضة للقوى الاستعمارية . يضع الخطوط الرئيسية الأولى لبرنامج قومي لإعداد قوى الأمة لجهاد طويل مرير ، وكفاح شاق عنيف . تسفك خلاله دماء زكية ، وتبذل أموال طائلة ، حتى يتحقق الأمل القومي المنشود

لقد انقضى أكثر من ثلاثة قرون للحكم البريطاني في الملايو تخللتها تطورات في أنظمة الحكم ، وتغييرات في شؤون المال والاقتصاد . ولا يزال الحكم البريطاني فارضا سلطته على الشعب الملايوي مستغلا جهوده . وملايا قطر شرقي يقع في جنوب شرق آسيا ، يطل على المحيط الهندي . اشتهر في العصر الحديث بإنتاجه الزاخر من المطاط والقصدير ، وبقاعدته الحربية (سنغافورة) وأهم إنتاجه المعدني القصدير . وفي جزيرة سنغافورة القاعدة الحربية البريطانية أكبر مصفاة لتصفية القصدير الخام في العالم تملكها الشركات البريطانية . يرد القصدير الخام على الناقلات البحرية من سائر أنحاء العالم لتصفيته ثم تصديره إلى الأسواق العالمية . وأما أهم إنتاج ملايا الزراعي فهو الأرز . وتنتج غاباتها الكثيفة أنواعا مختلفة من الأخشاب . ويصدر المطاط والقصدير والأخشاب وزيت جوز الهند والأناناس والكوبرا إلى البلدان الأجنبية . وتستغل الشركات البريطانية والأوربية والصينية المزارع الواسعة التي تفيض بأحسن المنتوجات . ويتحكم البريطانيون في إنتاج المطاط وفي تقرير سعره . والمطاط هو الدافع العظيم لبقاء بريطانيا في الملايو . فقد تخلت عن بعض مستعمراتها في الهند الشرقية لهولاندا إزاء تنازل هولندا عن بعض مستعمراتها في الملايو ... ففي عام ١٨٢٤ تنازلت بريطانيا عن ولاية (Bankulen) في جزيرة سومطرا لهولندا . وتخلت هولندا لها عن مقاطعة (Malacca) في الملايو . ويظهر لنا من خلال هذا التبادل مدى اتحاد الحكومات الغربية في سبيل استعباد الشعوب الشرقية الضعيفة . وفي سبيل الاستعمار والاستغلال تأتلف القوى الغربية الحديثة وتقف جبهة متحدة أمام القوى المناوئة لها . وأبرز مظاهر التعاون الاستعماري الغربي الحديث : الحرب الكورية والقتال في الهند الصينية والحركات العسكرية في الملايو . فقد اتحدت الدول الاستعمارية الكبرى على القضاء على الحركات التحررية المنبعثة من البلدان الشرقية التي لا تزال تنجرع علقم الاستعمار الغربي . كما تعاونت تعاونا تاما فيما بينها على أحسن الطرق التي يجب على كل منها أن تتبعها إزاء ثورات الأفكار الحرة التي تطالب بالحرية والاستقلال ولا تزال نيران المعارك التحررية مضطرمة في أنحاء الشرق للقضاء على الاستعمار الغربي

بدأ الاستعمار البريطاني في القرن السابع عشر ببسط نفوذه على الملايو . فقد مهدت (شركة الهند الشرقية) البريطانية السبل أمام الحكومة البريطانية لاستعمار الملايو . والاستعمار البريطاني للملايو بدأ أولا عن طريق الفتح الاقتصادي حيث تغلغلت شركة الهند الشرقية البريطانية في حياة الشعب الملايوي الاقتصادية . وغدت المرافق العامة في قبضتها ، واستغلت جهود الشعب الملايوي في الإنتاج ، كما استغلت سوء الحكم الإقطاعي الذي تميز به ذلك العصر في ظل الحكام البريطانيين إليها . حتى تركزت قدمها وانتشر نفوذها . وغدت الحياة الملايوية الاقتصادية تحت إشرافها . فرجال الاستعمار البريطانيون رجال ذوو خبرة وكفاءة ممتازة في أعمالهم ، وذوو معرفة بعلم النفس استعملوا كل وسائل الإغراء والنفاق في جذب النفوس واستمالتها ، والوسائل الاستعمارية البريطانية قد وضحت لدى الشعوب الشرقية ، ورغم معرفتها لها ، فإن التدخل البريطاني في شؤون الشرق

لا يزال مستمرا ، وإذا حققنا الأسباب التي جعلت بريطانيا تتدخل في شؤون الشرق منذ ثلاثة قرون إلى اليوم . برزت لنا من خلال هذه القرون الطويلة مآس دامية طاوحت بالمثل الإنسانية العليا وبالكرامة والشرف ، وصفاء القلب ، ونقاء النفس ، ونزاهة العمل ، مفقودة عن بعض الزعماء الشرقيين الذين نصبوا أنفسهم زعماء على شعوبهم ، فأصيبت بلادهم وشعوبهم بالخسران المبين جزاء لما اقترفوه من إثم . ثم كانت الطامة الكبرى ، والبلية العظمى ، بلية الاستعمار والاستعباد . ولم يدر بخلد الزعماء الشرقيين أن يدرسوا حياة القادة الأوائل الذين أقاموا صروح المدنية الشرقية التي غايتها سعادة الإنسانية وخدمة البشرية ، فاحتفظوا بحرية أوطانهم قرونا عديدة ، حتى انهارت عمالكهم بخروج خلفهم عن السياسة المرسومة التي وضعت لحفظ تراث المدنية الشرقية ، أو يدرسوا حياة القادة الغربيين الذين فرضوا نفوذ حكوماتهم على الشرق ، وكيف كانت نفوسهم تسمو على الصغائر .. لكي تصفو قلوبهم ، وتنقى نفوسهم من أدران الحكم . فيسعوا متحدين لخلق قوة شعبية تناصرهم في منع التدخل الأجنبي في شؤون أوطانهم . وهذه الأمور المعنوية هي السبب الذي أوقع البلاد الشرقية تحت الاستعمار الغربي . وأوقع الملايو ضمنها . وملايا — كما عرفناها — قطر صغير مقسم إلى عدة أقسام يشرف على كل منها حاكم يلقب بالسلطان كان يحكم بلاده حكما إقطاعيا . وقد زال هذا الحكم بانتشار الوعي القومي بين الشعب الملايوي ، وبانتشار النفوذ البريطاني في مصالح الدولة

أوجد الاستعمار البريطاني في الملايو إصلاحا عمرانيا . فقد جيش الوطنيين في إصلاح الطرق وإنشاء الكباري . واستغل جهودهم في التعمير والبناء . فخطوط السكك الحديدية تقطع ملايا من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها . وغدت بعض بلدانها مراكز هامة للتجارة الدولية . وقد اشتهرت (سنغافورة) خلال القرن الرابع عشر بمركزها التجاري للشعوب القاطنة على سواحل المحيط الهادي والهندي . واستمرت شهرتها التجارية حتى الآن ، كما اشتهرت بمركزها الاستراتيجي . وفي سنغافورة جاليات أجنبية كثيرة من شعوب مختلفة . هاجرت إليها ابتغاء المعيشة . وفتحت بريطانيا أبوابها أمام شعوب العالم لتغدو مدينة تجارية حرة في الشرق الأقصى . ثم اشتهرت بعد سنغافورة (ملقا) في القرن السادس عشر ، وأصبحت مركزا تجاريا دوليا . وحشيت بريطانيا أن تنافس ملقا جزيرة سنغافورة من ناحيتها التجارية فأغلقت أبوابها أمام التجارة الدولية . وأصبحت ذات مركز تجاري ثانوي . . ولا ننسى الاستعمار فضله في إنشاء ملايا وتعميرها ؛ فقد كانت قبل الاستعمار الأوربي قطعة أرض لم تمسها يد الإصلاح . والداخلة في عهد الاستعمار الغربي أحالها إلى قطعة جميلة توفرت فيها وسائل الترفيه والكمال . وغدت مدنها الكبرى في مستوى البلدان الراقية في الشرق . ولم يعمل الحكم البريطاني على نشر الثقافة والتعليم بين الشعب الملايوي . ويعلم القارئ الكريم أن من مبادئ السياسة الاستعمارية الغربية في الشرق عدم نشر التعليم بين المستعمرين ؛ لأن العلم والاستعمار لا يتفقان . وأما التعليم الذي نشره الاستعمار البريطاني في ملايا فهو تعليم بسيط لفئة قليلة من الوطنيين لخدمة الحكم البريطاني في مصالح الدولة . وسنتكلم في نهاية البحث عن الثقافة في الملايو منذ بدأ الحكم البريطاني فيها . وعن مجهود الوطنيين في نشر التربية الوطنية والثقافة بين مواطنيهم

تنقسم ملايا طبيعيا إلى إحدى عشرة ولاية ومقاطعة، وهي:

١ — سنغافورة ٢ — ملقا ٣ — بيراك ٤ — سيلانجور ٥ — نجري سمبيلان ٦ — فاهانج ٧ — كده ٨ — بيرليس ٩ — كلانتان ١٠ — ترنجانو ١١ — جوهور

وقد قسمتها الحكومة البريطانية إلى ثلاث وحدات سياسية، كل وحدة منها منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال . ولكل منها حكومة محلية يشرف عليها مستشار بريطاني يتصل بالمندوب السامي البريطاني . وهذا يتصل بوزارة المستعمرات البريطانية ، وهذه الوحدات هي :

١ — مستعمرات البوغاز (Straits Settlements) وتتكون من ثلاث مقاطعات هي : (١) سنغافوره (٢) فينانج (٣) ملقا وهذه المستعمرات ليس عليها سلطان وطني . لذلك اعتبرتها بريطانيا فيما بعد من ممتلكاتها فيما وراء البحار

وهذه المستعمرات متقاربة فيما بينها ، والحركات التجارية فيها عظيمة ، ويمكن اعتبارها من البلدان التجارية الهامة فى جنوب شرق آسيا ، وقد جعلها الاستعمار البريطانى مراكز دولية فى الشرق الأقصى ، ففيها جاليات أجنبية كبيرة ، وفيها مؤسساتها الثقافية والاقتصادية ، والحياة فيها تقوم على شؤون التجارة الدولية

٢ — ولايات ملايا المتحدة (Federalde Malay States) وتتشكل من أربع ولايات كبيرة هى : (١) بيراك (٢) سلانجور (٣) نجرى سبيلان (٤) فاهانج ، والرئيس الوطنى لكل ولاية هو السلطان ، وفى عام ١٩٠٩ — أنشأت الحكومة البريطانية لهذه الولايات مجلسا اتحاديا (Federal Council) للاشراف على شؤون الولايات العليا ، ويرأسه المندوب السامى البريطانى ، وقد اختير أعضاؤه من سلاطين الولايات الأربعة المتحدة ، ومن كبار الأعيان فيها ، ومن البريطانيين والصينيين الذين ليسوا فى خدمة الحكومة المحلية ، وقد أظهر سير الحياة فى الملايو أن هذا المجلس ما هو إلا صورة خيالية أرادت به بريطانيا أن تظهر للملايويين مسايرتها للتطور الذى يحدث فى ملايا

٣ — ولايات ملايا اللامتحدة (Unfederated Malay States) وتتكون من أربع ولايات هى . (١) كده (٢) برليس (٣) كلانتان (٤) ترنجانو ، ولكل ولاية من هذه الولايات سلطان وطنى عليها . ويذكر التاريخ الحديث أن ولايات (كده وكلانتان وترنجانو) كانت خاضعة لمملكة سيام البوذية ، وفى عام ١٩٠٩ عقدت بريطانيا وسيام اتفاقية بمقتضاها انضمت هذه الولايات الثلاث تحت علم الاتحاد البريطانى (Union Jack) وأصبحت خاضعة للحكم البريطانى ، وسميت بولايات ملايا اللامتحدة ، ثم فى عام ١٩١٤ — انضمت ولاية (جوهور) إلى الولايات الملايوية اللا متحدة ، وقبلت مستشارا بريطانيا لها ، وهذه الولاية فى مقدمة الولايات الملايوية تقدما وعمرانا

لنلق نظرة خاطفة على التقسيمات الإدارية التى أجرتها بريطانيا فى ملايا لنستكشف من ورائها ما تخبئه السياسة الاستعمارية البريطانية من نايتها تقسيم ملايا إلى ثلاث وحدات سياسية ، لكل منها أسلوبها الخاص فى سياسة الحكم

إن سياسة فرق تسد لا تزال الحكومة البريطانية تتبعها فى مستعمراتها . فهذه التقسيمات الحكومية للملايا حاجز منيع أرادت به بريطانيا أن تضع ستاراً بين كل ولاية وأخرى يضعف العلاقات القومية بين كل منها . فتصبح الولاية غريبة عن الثانية . ليس هناك عامل قومى يربط بين سكانها ، وأوجدت السياسة الاستعمارية البريطانية بجانب هذه التقسيمات الإدارية حصارا شديدا على الملايويين منعهم عن مباشرة حقوقهم الشرعية فى إنشاء المؤسسات السياسية والثقافية التى تهيئ الشعب لحياة الحرية والاستقلال ، فمنذ بدأ الحكم البريطانى للملايو إلى أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها كان الاشتغال بالسياسة محرما على الشعب الملايوى . ولما بدأ الاحتلال اليابانى للملايو فى فبراير عام ١٩٤٢ نفخ اليابانيون فى أبواق الدعاية اليابانية (آسيا العظمى) و (الرخاء الآسيوى) فدب النشاط الفكرى فى المجتمعات الملايوية : وأقبل اليابانيون على تدريب الشبان الملايويين على الأعمال العسكرية : فشعر الملايويون بحياة جديدة أساسها التفتح والخضوع

لقد نهجت الحكومة البريطانية هذه السياسة فى إدارة شؤون الملايو . وهى سياسة استعمارية بحتة تتنافى مع الحياة فى عصر النور

كنا فى ديسمبر عام ١٩٤١ والقوات اليابانية تكتسح القوات الاستعمارية فى الشرق الأقصى وتطردها عن هذه البقعة التى يسيطر عليها الاستعمار الأوربى منذ ثلاثة قرون . فالقوات اليابانية الصفراء تنتقل من نصر إلى نصر فى معاركها ضد القوات المتحالفة فى الباسفيك وفى جنوب شرق آسيا . وفى ٨ ديسمبر عام ١٩٤١ قذفت القوات اليابانية السائرة نحو جنوب آسيا أول قنبلة على (سنغافورة) ثم تابعت سيرها على الملايو لإقصاء القوات البريطانية عنها . وفى ١٥ فبراير عام ١٩٤٢ وهو يوم تاريخى فى حياة الاستعمار البريطانى فى الشرق الأقصى عقدت وثيقة تسليم سنغافورة إلى القوات اليابانية حيث اجتمع الجنرال (Percival) مع الجنرال (Yamashita) الأول ممثل عن

الحكومة البريطانية : والثانى عن الحكومة اليابانية فى (Ford Factory) ووقعا على وثيقة تسليم ملايا إلى القوات اليابانية وغدت ملايا محتلة يابانية .

لقد دخلت ملايا فى عهد جديد من حياتها العامة . فالسلطات اليابانية المحتلة فرضت نظامها العسكرى على الشعب الملايوى . ذلك النظام الذى أحال الحياة فى الملايو إلى جحيم

ضمت الحكومة اليابانية الملايو إلى جزيرة سومطرة . وكونت منهما دائرة واحدة لها حكومة خاصة تحت إشراف قائد عسكرى . ولما صفيت الملايو من القوات البريطانية ، وانتشى اليابانيون بخمرة النصر ، وأصبحوا سادة الشرق الأقصى قدموا بعض الولايات الملايوية هدية إلى مملكة سيام البوذية جزاء للأعمال الجليلة التى قامت بها سيام نحو القوات اليابانية خلال زحفها إلى الملايو . فعندما كانت المعارك الطاحنة تدور بين القوات اليابانية والقوات البريطانية خلال الحرب الأخيرة فى الشرق الأقصى لم تجد القوات اليابانية منفذاً لها لاكتساح الملايو . فأفسحت سيام المجال أمامها بالدخول من أراضيها والتغلغل فى الأراضى الملايوية . وجزاء لهذه الخدمة الحربية التى قدمتها سيام لليابان سلمت الحكومة اليابانية ولايات (كده . برليس . كلانتان . ترنجانو) الملايوية إلى حكومة سيام لتستعمرها وتستعبد أهلها ...

دار الزمن دورته ، ودارت عجلات الحياة فى الملايو تحت احتلالها . فقد قامت بأعمال تتضاءل أمامها أعمال الشياطين ... وفى ١٠ أغسطس عام ١٩٤٥ ترنح ذلك القزم الشرقى الجبار تحت تأثير قنبلتين ذريتين ألقيتا عليه واستسلم للقوات المتحالفة . وهنا تتحرك السياسة الاستعمارية البريطانية لوضع نظام الحكم الجديد للملايو . ففى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٥ بسطت السلطة العسكرية البريطانية نفوذها على الملايو . وعاد الشعب الملايوى تحت الاستعمار البريطانى مرة ثانية ...

وهنا نتساءل لماذا خضع الشعب الملايوى للاستعمار البريطانى مرة ثانية ؟

هناك عدة أسباب هامة أجبرت الشعب الملايوى على قبول الأمر الواقع . بوقوع بلاده مرة ثانية تحت النفوذ البريطانى . ونتلخص هذه الأسباب فيما يلى :

١ — أن الجيش البريطانى قد بدأ يغزو الملايو قبل التسليم اليابانى ، وأنه تمكن من احتلال بعض مناطقها وفرض سلطته عليها

٢ — أن الشعب الملايوى فقير فى الرجال والقادة الذين يثبتون أمام الكوارث والخطوب . يقودون أمتهم لخوض غمار معارك التحرير ، ويقفون أمام المستعمرين يناضلونهم ويكافحونهم فى ميدان السياسة والاقتصاد .

٣ — أن الجيش اليابانى لم يترك سلاحه فى الملايو كما تركه فى بعض البلاد التى احتلها . فأصبح الشعب الملايوى أعزل من السلاح

٤ — أن فى الملايو أكثر من مليون صينى . وهؤلاء يكونون جبهة متحدة المطالبة بسيادتهم على الملايو . وهم رجال تجارة وأعمال .

٥ — أن الشعب الملايوى تنقصه الدعاية الخارجية لعرض قضيته أمام العالم الحر ، وجذب عطف الشعوب المحبة للحرية إلى جانبه .

٦ — أن القيادة الداخلية للحركات التحريرية لم توسع نطاق أعمالها فى جميع أنحاء الملايو لكى ينصف الشعب الملايوى فى وطنه الذى لاق الأمرين من الاستعمار الغربى ، وأن الدعاية الوطنية لم تنتشر الانتشار المطلوب بين الملايو بين ليشعروا بواجباتهم الوطنية نحو وطنهم

فهذه الأسباب التى أمكننا استنتاجها من الحياة الملايوية هى بعض من أسباب كثيرة جعلت الشعب الملايوى يخضع للأمر الواقع

رسم الساسة البريطانيون القابعون فى مكاتب وزارة المستعمرات البريطانية بلندن السياسة الجديدة التى ستتبعها الحكومة البريطانية فى الملايو بعد أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها . فأصدرت الحكومة البريطانية (الكتاب الأبيض)

وفيه المنهاج الجديد لنظام الحكم فى الملايو . وفى أكتوبر عام ١٩٤٥ وصل السير هارولد مكميل من رجال وزارة المستعمرات البريطانية إلى الملايو . وقدم مذكرة إلى سلاطين ملايا لهو قعوها . وتنص هذه المذكرة باقرار الموقعين عليها تسليم سلطتهم إلى ملك إنكلترا . . ثم فى أول إبريل عام ١٩٤٦ ظهرت على مسرح الحياة فى الملايو الحكومة الجديدة التى أوضحت فى الكتاب الأبيض . وهى حكومة (ملايا المتحدة) (Malayan Union) شملت جميع الولايات والمقاطعات الملايوية وهى حكومة مركزية تولى رئاستها حاكم بريطانى هو السير ادوارد جنت . ويستمد سلطته من حكومة لندن . وبظهور هذه الحكومة توحدت أجزاء ملايا . وأصبح لملايا حكومة واحدة لا ثلاث حكومات كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية ، وخسر سلاطين ملايا مركزهم المالى وهو سلطتهم .

أنشأت حكومة ملايا المتحدة مجلساً تنفيذيا وآخر تشريعيا يعاونان الحاكم البريطانى فى إدارة شؤون الدولة . وانتخب أعضاؤها من البريطانيين ذوى المراكز العالية فى الحكومة الجديدة ومن ممثلى طبقات الشعب . وأنشأت أيضا مجلسا تنفيذيا لمقاطعة سنغافورة وآخر تشريعيا . وانتخب أعضاؤها من اثنين وعشرين عضوا نصفهم ينتخبه الحاكم من أعضاء الحكومة البارزين ، والنصف الآخر من ممثلى الأحزاب السياسية ويشترط فيهم أن يكونوا من رعايا بريطانيا ومولودين فى المستعمرات الجديدة . وقد قامت حركات وطنية ضد الحاكم الجديد ، وقامت الأحزاب السياسية بتنوير أذهان الشعب حول الحكم الجديد وما يخبئه لمستقبله . واتحدت كلمة الشعب الملايوى على رفض النظام الجديد الذى سلب كل حق كان يتمتع به سلاطينه .

مضى النظام الجديد فى عمله ما يقرب من عام واحد وهو يترنح تحت ضغط الشعور القومى الملايوى الذى ناصبه العداء منذ مولده . وقد كان هذا النظام تجربة استعمارية لمعرفة مدى قبول الشعب الملايوى للاستعمار البريطانى فى وضعه الجديد وقد باءت بالفشل . فالشعب الملايوى التف حول زعمائه لدفع الحكم الجديد الذى أظهر مناوأته للحياة الملايوية الجديدة الرامية إلى مقاومة الاستعمار وإزالته من ملايا . وفى أول فبراير عام ١٩٤٧ شيع الحكم الجديد إلى مقبرته . وظهر بعده حكم آخر أساسه الاتحاد . فقد استبدل الاستعمار البريطانى حكومة ملايا المتحدة بحكومة أخرى هى حكومة الاتحاد الملايوى (Federation of Malay) وضمت كافة الولايات الملايوية عدا مقاطعة سنغافورة فانها بقيت خارج الاتحاد . حيث أعتبرت تحت التاج البريطانى .

فما هو الجديد فى الحكومة الجديدة ؟

لقد أعاد الحكم الجديد إلى سلاطين ملايا نفوذهم بعد مصادرته الحكومة السابقة . وصاروا يتمتعون بسلطتهم كما كانوا قبل الحرب العالمية الأخيرة . وأفسح الحكم الجديد المجال لممثلى الشعب الملايوى بايجاد مقاعد لهم فى مجلس التنفيذ والتشريع الجديدين . وتولى بعض الوطنيين مناصب الوزارة . وإذا دققنا النظار فى الحكومة الجديدة يظهر لنا أنها حكومة استعمارية ، فقد ترأسها حاكم بريطانى برتبة مندوب سام . واشتراك الأجانب فى التمثيل . فمجلسا التنفيذ والتشريع مكون من خمسة وسبعين عضوا منهم أربعة وعشرون عضوا من موظفى الحكومة ذوى المناصب العالية ، وتسعة وزراء ممثلون من مجالس الولايات التى شكلت الحكومة الاتحادية وعضوان عن مقاطعة فينانج وملقا ، وخمسون عضوا ، ، منهم اثنان وعشرون من الوطنيين ، وأربعة عشر من الصينيين وخمسة من الهنود وسبعة من الأوربيين ، وعضو واحد من السيلانيين ، وعضو واحد أيضا من المولدين

هذه هى تشكيلات الحكومة الجديدة ، وقد قبلها الشعب الملايوى مكرها . وخلال هذه التطورات السياسية فى أنظمة الحكم نشطت الحركات القومية التحريرية فى جميع أنحاء ملايا لمقاومة الاستعمار البريطانى فى ثوبه الجديد

أنشأ الأحرار الوطنيون الأحزاب السياسية تسعى لاستقلال الملايو ، وهى أول خطوة سياسية فعالة فى سبيل الاستقلال ، والأحزاب السياسية كالماء والهواء للشعوب المستعبدة لا تستطيع الاستغناء عنها فهى التى تكافح الاستعمار وتنشر الروح الوطنية وتلهب المشاعر والإحساسات القومية ، وتجعلها شعلة نار متوقدة ، وأهم الأحزاب السياسية الملايوية هى :

١ — حزب الاستقلال الملايوى ، ٢ — الهيئة الشعبية الملايوية المتحدة ، ٣ — حزب العمال ، ولكل من هذه الأحزاب برامجها الخاصة فى الكفاح والنضال لتحرير ملايا من الاستعمار ، وأقوى الأحزاب وأعظمها نفوذا هى (الهيئة الشعبية) فهى التى تقف أمام الحكومة الاستعمارية لتدافع عن حقوق الشعب المهضومة ، وتطالب الحكومة البريطانية باستقلال ملايو ، وتنتشر فروعها فى جميع أنحاء ملايا ، ولها منظمات كثيرة للشبان فهم سواعدها فى الكفاح والجهاد ، ويؤيد الطلبة الملايويون المنتشرون فى الشرق الأوسط والأدنى الهيئة الشعبية فى مطالبها الوطنيه وجهادها المقدس . وهؤلاء هم طلائع الدعاية الوطنية الملايويه فى أنحاء الشرق . وقد بعثوا بمذكرات إلى الحكومة البريطانية يؤيدون فيها مطالب وطنهم ، ويطالبون الحكومة البريطانية بتسليم السلطة فى ملايا إلى الوطنيين . وتدل الحياة اليوم فى الملايو على نشاط الأحزاب السياسيه الملايوية فى حركاتها التحريرية ، وهو نشاط ينبئ بالنجاح فى تحقيق الحرية والاستقلال للملايا. إن أمام الملايويين الاحرار مشاكل ومصاعب شتى تعترض سبلهم لتحقيق استقلال ملايا فى زمن قصير ، وتتطلب هذه المشاكل رؤوسا مفكرة عاملة لحلها ، وقد أبرزت الحياة الملايوية الحديثة زعماء ومفكرين يعملون فى الحقل الوطنى ، وأنتجت أعمالهم شعور الطبقة المتعلمة من الشعب الملايوى بالواجبات الملقاة على عواتقها نحو وطنها . وتكونت منها دعامة قوية من دعائم الاستقلال ، تقوم عليها ملايا فى بناء حياتها الجديدة . والبناء هو أول ماتطالبه ملايا — اليوم — فى حياتها الجديدة ، وهو شامل لكل مناحى الحياة لشعب اعترض سبيله الاستعمار قرونا لكى ينهض ويسير فى ركاب الحياة ، ونشر التعليم بكل وسائله المعروفة يؤدى إلى فتح آفاق واسعة من المعرفة بين جمهور الشعب ، وقد كان الاستعمار خلال عهده الطويل فى الملايو مبعدا الشعب الملايوى عن مناهل العلم ، فخلال الحكم البريطانى الطويل استمر ثلاثة قرون حتى أوائل الحرب العالمية الثانية لم تخرج المدارس الحكومية فى الملايو مهندسا أو محاميا أو طبيبا . فما معنى ذلك ؟

لست أجيب القارئ من هذا السؤال فهو أعلم بأسبابه منى

لقد قامت الهيئات التبشيرية والأوربية والأمريكية فى الملايو بفتح المدارس والمعاهد ، كما قامت الهيئات والمنظمات الصينية أيضا بفتح المدارس لأبنائها . وأنشأ الملايويون فى الأيام الأخيرة مدارس لتثقيف أبنائهم بالثقافة الوطنية التى ترتكز على حب الوطن وحب العلم والمعرفة . وفى الملايو اليوم مدارس ثانوية وعالية تابعة للحكومة المستعمرة وللجاليات الأجنبية وللوطنيين وأشهرها كلية السلطان إدريس للمعلمين ، وكلية البنات الملايوية ، ومدرسة الهندسة بكوالا لمفور : ومدرسة الزراعة بسلانجور ، وكلية رافلس للمعلمين والإداريين . وكلية الطب ، وهاتان الكليتان هما نواة للجامعة الملايوية . هذه هى المدارس الثانوية والعالية فى قطر يزيد عدد سكانه على خمسة ملايين نسمة ، نصفهم من الوطنيين ، والنصف الآخر من الأجانب . وفى البلدان الشرقية طلاب ملايويون منتسبون لمعاهدها العالية وجامعاتها ، وهم النواة الأولى للطلبة الملايويين الذين سيحملون مشاعل الحرية إلى وطنهم ليقيموا له حياته الجديدة على أساس العلم والمعرفة

محمد جنيدى

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى

لشاعر فرنسا الخالد

* لامرتين *

ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

اتجاه الأدب الحديث
إلى الطبيعة

للأستاذ أنيس المقدسي

الطبيعة

إذا كان الأدب القروي يعنى خاصة بحياة الفلاح والبيئة التي يعيش فيها فإن أدب الطبيعة يعنى بتصوير المشاهد الطبيعية والتعبير عما تثيره في نفس الإنسان . وليس وصف الطبيعة جديداً في الأدب العربي فقد عرفته جميع العصور الأدبية واشتهر به كثيرون من شعرائها

والوصف الطبيعي القديم وثيق الاتصال بالبيئة البدوية من قفار ورياح وأنواء ونبات وحيوان وما إلى ذلك . وهو عادة دقيق يميل إلى شرح الجزئيات؛ فإذا أراد الشاعر وصف حيوان كالناقة مثلا أو كالحمار الوحشي صور لك أعضاءه وألوانه وأوقفك على جميع حركاته وسكناته

ومن خصائص الوصف البدوي الصدق وعدم التصنع، فهو عموماً عرض واقعي لا يعمد إلى الزخرف اللفظي والتأنق الصناعي الذي نراه شائعاً في عصور الحضارة . يرى الشاعر شيئاً فيعرضه كما هو بلغة قد نراها اليوم غريبة ولكنها جلية مع سجيته منبعثة عن طبيعة بيئته

وقد تطورت البيئة العربية بعد استقرار الملك العربي في الشام والعراق ومصر والأندلس فتطور معها الشعر الوصفي ، وهكذا انصرف عن الصحراء وأحوالها إلى الحواضر الجديدة وما تحويه من بساتين ومتنزهات وفواكه ورياحين ومجاري مياه وما إلى ذلك من ظواهر الحياة المدنية . ولا بد لنا هنا من التنبيه إلى فرق واضح بين أسلوب الوصف البدوي القديم وهذا الوصف الحضري المولد . ففي الأول كما ذكرنا آنفاً يغلب الصدق والبساطة في التصوير . وأما الثاني فتبرز فيه الصناعة الفنية التي تتحرى إلباس الموصوف برداً قشيباً من الخيال . ولقد تمادى المولدون في حرصهم على ابتداع المعاني البيانية حتى طغت الصناعة عندهم على صدق العاطفة فأصبحت الطبيعة في كثير من الأحيان وسيلة لإظهار براعتهم الفنية ومقدرتهم على التوليد

على أننا إذا أنعمنا النظر في وصف القدماء عموماً للطبيعة وقابلناه بما نستجيد في أدبنا الحديث من ذلك وجدنا من الفرق بينهما ما لا نجده بين الشعر القديم أو الجاهلي والشعر المولد في العهد العباسي والأندلسي . فالطبيعة في الشعر القديم لم تتخذ موضوعاً خاصاً وإنما كان الشعر يعرض لها في سياق غرض آخر كالغزل أو المديح أو الفخر ، وكان يكتفي بأشكالها الخارجية لا يتجاوز الأفق الحسي المشاهد إلى ما هو أبعد وأعمق . وبكلمة أخرى لم ير في الظواهر الطبيعية ما يحمله على التأمل العميق وما يوحي إليه المعاني الخالدة والأفكار السامية، ولم يتغير الموقف في الشعر المولد تغيراً يصح أن يسمى اتجاهاً عاماً ، فظلت الطبيعة عند المولدين وسيلة لا غاية ومعرضاً لمشاهد جميلة لا مصدراً لإيحاءات روحية . أما الأدب الحديث فلم يقف عند حد المشاهد التي تهيج النفس بل اتجه اتجاهاً عاماً إلى ما للطبيعة من وجود معنوي بلذ للخيال الجولان فيه ويروق للفكر أن يسمو إليه

ولهذا النظر الحديث إلى الطبيعة خصائص نحاول شرحها فيما يلي :

قد يقال إن الوصف الحديث للطبيعة يمتاز بملاحظة ما لا يؤبه له عادة كانحناء السنبلة وتفتح البراعم وتبعثر أوراق الخريف وربوض البقرة تحت الشجرة واختباء الفراخ تحت جناحي أمها وتجاوب الأجراس في الوادي ولون العشب القاوي وغير ذلك من مشاهد طبيعية متواضعة ، وإنه يرتاح إلى الطبيعة الساذجة (البرية) دون المصطنعة المتنمقة . فهو يؤثر الغاب على البستان ، وشواهق الصخور على أسوار الحصون ، ومجريات الجبال على برك القصور . ورمال الشواطئ والصحاري على الساحات المعبدة في المدن أو النوادي ، والمجاري الطبيعية المتدفقة بين السهول والهضاب على الترع المحفورة لري الحقول والمزارع . بل إنه ليرى روعة خلابة في ما كان يهول القدماء كصخب العواصف وطغيان السهول وانقضاض الشلالات ووصف الرعود وتجهم الفدافد ووحشة الدياجي وتلاطم اللجج وما أشبه . وفي هذا القول شيء كثير من الصحة، على أن ذلك عند التحقيق ليس

الفارق الرئيسي الذي يميز أدب الطبيعة في هذا العصر عنه في العصور السالفة، وإنما يجدر بنا تقدمت الإشارة إليه من أن الأدب الحديث ينظر إلى الطبيعة نظراً معنوياً يتجاوز أفق المشاهدات

ومما لا شك فيه أن التصور المعنوي الذي تثيره المشاهد الطبيعية هو أقوى وأعم في أدبنا الحديث منه في أي عصر من عصورنا الماضية . ولهذا التصور أو النظر المعنوي درجات نجملها في النزعتين التاليتين :

النزعة الحيوية :

وهي اعتبار الطبيعة ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها الأفكار والعواطف

وليس من الصواب القول أن الأدب القديم خلو من مثل هذا النظر أو الشعور . فقد طالما وقف القدماء على الطلول فبثوا لها أشواقهم وسألوها عن أحبابهم، وإنما فعلوا ذلك في الأغلب تمهيداً لبعض أغراضهم وجرياً على اتباع السنة الشعرية التي كانت تقتضي الابتداء بالغزل . ومنهم من أنطق الطبيعة ونسب إليها التأمل والتفكير كما فعل ابن خفاجة الأندلسي في قصيدة يصف جبلا فيقول فيه :

وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مفكر في العواقب

على أننا نعيد القول أن ما نجده من ذلك فيما مضى لم يبلغ أن يكون اتجاها عاما أو بابا مستقلا يلجه الأدباء ليتصلوا بالطبيعة فيستجدوا في هيكلها ويحملوا إلينا منه ما توحيه من جمالها وأسرارها ، أو على الأقل لم يبلغوا في هذا السبيل شأن زملائهم في القرن العشرين

إن الطبيعة في الأدب الحديث « حيوية » عاقلة تحس بضربات فؤادها ويسمع رجع إنشادها ويلذ له التحدث إلى أنهارها وغاباتها وجبالها ووهادها . ويمثل لك ذلك جبران جبران إذ يقف أمام « الأرض » مقابلا محاسنها بقبائح الإنسان فيقول « ما أجملك أيتها الأرض وما أبهاك . ما أتم امتثالك للدور وأنبل خضوعك للشمس . ما أظرفك متشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالضحى . ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك ! نحن نضج وأنت تضحكين . نحن نذنب وأنت تكفرين . نحن نجدف وأنت تباركين . نحن ننجس وأنت تقدسين . نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وأنت تغمرين كلا منا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيف وأنت تملأين بيادرنا بالأقمار ومعاصرنا بالعناقيد . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها الدافع والقذائف وأنت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق ! »

وشكر الله الجر قصيدة في شلال في البرازيل يدعى « تيجوكا » وهي أيضاً من باب الوصف التأملي الذي تشعر فيه بحيوية الطبيعة . ومن أدوارها :

سألت عمائك عني وعدت فأبصرت ما الناس لا تبصر
فيالك قل لي إلام تظل كذلك تجتاحك الأعصر
وأنت تكر كرور الزمان فلا تستقر ولا تفتر
وهذا الوجود كما كان قبل شعوب تجيء وأخرى تروح
ودنيا تضج بسكانها فهذا يغني وهذا ينوح
وذلك مستسلم للقدر

وكثيرة هي وقفات الأدب الحديث على الطبيعة اللاحية من جبال وأودية وأنهار وبحار ونجوم ورياح وبحار حتى ليتعذر حصرها

وكما شغف الأدب الحديث بالطبيعة اللاحية فأحياها وجعلها ذات شعور وإدراك ، ونظر مستوحياً منها الأفكار والخواطر والعبر ، شغف أيضاً بالطبيعة الحية من نبات وحيوان فجعلها موضعاً لتخيلاته وتأملاته ، ووسيلة للتحدث عما يتجلى له في حياته

فقي عالم النبات مثلا يقص علينا جبران جبران حديث البنفسجة التي كانت تطمح أن تكون وردة

وممن استخلص من البنفسجة موضوعاً إنسانيا خليل شيبوب إذ وصف جمالها وتواضعها فقال

قد التحفت أوراقها وتطامنت على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الأجفان يقضي حياؤها عليها بإغضاء اللحاظ الخواشع
وهل كبرياء الدوح تعدل نظرة الملومة في ثوبها المتواضع

وفي غابة من غابات البرازيل يمر الشاعر القروي مرة فيرى دوحة عظيمة قد طرحتها على الأرض يد الإنسان فيحدثنا حديث

تلك « الدوحة الساقطة » وشكواها من جور الإنسان . وفي هذا الحديث تذكرنا الشجرة شيئاً عن حياتها ونشأتها وكيف نمت حتى أصبحت كثيرة الأغصان وارفة الظلال تأوي إليها الطيور ويقصد ظلالها طلاب الراحة . ثم تصف عالم النبات وأنه هو موطن المساواة والخير، لا عالم الإنسان الموبوء بالطمع والفساد، القائم على التعدي والتدمير . وبعد أن تنعى نفسها إلى أشجار الغاب يتناول الشاعر الحديث مستطرداً إلى وصف الدوحات البشرية (أي النوابغ) وما يصيبهم بين الناس من هوان وعناء . ومن الشعر التأملي المستوحى من عالم النبات قصيدة « الورقة المرتعشة » لرشيد أيوب .. يرى الشاعر ورقة من أوراق الخريف فتثير فيه — وقد دنت شمسه للمغيب — خواطر وذكريات ويخاطبها بقوله :

أبنت الربيع استربحي غداً ... فكل الهناء لمن لا يعي
قضيت الربيع وكل الحيا ... ة زمان الربيع فلا تجزعي
فماذا أقول أنا في الشتاء ... وصوت العواصف في مسمعي
أبيت الليالي أرعى النجوم ... وإن نمت نامت همومي معي

* * *

والشعر الحديث المستوحى من الطبيعة النباتية شعر كثير ومثله المستوحى من الطبيعة الحيوانية عالم الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر . وإليك منه بعض الأمثلة :

ينظر الشاعر المصري محمود حسن إسماعيل إلى الغراب وهو واقف على غصن شجرة من أشجار النخيل ، فيتصوره « راهباً » كبير السن واسع الاختبار وعوضاً عن أن يتطير منه كما يفعلون عادة يتلطف في الاقتراب إليه ثم يلقي عليه أسئلة عما لم يستطع فهمه من أسرار الحياة راجياً منه أن يجلو له أسرارها ويكشف أستارها . وهذه الأسئلة ليست في الحقيقة إلا ما يساور نفس السائل لدى تأمله في حياة الناس وأحوالهم . وقد اتخذ الغراب وسيلة للتحدث عنها والتعبير عن رأيه فيها

وفي الخريف يرى إيليا أبو ماضي فراشة وقد دنا أجلها فيجعلها موضوعاً لقصيدته « الفراشة المحتضرة » ومن هذه القصيدة قوله مخاطباً تلك الفراشة :

فالزهر في الحقل أشلاء مبعثرة ... والطير — لا طائر إلا جناحاك
يا روضة في سماء الأرض طائرة ... وطائراً كالأقاحي ذا شذاً زاك
مضى مع الصيف عهد كنت لاهية ... على بساط من الأحلام ضحاك
تمشين عند مجاري الماء رائعة ... والأزاهر والأعشاب مغداك
بالنعمة تتلاشى كلما بعدت ... إن غبت عن مسمعي ما غاب معناك

ويسمع أحمد رامي طائراً يغرد تغريداً شجياً وهو يتنقل من غصن إلى غصن فيغبطه لأنه بعيد عن الناس ويقول له :

راصد صوتك في الفؤاد صدى ... للغابر المدفون من زمني
لك أنة في الليل خافتة ... تسري إلى قلبي بلا أذن
هبني جناحك كي أطير به ... وأحط فوق شواهق القنن
وأطل فوق الكون مبتهجاً ... بجماله المتفاتر الحسن

ومن هذا القبيل موشح للشاعر العراقي محمود الحبوبي استوحاه من تغريد طائر على شجرة غناء ذلك إلى وصف الحياة والناس ، متمنيا لو كان للبشر نصيب من حياة الطائر المرحة الوديعة لعلهم يرجعون إلى صوابهم وينبذون ما أفسد عليهم سعادتهم

ولو أردنا أن نعدد الأمثلة على ما للطبيعة الحية من أثر في أدبنا الحديث لطال بنا سفر الكلام

النزعة التاريخية :

ولم يكتف أدباء هذا العهد بمناجاة الطبيعة وبثها ما يشعرون به ، بل كثيراً ما تراهم ينظرون من خلالها إلى التاريخ حيث يتجلى لهم جلال القدم وحوادث الزمان . والذي يلاحظ أن هذه النزعة تكاد تكون مفقودة في أدبنا الماضي . ومن أمثلتها قصيدة أحمد شوقي « أيها النيل » ومطلعها :

من أي عهد في القرى تتدفق ... وبأي كف في المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من ... عليا الجنان جداولا تترقرق

وفي هذه الوقفة التاريخية يصف النيل مسهباً ذاكراً ما قام على ضفافه من ممالك وأديان، ومن مشى عليها من أنبياء وفاتحين، وأنه كان مهد الحضارة والعلم وموئل الحكمة ومصدر النور

ومن الأنهار الشرقية الموحية للذكريات التاريخية : الفرات ودجلة والأردن والعاصي وبردى واليرموك ونهر الكلب قرب بيروت وسواها . ومن البحيرات طبريا والبحر الميت

طبيعة الحج في الاسلام

للأستاذ محمد فياض

« مهداة إلى الأستاذ الكبير سيد قطب »

الحج في إسلاميته الخالصة ، ركن عبادي حين يتصل بالله في مناسكه وشعائره ، وأقواله وأفعاله ؛ وأساس اجتماعي حين يتجه بالمجموعة الإسلامية ، في مؤتمره السنوي العام ، إلى التنظيم والتعارف ، وإلى توحيد القوى الفردية والجماعية ، والتوجه بها شعار قبلة واحدة : عن صاحبها صدر الخلق ووجدت الحياة ، وإليه تتجه حياتنا كلها ، بما فيها من نشاط واتجاه وأهداف

وبهذه الصورة الإسلامية للحج ، تتحدد وتتأصر ، ضمن ماتتحدد به وتتأصر في الإسلام علاقة الفرد بالجماعة ، وعلاقة الجماعة بالفرد ، وعلاقة كليهما بالله الذي منحهما الوجود والحياة. علاقة لايختلف فيها باطن مع مظهر ، ولا كيف مع مقدار ،

ومن أجل هذه العلاقات ، تقوم دعائم الحج في الإسلام ، منسقة منسجمة : في استعراض عام ، حيث يشهد الله مالك الكون ، وفي توجيه عملي حار ، يرشد الفرد ويوجه الجماعة ، إلى حقيقة العلاقة بينهما ، وإلى حقيقتها بعد مع الله ، وفي وحدة عامة ، تصل السماء بالأرض ، والإنسانية بالكون ، والعباد بالله :

والحجاز من وجهة النظر إليه ، كرقعة تؤدي على ثراها شعائر الحج ، ماموقف الإسلام منه ؟ إنه ميدان الاستعراض العام ، وقاعة المؤتمر السنوي ، ومحراب التوجيه الوجداني ، ومدرسة التربية الاجتماعية . إنه الأرض التي انبثق منها روح الاسلام الأول وبقيت على أرضه « الكعبة » قبلة للانسانية الراشدة ، ورمزية محسوسة بين العباد والرب ، ومنارة معنوية للاسلام في الأرض . إنه معسكر التدريب الذي يعود منه رائده ، وفي قلبه حرارة وانفعال ، وأمامه ثلة من المشاعر والأحاسيس ، بها يملك شحنات من التجاوب : على نهجها يسير ، وعلى أضوائها يهتدي ، في فيافي الحياة ، المضللة للمقدة المختلطة المتشابكة حين يعود ؟ إنه كل ذلك وأكثر منه ! فما فكرة الاسلام عنه[1] ؟ لا : بل ماالقواعد الكلية التي تركنها فكرة الإسلام ، لتحدد طبيعة الحج ، وترتكن عليها أهدافه ؟ بل ما الوسائل التي تقر هذه الطبيعة ، وتلك القواعد ، وتحفظ لها وجودها وكيانها ، حيا ، منتجاً ، محقق الأهداف ، يلمسه الناس ويؤمنون بجدواه ؟

تبدأ النظرة الإسلامية إلى الحج أول ماتبدأ ، بتقرير القاعدة الكلية الأولى ، في النقطة الرمزية المحسوسة التي يتوقف عليها اتصال الناس بالله ، ووحدة الاتجاه الإنساني ، فتقرر هذه القاعدة أن البيت الحرام هو الملك المختار لله في الأرض ، والمقصود لتوحيد الاتجاه : لاشبر فيه ولا فتر لمخلوق ، ولا سلطان لأحد عليه سوى سلطان الله وأحكامه ، لأنه حلقة الاتصال بين الناس والله . ومن الصالح الإنساني أن يكون كذلك ، مادام قد قدر له ذلك الشرف الإلهي الخاص « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » : نعم ،

ولا تقتصر الوقفات التاريخية على الأنهار والبحيرات ، بل تتناول أيضاً الجبال والأودية كجبل الشيخ والكرمل وطور سينا ووادي موسى وسواها

وكما يتأثر الأدب الحديث بالطبيعة الشرقية يتأثر بالطبيعة الغربية . وقد نشر الشاعر محمد عبد الغني كلمة في مجلة الرسالة موضوعها « شعراء الشرق والطبيعة الغربية » ذكر فيها أن كثيراً من شعراء الشرق الذين عرفوا البلدان الغربية تغنوا بمحاسن الطبيعة هناك ومنهم إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمه وشكر الله الجر وبشر فارس والشاعر القروي ونقرى أبو السعود وأشار إلى بعض قصائد له نشرت في مجلة المقتطف سنة ١٩٣٥ ، وإننا نضيف إلى ما ذكر الموقفين المتاليين : « على نهر التامس » في لندن و « على نهر السين » في باريس

وفي أدب المهاجرين وغير المهاجرين أقوال كثيرة من هذا القبيل

أنيس المقدسي

(١) هنا موضوع آخر : نرجو أن نوفق للكتابة فيه بعد استكمال خيوطه

بهذه الإضافة بين الياء والبيت ؛ تقررت هـذه الملكية ، وهذه القاعدة

وحين نتأكد فى عقولنا هذه الأولى ، فإن هناك قاعدة كلية ثانية تقرر أن البيت ، أو المسجد الحرام ، بل الحرم الأرضى الإلهى كله آمن بطبيعة الخلق التى أوجده الله عليها ، آمن بطبيعة التشريع الإلهى للحج ، آمن لا يجب أن يخشى فيه مسلم شيئا ، أو يخاف كائنا سوى الله ، آمن يلجأ إليه أيضا من يضطهد فى دينه من سائر البقاع ، أو من يظلم فى نفسه أو عرضه أو ماله أو أهله ، لو شاء ؛ بل لقد أمن ذلك الحرم المقدس فى أعرق عهود الجاهلية ، وأشدها فتنا ووحشية ، بل لقد أمنت حتى الحيوانات والطيور فى ذلك الحرم الإلهى من اعتداء الناس ، « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ، « ومن دخله كان آمنا » ، « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » ، « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ، « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما »

وإذا ماقررت فى الأذهان هاتان القاعدتان ، فنحن فى حل ، لنأخذ بالقاعدة الكلية الثالثة التى تحدد علاقة المسلمين بالمسجد الحرام ، وتكشف عن سر وجوده ، تنص على أن هذا البيت ، قد جعله الله ليكون بيتا للجميع من المسلمين ، يرجعون إليه رجوع الزائر القاصد لا المالك ، لتستقر فى أذهانهم وفى قلوبهم ، وتسيطر على أرواحهم ونفوسهم اتجاهات الإسلام ، وعلاقاته وأهدافه ، ثم ليعقلوا جيدا ، معنى الوحدة الإسلامية ، ومعنى الاتجاه إلى البيت كقبلة ، وكرمز معنوى محسوس « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس » « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة »

وحين تتقرر هذه الأخرى فى عقائدنا ، ضمن ما نحسبه من اتجاهاتنا وأهدافنا ، فإن هناك قاعدة كلية رابعة بهـا تتقرر المساواة التامة بين سائر الأفراد والجماعات ، أحمرهم وأصفرهم ، وأبيضهم وأسودهم ، سامیهم وآريهم ، لا فرق ، لا فرق بين فقير وغنى ، وحتى بين عبقرى وعادى ... مادامت تجمعهم كلمة الاسلام . ولكن أية مساواة ؟ إنها المساواة الكلية المطلقة ، لا مساواة الصلاة الجزئية المحدودة ، إنها مساواة الوحدة العامة ، مساواة مندوبى العالم ، لمن شاء أن يكون مندوبا لقومه وجماعته ونفسه ، دون أفضلية أو اختيار ، إنها مساواة التجمع حول

٣٩٠٦

بين الله فى التوجه والاستهداء ، واستشفاف النفس ، لمعانى العلاقات الفردية والجماعية والإلهية ، من مظاهر الحج وشعائره بما فيها من مظاهر وجوع ، كل نفس بما تقدر ، وعلى حد ماتستطيع بذله من أفهام ونظرات . إنها أيضا المساواة التى لا تفضل دولة على دولة ، ولا أسرة على أسرة ، ولالونا على لون ، ولا فردا على فرد ، بالقرب أو بالبعد « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد »

وبعد أن يفهم الناس هذه القواعد الأربع عن الحرم ، وعن ملكيته ، وعن حكمة وجوده ؛ وبعد أن تستقر فى الأذهان ، وتطمئن إليها الوجدانات والعواطف .. بعد ذلك كله تلوح فى أفق فكرة الإسلام القاعدة الخامسة التى من أجلها وجدت القواعد الأربعة السالفة ، حتى لا يكون وجودها عبثا ضائع الهدف بدون هذه القواعد الأربع الكلية . تلوح هذه القاعدة كالسقف مستندة على أربعة أركان لتقرر أن الناس جميعا مفروض عليهم واحدا واحدا الحج إلى قبلته التى يتوجه إليها ، حجة محسوسة ملموسة ، منتقلة متحركة ؛ مرة فى عمره — فمن شاء أن يستزيد فهذا موكول لحريته الذاتية — ما دام قد اعتنق شرعة الإسلام . الناس جميعا ، بلا تفريق ولا تمييز ، ولا تفضيل ولا اختيار بين واحد وواحد ، وجماعة وجماعة ، فى اللون أو المكان ، فى القرب أو البعد ، فى الزمان أو المكان ؛ الناس جميعا مفروض عليهم الحج ، واحدا واحدا ، ما دام مسلما ، وما دام قادرا على إحداثها فى عالم الواقع ، قادرا على تحمل نفقات الحج وتبعاته . « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وإلا ، فـ « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها »

ومن هذه القواعد الكلية تتبين طبيعة الحج فى الإسلام ، وتتركز تلك الطبيعة هناك ، فى الحرم الإلهى المقدس ، حيث لا تكليف على الحاج ، ولا شواغل سوى عبادة الله .. بالإيمان والصلوات ، والقربات والحج ؛ وسوى الاستغراق فى الاتصال بينه وبين الله ؛ وسوى التسامى بالروح والأشواق ، والانفعالات والوجدانات ، التطلعة إلى السماء ؛ وسوى التطهر جهد الطاقة من النزعات الجسدية والمادية اللاصقة بالأرض ... هناك فى ذلك

الفردوس الروضى فى عالم من التحرر الوجدانى ؛ تتركز طبيعة الحج فى الإسلام ، فى . وحدة الاتجاه الفردى والجماعى .. إلى الله صاحب القبلة والبيت ، والمسجد والحرم ؛ وفى وحدة المساواة الكلية المطلقة ، المتجردة بين سائر أفراد المسلمين . من أى لون ، ومن أى شعب ، وعلى أى درجة من الوعى والاستعداد والعلم

وعلى هاتين الوحدتين تتحدد وتتأصر علاقة الفرد بالجماعة وبالعكس ، وعلاقة (٢) كليهما بالله ، ضمن ما تتحدد به وتتأصر فى قواعد الإسلام ؛ ولكن هذا التحديد وذلك التأصر ؛ يبدو فى طبيعة الحج عمليا ، على أرحب مايقدمه ركن إسلامى ، وعلى أكمل ما يشمله من أفراد ، بل إنه الركن الوحيد الذى يجمع مسلمى العالم فى مندوبيهم ، فى ساحة واحدة ، ليلقنهم درسا واحدا ، هو المقصود من الحج ، هو الوحدة ، وحدة الاتجاه ، ووحدة المساواة . وبهذا وحده تقوم وحدة العالم الإسلامى ، منسقة الأفراد ، منسجمة الشعوب والجماعات ، محفوظة من الأحداث ، والتقلبات ، والخلوف ، متجهة فى وحدة ، وفى مساواة ، إلى الله صاحب الكون ، وواهب الحياة

ولكن هل تعيش تلك القواعد الكلية وحدها ؟ هل تحفظ طبيعة الحج ، حية منتجة ، محققة الأهداف ، دون وسائل وأسباب ، تحفظ عليها كيانها المقصود ؟ اللهم لا ، إنها وحدها لا تعيش !!

ومرة أخرى ؛ تتقدم الفكرة الإسلامية ، بالوسائل التى تقر فريضة الحج ، ثابتة لا يعتريها تفكك أو تخلخل ؛ تتقدم بما يحافظ على طبيعة الحج ، حية ، منتجة محققة الأهداف ؛ تتقدم بما يقى هذه الفريضة وتلك القواعد وهذه الطبيعة ، شرور الفساد والنقص والاضطراب ؛ تتقدم الفكرة بنفسها ، ثم . بوسائلها ثانية ، لتهدم مظاهر الفساد ومنابع الظلم التى يخشى منها عادة على فريضة الحج وقواعده وطبيعته ؛ وهذه المصادر ، وتلك المنابع ؛ تكمن عادة ، فى الاستبداد من فرد ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد ؛ وتكمن فى الاستغلال الاقتصادى ، المقصور على فرد أو أفراد ، وتكمن فى أخطار التاريخ وتقلبات الزمن ، من دولة قريبة أو بعيدة ، أو من مبدإ مناهض يثابر

(٢) سوف نتحدث فى فقرة أخرى عن «طبيعة العلاقات فى الإسلام»

طبيعة الإسلام ، فى كثير أو قليل ؛ وتكمن أخيراً فى التعطيل بواحد من هذه الثلاثة ، أو بعضها ، أو كلها مجتمعة ، لظاهر من مظاهر الحج ، أو جزء من كيانه ، أو تقليد من تقاليده ، أو سبيل من سبله ، أو تيسير من تيسيراته

... تتقدم الفكرة بنفسها أولا ، ثم بوسائلها ثانية ، على طريقتها المتميزة ، فى أى حقل من حقولها ، فى مخاطبة ، العقل أو العاطفة ، والضمير أو خارجه ، والفرد أو جماعته ، والسلوك أو العمل ، بالتوجيه تارة ، والتشريع أخرى ، وقد تزاوج بينهما ، ومن مصدرين متجاورين : الكتاب والسنة ...

... فتتقدم الفكرة بنفسها ، وتقيم ما يشبه القاعدة ، أو قل قاعدة مساعدة ، أو وسيلة كلية جامعة ؛ لتقاوم بطريقتها المتميزة التعطيل أيا كان مصدره ؛ فتقرر أن المعطل ، كافر ، كافر بنص القرآن « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام .. ؛ بل إنها لتعتبره إلى جوار ما بهذه الآية من صراحة ومخاطبة بالتوجيه وبالتشريع — ملحدا ، « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » ، وبنفس ما بسابقتها من صراحة ومخاطبة قد صيغت هى الأخرى ، مع زائدة ثالثة ، هى فى تلك المشاعية المطلقة ، فى تنكير كلمة الظلم فيها ؛ تلك المشاعية التى دفعت بعض المفسرين ليقولوا المعصية فى الحرم سيئة مضاعفة . مع أن الحقيقة أن هناك حد من السنة ، يفسر نوع الظلم فى الحرم بأنه الاستغلال ، كما سيأتى بمدسطور. وإن كنا نرى أن هذا التشريع المفسر لا يمنع مطلقا من شمول الظلم فى الآية لسائر مصادر التعطيل عن المسجد الحرام، خاصة وفى الآية هذه المشاعية ، المتكئة فى تحديدها على آية ثالثة « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ؛ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ؛ لهم فى الدنيا خزى » هكذا بلفظة المنع وتعبير فى « وسعى فى خرابها »

ثم تتقدم الفكرة الإسلامية بوسائلها ثانية ؛ .. لتقيم الحواجز والسدود .. فتقدم وسيلة أولى ، مساعدة للوسيلة الكلية الجامعة ، وتقوم عليها الوسائل اللاحقة ؛ بها تقرر الفكرة وتفرض على الناس ؛ وجوب تطهير بيت الله « وعهدنا

إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » في غير موضع من القرآن .. وبدهي أن الأمر بالتطهير ليس مقصورا على المأمورين وحدهما ، ولا موقوفا عليهما دون غيرهما من الناس ؛ وبدهي أيضا أن التطهير في مثل هذا المقام ، لا يقصد منه سوى إزالة جميع مصادر التعطيل ، في الحرم كانت ، أو فيما يؤدي إليه « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق »

وتأتي الفكرة بالوسيلة الثانية لتقر الحرم في أمانه وعلى طبيعته ، بعيدا عن المعطلات .. عن طريق التوجيه تارة ... التوجيه الحار المجرد الذي يتسلل إلى ما وراء منافذ الشعور ، فتقرر أن الحرام حرام ، بحرمة من الله لا من إنسان « إن مكة حرام ، حرمها الله .. ولم يحرمها الناس » ثم عن طريق التشريع العملي أخرى ، بأربعة أسباب :

السبب الأول : أن أرض مكة ، وهي قطب الرحى ، ومركز الدائرة في الحج ، أرض مشاعة الملكية للمسلمين جميعا ، لأنها ملك الله ، مباحة لكل قاصد وكل مقيم ، لا ملك فيها لإنسان بعينه ، فلا بيع ولا إيجار . روى الدار قطني من علقمة بن فضلة « نوفي رسول الله ، وما ندعي رباع مكة إلا السوائب ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن » وفي رواية « ولا تباع » وروى عن ابن عمر « إن الله حرم مكة ، فحرام بيع رباعها وأكل ثمنها » « من أكل من أجر بيوت مكة شيئا ، فإنما يأكل نارا » « مكة مناخ ، لا تباع رباعها ، ولا تؤاجر بيوتها » .. كما أن عمر بن الخطاب نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج ، فإنهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا ، كما أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا ، فإنه لا يحل لهم ، وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة

السبب الثاني : تحريم الاستغلال ، من الاحتكار ، وما يشبه الاحتكار .. من تجارة السوق السوداء ، والتلاعب بالسوق التجارية ... « احتكار الطعام في الحرم ، إلحاد فيه » يقول القرطبي : والصوم يأتي على هذا كله

السبب الثالث : تركة الجاهلية الضخمة التي أبقى عليها الإسلام ورثها ، في ذلك التقليد الرائع المشهور ، في نظام السقاية والرفادة ، والأولى معناها إسقاء الحجيج كلهم ، الماء العذب .. « مجانا » بدون مقابل . أما الثانية ، فإطعام من لم يكن له سعة في العيش أو لا زاد معه من الحجاج .. مجانا أيضا وبدون إدانة ؛ هذا النظام التيسيري بجانب مكافحة مصادر التعطيل قد عمل به الرسول ، وعمل به الخلفاء الراشدون . ثم انقطع أو كاد . حين تفشت الخلوف ، ولا ندري .. متى ؟

ثم ، تتقدم الفكرة بالوسيلة الثالثة ، لتقاوم أخطار التقلبات التاريخية ، من دولة قريبة أو بعيدة . وتمنع تيارات المبادئ المناهضة ، المغايرة للإسلام في قليل أو كثير ، سماوية مضت ، أو أرضية حدثت ، فيوصي الرسول في لحظاته الأخيرة وصية تق فريضة الحج ، وشرور هذه الأخطار وتلك التيارات ، بل إنها تكاد تحدد أيضا مكانة الحجاز جميعه ، من العالم الإسلامي والعوالم المناهضة : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » « أخرجوا يهود أهل الحجاز ، ونصارى نجران ، من جزيرة العرب » « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » ؛ كل هذه الأوامر قد كانت امتدادا لعزم الرسول « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع فيها إلا مسلما » ولكن : يبدو أن الرسول لم يجد الفرصة السانحة لتنفيذ تلك الخطة الحكيمة ، ويبدو أيضا أن أبا بكر كان مشغولا في حروب الردة ، وتنظيم الجزيرة ، وتثبيت أقدام المسلمين بها ، فلم تتح له فرصة التنفيذ هو الآخر حتى فعلها عمر ثم هبت الخلوف ، ولا ندري ، متى ؟

وبقيت وسيلة أخيرة ، لتقاوم الاستبداد ، من حاكم ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد .. كمصدر من مصادر التعطيل ، لم أعثر لها بعد على نص خاص . وأعتقد قبل الترجيح أن السبب في ذلك ، هو تكفل كليات الفكرة الإسلامية مباشرة ، بمقاومة هذا المصدر ، في نظام الحكم ، وفي تشريع الفئة الباغية ، والمحاربون الله ورسوله والساعون في الأرض بالفساد

وبهذه الوسائل الكلية والفرعية ، والتوجيهية والتشريعية ، المقررة الواقية : لفريضة الحج وقواعده ؛ تحفظ طبيعته حية ، منتجة ، محققة الأهداف : ذات كيان يلمسه الناس ، ويؤمنون بجدواه ، ولكن هذه الوسائل ، يتوقف تنفيذها على كل مسلم ، على وجدانه وعقله ، وعلى يقينه وعمله ، وعلى خضوعه للأمر

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— تتمة —

فنه الشعري :

لا بد لنا من كلمة عن مذهب الشاعر في فنه ، وطريقته الأدبية في بيانه ، وفيما تقدم في شعره ما يكفي لإيضاح الرأي . ويمكننا أن نلمح ميزات ثلاثا يتسم بها شعره ، وتظهر متشبكة متعانقة في قريضه ، فلا تنخلع واحدة عن أختيها بحال ، هذه الميزات الثلاث هي ، صدق الإحساس ، وقوة التعبير ، وواقعية التفكير

فصدق الإحساس يخلع على أدب الشاعر عاطفة قوية حارة ، تشتعل وتتقد في سطوع وبريق ، وتدفع صاحبها إلى الإجادة والتأثير ، كما يكون لها سحر أخاذ في نفوس القراء ، فما يكاد القارئ يتلو إحدى القصائد حتى ينفعل بانفعال ناظمها ، ويسير في نياره حيث اتجه ، وتصل الأبيات إلى القلب فتحرك كوامنه وتهيج أحاسيسه ، وهنا يكون الأثر المنشود للأدب بوجه عام ، والشعر بوجه خاص ، بل إن الصدق ذاته يجعلك تحس في أعماق نفسك بخواطر متشابهة لما تقرأ ، وكأن الشاعر يعبر عن عواطفك أنت . فقد سلط أشعته على قلبك ، ونفذ إلى أغوارك فرأى الخوالج المستترة ، والكوامن الموغلة ، فجمع أشتاتها المتنافرة ، واتخذ منها مادة شهية لأدبه ، وقد تكون خواطر الشاعر الصادق بعيدة عن شعورك ونبضك ، ولكنك تجدها محببة أثيرة لديك ، وكأنك كنت تحسها قبل ذاك ! وأمامك أبيات يقولها الجواهري في رثاء بعض أصدقائه الشعراء ، تجد فيها كثيرا مما تحب أن تسمعه سواء أحسست به قبل ذلك أم بعد عن إحساسك ، فهو رائع خلاب

أصخت لئن نعاك على ذهول ... كأني قد أصخت لئن نعاني
وكنت أحس أن هناك رزءا ... وأجهل كنهه حتى دهاني
لعنت اللفظ ، ما أقسى وأطغى ... وما أعصى على صور المعاني
تقاضاني بيومك ترجمانا ... وكنت ألوذ منه بترجمان

وصدق الإحساس يلبس حلة زاهية ، إذا اقترن بقوة التعبير وهي الميزة الثانية للشاعر . والناس من قوة التعبير في ليل مشكل ، فقد فهمها الكثيرون على غير وجهها الصحيح ، فرأوها في ترادف الغرابة في اللفظ ، والتعقيد في الصوت ، فكل بيت يحتاج في فهمه إلى معجم لغوي فهو قوي كملقة لبيد ، وكل شاعر يطحن في سمك قرونا صلبة فهو متين رصين كابن هانئ الأندلسي في رأي أبي العلاء . وليست قوة التعبير لدى الجواهري من هذا الطراز العجيب ، ولكنها تظهر في تماسك الألفاظ ، وترابط المعاني مع الوضوح والإشراق . وهي بوضوحها لا تتنافى مع السلاسة والسهولة ، فقد تكون القصيدة من السهل الممتنع وهي آية في قوة التعبير ، ورصانة التركيب ، بل إن السلاسة دائما طريق الشاعر المبتدئ إلى المقدرة والإبداع ، فإذا سار في ميدانه خطوات وجد قوة التعبير تأخذ بناصره ، وتشد أزره ، مع احتفاظه بالرونق الخلاب والانسجام المترابط . وقد بدأ الجواهري قصائده سهلا رقيقا وكلف بشعراء السلاسة كلفا زائدا ، وتفيأ بروائع الوليد وابن زيدون في القديم ، وحافظ والرصافي في الحديث ونسج على منوالهم الرقيق المبدع في نظمه . وقد قرأت له بعض القصائد التي نظمها في صدر شبابه ، فكدت أنسبها إلى البحتري بعينه ، وأخص قصيدة « سامرا » الرقيقة العذبة التي قالها البحتري في القرن العشرين على لسان الجواهري ، ومنها :

الإلهي بالتطهير في الوسيلة الأولى ، فإذا حدث ، وتدهورت طبيعة الحج بانهيار أساس من أساسه ، أو وسيلة من وسائله ، فسببه ليست الفكرة ولا وسائلها ؛ إنما هو عدم الاستجابة بالفهم واليقين ، والسلوك والعمل . إنما هو انهيار الوسيلة الأولى المساعدة ؛ إنما هو التقاعد والتقاعس ، حبا في الحياة ، ولو ذليلة مهيضة الجناح مسلوبة القيم .. إنما هو النقص في الدين ، أو الخروج من الإسلام

محمد فياض

إيه أحبـاى الذين ترعرعوا ما بين أوضاح الصبا وحجوله
إنى وإن غلب السلو صبابتى واعتضت عن نجم الهوى بأفوله
لتشوقى ذكراكمو ويهزنى طرب إلى قال الشباب وقيله
أحبابنـا بين الفرات تعتموا بالعيش بين مياهه ونخيله
بلد تساوى الحسن فيه، فليله كنهاره ، وضحاؤه كأصيله
ساجى الرياح كأنما حلف الصبا ألا يمر عليه غـير عليله
وكفاك من بلد جمالا أنه حدب على إنعاش قلب نزيله

وقد سار الجواهرى مع سلاسته الرقيقة مدة أشواط ، حتى صاحبته القوة والتماسك . فانفق له من ذلك كله ألحان عذبة صادحة . تختلف انخفاضا وارتفاعا باختلاف ما يعالج فى شعره من الأغراض ، وقد نسمع له بعض الجلبة الصاخبة فى قصائده السياسية ، وهى صدى لما يهتز فى نفسه من انفعال ثائر يأخذ مظهره فى جو من الصخب والضجيج ، وفيما أسلفناه من الشعر دليل لما نقول

هذا وقد تعثر فى شعره على ألفاظ يسيرة تنكرها معاجم اللغة ، أو القواعد النحوية والعروضية كقوله

ولن تجدى كليانا نصيرا يدق من الأسى راحا براح

وقوله

أعتماً وأمات البلاد ولودة وأنك يا أم الفراتين أنجب

وقوله :

وأى زمان من مكارم أهله ألنفى والتشريد والإعدام

هذه الأبيات وأمثالها تجد نقدا صاخبا من المتتبعين للأخطاء المطبعية والهنات اللغوية — وكثير ما هم فى بريد الرسالة — ويحسبون أنهم ظفروا بصيد ثمين يجر إليهم نصيبا من الذيوع والحقيقة أن شاعرا كبيرا كالجواهرى ومن على شاكلته من أنداده الأفذاذ لا يجهلون قواعد النحو ، ومسائل اللغة ، ولكن يهملون بعض القيود التى تحد من تدفقهم المزيد ، وقد يرفضون قاعدة علمية ، فيقطعون همزة الوصل ، ويضمون ضمير النصب فى غير مكانه ، وهم يعرفون جميع ما يقوله النحاة واللغويون ، ولست أوافقهم على مذهبهم فى الاستهانة بالقواعد العلمية ، ولكنى أدعو سادتنا المتعقبين الأفاضل أن يريحوا أنفسهم من النقد اللغوى المكشوف ، لأن التعقيب يكون واجبا إذا جهل الناقد حقيقة خطئه ؛ أما إذا كان الخطأ معروفا لطلبة المدارس الثانوية — والابتدائية أحيانا — فلماذا نشغل به الناس

ونعمى إلى ميزة الشاعر الثالثة ، وهى واقعية التفكير ، والشعر العربى فى شتى عصوره يصطبغ بالواقعية ويسايرها فى كل مكان وزمان ، ولكن الهائمين بآداب الغرب وروائعه سنوا فى الشعر مذاهب جديدة ، فأصبحنا نرى الشعر الرمزى الغامض ، والخيالى الطائر المتذبذب ، وصار لكل لون أبطاله ورواده ، ولكن هناك حقيقة واحدة لا يستطيع أن ينكرها منكر ، تلك الحقيقة تنبئ أن رواد المذاهب الشعرية الحديثة لم يستطيعوا أن يفرضوا مذاهبهم على قراء الشعر العربى ، وأعوزهم أن يجدوا الشاعر الوثاب الذى يجذب الأنظار إلى مذهبه ، ويخلق له فريقا من الأشياع والتلاميذ ، وبهذا بقيت الواقعية صفة ملازمة للشعر العربى ، على أن هناك أغراضا شعرية يتحتم على المتجه إليها من الشعراء أن يكون واقعيا ، فالشعر السياسى والاجتماعى يتطلب الواقعية المحيطة الشاملة، ولاسيما إذا كان الشاعر ذا رسالة خاصة فى الإصلاح والتوجيه ، فهو مضطر إلى إلهاب العواطف واستحثاث الجماهير ، ولن يكون ذلك بغير الحديث الواضح المعقول ! وهب أن شاعرا مصلحا كالجواهرى لجأ إلى الرموز الغامضة ، والخيالات التائهة ، والأشواق البعيدة ، والسبحات الحالمة ، واتخذ منها مادة لرسالته فى البعث والإصلاح ، أفيجد من القراء من يستجيب لصرخاته، أو يحس بإحساسه وشعوره؟ هذا ما لا يعقل بحال . ويجب ألا نغفل من حسابنا أن الشعر الرمزى يحتاج إلى عقل يغوص، وذهن يطل، مما يجعل القصيدة شبيهة بمسألة حسابية أو معادلة جبرية ، وبذلك تفقد تأثيرها الساحر ، وتعجز عن أداء رسالة الشعر فى التأثير والانجذاب . وأنا لا أنكر بعض الاهتزازات الغامضة التى تختلج فى النفس حين يقرأ الإنسان بعض القطع الرمزية . ولكن هذه الاهتزازات الغريبة تخلق مزيجا غريبا من الحيرة والقنوط والتساؤل ، وتغرق القارئ فى بحر لجى لا ساحل له ، وهيهات أن يرحب بالغرق عاقل حصيف ، فمتى يجد هؤلاء الحالمون الواهمون شاعرا كبيرا يقود الأذواق إلى مذهبهم الجديد فيمهد له سبيل الذيوع

على أن الواقعية قد أصيبت بكارثة فادحة ، تحاول أن تبغضها إلى الأذواق والقلوب ، فقد دأب بعض المتشاعرين أن يتخذوا من الحوادث اليومية ، والأخبار الصحفية مادة للنظم الواقعي فيصدموا القراء بما هو شبيه بقول حافظ إبراهيم

ثلاثة من رجال النيل قد وقفوا
على مدارسنا سبعين فدانا

ثم يدعون أنهم يعيشون في الحياة ، ويسيرون مع الواقع ، ويعبرون عما يجد في البيئة من شؤون . ويجب أن يفهم هؤلاء السادة أن رسالة الشاعر الواقعي ليست هي التعبير عن الأخبار الصحفية بكلمات موزونة مقفاة ، ولكنه يرى الحادثة فيتأثر بها ، وتثير في نفسه انفعالات خاصة ، وتصل إلى ذهنه فتوحي إليه فيضا من الإلهام الصادق ، ثم تجول في خاطره ثائرة حارة ، فلا يفقده منها غير التعبير عما تخلقه من انفعالات ، وما توحي به من إلهام يبرق بالومض والالتماع . وهنا تكون الحادثة نواة صغيرة لما يدور حولها من ذبذبة وانفعال؛ أما أن تكون الحادثة وحدها مصبوبة في القوالب العروضية ، فالأجدر بالقارئ أن يغفلها تمام الإغفال ، مكتفيا بما قرأه عنها في الصحف والمجلات

وقد نأخذ على الجواهري إخلاله بوحدة القصيدة ، وأرى أنها تتعذر على الشاعر السياسي الذي تتصدد أمامه مظاهر الفساد فيريد أن يلم بها وينبه عليها فوق كل مدبر يستليه ، فإذا تركنا الشعر السياسي إلى غيره وجدنا الشاعر يلتزم الوحدة في أكثر ما قال ، وللقارئ أن يطالع قصائده الوصفية مثل دجلة في الخريف أو الفرات الطافح؛ أو الأصيل في دجلة أو سامراء، فسيجد ما يرضيه من وحدة الموضوع، وترابط المعاني، وتناسق الأفكار. ويهمنا أن نشير إلى مقطوعاته الغزلية الرقيقة التي نظمها في حبيبته الباريسية « أنيت » فقد ظهر فيها الشاعر جديدا في أخيلته ومعانيه ، جديدا في أوزانه وقوافيه، جديدا في نظرته الباسمة للحياة والناس، مع أنه لم يفارق ميزانه الثلاث ، فكان صادق الإحساس ، قوي التصوير ، واقعي التفكير ، فوق طرافة الابتكار ، وجدة السياق، واختلاف الإيقاع . وأرى أن أودع الشاعر — في ختام هذا البحث السريع — بأبيات من قصيدته الجميلة التي نظمها في وداع صديقته «أنيت» لتمتع القارئ ببعض غزله الرائق، وللقصيد المناسبة الموهومة بين وداع ووداع

« أنيت » نزلنا بوادي السباع
بواد يذيب حديد الصراع
يعير فيه الجبان الشجاع
(أنيت) لقد حان يوم الوداع
إلى إلى حبيبي « أنيت »
إلى إلى بجيد وليت !
كأن عروقهما النافرات !
ضروب من الكلم الساحرات
٥ ٥ ٥
إلى بذاك الجبين الصليت
تخافق عن جانبيه الشعر
بيت إلى أريج الزهر
سيعبق في خاطري ماحييت
ويذكرني صبوتي لونيت
إلى إلى حبيبي « أنيت »

(تم البحث)

محمد رجب البيومي

وزارة الحربية والبحرية

تقبل عطاءات بديوان الوزارة لغاية يوم ٣٠/٧/١٩٥٢ عن توريد أدوات كهرباء — سلك — دواية — ماسك كروشيه — عازل صيني — مواسير زنك — مفتاح — موصل كهرباء — لمبات وخلافه

وتطلب الشروط على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما من إدارة العقود والمشتريات بالوزارة ، تضاف إليها ٨٠ مليما أجرة البريد

٢٠٤٨

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

من قباء إلى المدينة

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل ... يكفيك من أشواقها ما تحمل
طال التلوم(١) والقلوب خوافق ... يهفو إليك بها الحنين الأطول
القوم مذ فارقت مكة أعين ... تتطلعون إلى الفجاج وتولهم
أقبلت في بيض الثياب مباركا ... تأبى الكرى وجوانح تتململ(٢)
يا طيب ما صنع الزبير وطلحة ... أفذا يطالعنا النبي المرسل ؟
خف الرجال إليك يهتف جمعهم ... يزجى البشائر وجهك المتهلل(٣)
هي في ركابك ما بها من حاجة ... واستبك الأرض أجل وأفضل
هجرت منازلها بيثرب وانتحت ... وقلوبهم فرحا أخف وأعجل
وغدان هذا من ورائك يرتمي ... إلا إليك ، وبالها متجول
انظر بني النجار حولك عكفا ... أخرى بمكة دورها ما تؤهل
لم ينزلوك على الخؤولة وحدها ... مجلا وهذا من أمامك بذبل(٤)
نزلوا على الإسلام عندك إنه ... يردون نورك حين فاض المنهل(٥)
ما للديار تهزها نشواتها ! ... كل المواطن للنبوة منزل
رفعت نضارتها وطاب أريجها ... نسب بعم المسلمين ويشمل
فكأنما في كل مغنى روضة ... أهي الأناشيد الحسان ترتل(٦)
من العذارى المؤمنات أتنه ... وترددت أنفاسها تتسلسل
عيدا تحييه الملائك من عل ... وكأنما في كل دار بلبل

(١) التمكث والانتظار (٢) كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة (٣) هي الثياب التي كساه إياها الزبير وطلحة في قفولها من الشام بتجارتهما (٤) بسرع
(٥) كان معه في قدومه من قباء إلى المدينة ملأ من بني النجار متقلدين سيوفهم ، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفوا بقدومه (٦) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بقدومه ومما قيل في ذلك :

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

في موكب فله أشرق نوره ... فيه وقام جلاله يتمثل
جمع «النبيين الكرام» فآخذ ... بيد «الإمام» وعائد يتوسل
يمشي به «الروح الأمين» مسلما ... وجبينه بفم النبي مقبل
إيه بني النجار إن محمدا ... لأشد حبا للتي هي أجمل(٧)
خلوا سبيل الله ، ما لرسوله ... عما أعد من المنازل معدل
ذهبت مطيته ، فقيل لها قفي ... هذا مناخك ، لست ممن يجهل
الناس في طلب الحياة وها هنا ... سر لها خاف ، وكنز مقفل
أعطى أبا أيوب رحلك واحدى ... من أمر ربك ما يجيء ويفصل
ودعى الزمام «لأسعد بن زرارة» ... فإليه بعد الله أمرك يوكل(٨)
لما حملت الحق أجمع والهدى ... أمسي بحبل الله حبلك يوصل
يتنافس الأنصار فيك وبادروا ... لمن المفاز ، وأيهم هو أول
هي «كيمياء الحق» لولا أنها ... تهدى العقول لخلتها لا تنقل
دنيا من العجب العجاب ودولة ... بهوى النضار بها ويعلو الجندل
أرأيت أهل الكهف لو لا سرها ... هل كان يكرم (كابهم) ويبجل
شكراً (أبا أيوب) فزت بنعمة ... فيها لنفسك ما تريد وتسأل
ما مثل رفدك في المواطن كلها ... رفد يضاعف ، أو عطاء يجزل
لله دارك من محلة مؤمن ... نزل الحمى فيها ، وحل المقفل
نزل النبي بها ، فحل فناءها ... مجد يقيم ، وسؤدد ما يرحل
مجد (الفتوة) في ضيافة ماجد ... سمح القرى يسدي الجزيل ويبذل
وسمت جفان المطعمين جفانه ... كرما فما يأبى ولا هي تبخل(٩)
أضفى على السعدين(١٠) برد سماحة ... فاهتز جودهما وأقبل يرفل

(٧) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر في طريقه إلى المدينة بقوم يسألونه أن ينزل فيهم فيقول : خلوا سبيلها — يعني ناقته القصواء — فانها مأمورة ، فلما بلغ دار عدي بن النجار قال له بنوه : نحن أخوالك ، لا تجاوزنا فقال : خلوا سبيلها فذهبت حتى بركت عند دار بني مالك بن النجار بقرية من باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذلك في محل المسجد ، واستأذن أبو أيوب النبي في حل رحلها إلى داره فأذن له ، ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه على أبي أيوب وقال المرء مع رحله - فمكث عنده حتى تم بناء المسجد

(٨) أخذ سعد بن زرارة رضي الله عنه ناقة النبي إلى داره (٩) كان المسلمون يتنافسون في حمل الجفان إلى دار أبي أيوب كرامة للرسول الكريم ومشاركة منهم في شرف ضيافته وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة رضي الله عنهما كل يوم ، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه رضي الله عنهن
(١٠) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب

جذلان محتفلا يقرب منهما ... لله مايرضى وما يتقبل
جعل القرى سببا إلى رضوانه ... والبر والإيمان فيما يجعل

جفنة أم زيد بن ثابت (١١)

يازيد من صنع الثريد وماعسى ... ترجو بماعملت يداك وتأمل ؟
بعثتك (أمك) تبتغي في دينها ... مايبتغي ذو الهمة المتعمل
شكر النبي لها، وأطلق دعوة ... صعدت كما شق الفضاء مجلجل
أطيب بتلك هدية يسعى بها ... في الله ساع بالجلال مظلل
لو أنها وزنت بدنيا (قيصر) ... رجحت وأين من الخضم الجدول
هي إن عيبت بوصفها مايجتني ... من نعمة الإسلام، لامايؤكل
ماني جهادك (أم زيد) ربية ... نار الوغى احتدمت وأنت الجحفل
شرع (١٢) سرابيل الحروب وما اكتسى ... من سابغات الخير من يتسربل

المهاجرون في ضيافة الأنصار

يامعشر الأنصار هل لي عندكم ... ناد يضم النابغين ومحفل ؟
عندي لشاعركم تحية شاعر ... يسم القوافي وسمه يتنخل (١٣)
تنميه في دنيا البيان روائع ... منها رواكد ما تريم، وجفل
الثاويات على هدى من ربها ... والسابحات السانحات الجول
شغلت بها الدنيا وماهي بالتي ... تعنى بدنيا الجاهلين وتشغل
تأبى القرار بكل واية ممحل ... وتحل بالوادي الذي لا يمحل
(حسان) أبلغ من يقول وليس لي ... فيه إذا ادعت المصاقع مقول (١٤)
أنتم قضيتم للنبي ذمامه ... ونصرتم الحق الذي لا يخذل
وصنعتم الصنع الجميل كرامة ... لمهاجرين هم الرفيق الأمثل
عرفت موضعكم وكيف سعايكم ... مجد لكم في المسلمين مؤثل
وأذعته نبأ لكم ما مثله ... نبأ يذاع ولا حديث ينقل
القوم قوم الله ملء دياركم ... وكأنهم بديارهم لم يرحلوا (١٥)
الدين يعطف والسماحة تحتفي ... والحب يرعى، والمروءة تكفل
والله يشكر، والنبي بغبطة ... والشرك يصعق والضلالة تذهل
(دين الهدى والحق) في أعراسه ... والجاهلية في المآتم تعول
إن هالها الحدث الذي نكبت به ... فلسوف تنكب بالذي هو أهول
زولي معطلة العقول، فمن قضى ... أن البصائر والعقول تعطل ؟؟
ألق السلاح، فما لخصمك دافع ... ودعي الكفاح، فما لجندك موئل
أزرى بك الفشل المبرح وارمى ... بحمائك القدر الذي لا يفشل
السهل يصعب إن تواكلت القوى ... والصعب إن مضت العزائم يسهل
أرسى المعاقل مؤمن، لا نفسه ... تهفو، ولا إيمانه يتزلزل
هذا النذير فإن أبيت سوى الأذى ... فالأرض بالدم لا محالة تغسل
علقت بعقبك السهام وماعسى ... يبقى الرمي إذا أصيب المقتل ؟
الله أكبر، كل زور يقتضي ... مر السحاب، وكل إفك يبطل

(١١) كان أول طعام أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة.. قال زيد له هذه قصعة أمي فقال: بارك الله فيها (١٢) سواء
(١٣) يختار.
(١٤) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها، والمصاقع جمع مصقع البليغ العالي الصوت لا يرتج عليه في كلامه، والمقول هنا من أسماء اللسان (١٥) تفرق المهاجرون ضيوفا كراما في دور الأنصار

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى
الرحلات الثانية من كتاب
رحلات
لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر في الباكستان
ثمن الأول ثلاثون قرشا والثاني أربعون قرشا عدا أجرة البريد
والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

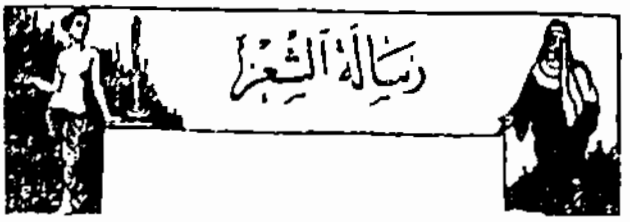

خـــواطر

لصاحب العزة الدكتور عبدالوهاب عزام بك

قافلة البشر

يسير الناس على هذه الأرض فى سبل الحياة ، تنهم السبل أحيانا وتظلم ، وتعترض العقبات ، وتبعد الشقة ، ولكن الأمل يحدوهم ، والوجدان يبصرهم فيهتدون ويسيرون

قيل : ليل مظلم قلت : اذكروا ... فى ظلام الليل إشراق الصباح
قيل : غيم مطبق قلت : انظروا ... رب نجم من وراء الغيم لاح
قيل : مهب طامس مشتبه ... قلت : لكن فيه للسفر اتضاح
قيل : لكن برح السير بنا ... قلت : بعد السير إحراز النجاح
قيل : والمنزل ما آياته ؟ ... قلت : فى منفناه للنار اقتداح(١)
قيل : هل ذاك قصارى سيرنا ... قلت : بل نزل به السفر يراح
قيل : فالتسيار ما غايته ؟ ... قلت : كل الدهر سير ، لا يراح

لست طروبا

قال لى اللائمون : لست طروبا ... لك حقا إلى الصخور انتماء
كم تثير الأوتار لحنا فلحنا ... ويهز الأوتار منا غناء
وترى الناس ثائر الموج لكن ... أنت فى الموج صخرة صماء

• • •

وعلى البحر والمشى صموت ... غير لحن تثيره الدأماء
والهلال النحيل يلقى خيوطا ... هى فى لحة الدجى أسداء
قد طربنا ولم يهز فؤاداً ... فيك نور ولم يهز الماء

• • •

كم رأينا الجمال قيد عيون ... لك منه برغمنا إقضاء

(١) لا يهتدى الناس إلى الغاية فى هذه الحياة إلا بعيص من الإلهام يعلم على المنزل .

تدعى الشعر والفؤاد جماد ! ... كيف ترضى انتسابك الشعراء
إن تكن شاعرا فأمرك بدع ... أنت فى الشعر بيننا إقواء
حسبك الله قد بلغت ملاما ... وحماك الصواب هذا الهراء (٢)
طرب الطفل ونهة وصياح ... ومن الكهل بسمة خرساء
ومن الغصن فى الرياح اهتزاز ... ومن الطود عزة شماء
ضاق قلب من الجمال مجالا ... فإذا كل سره أصداء
رب قلب وعى الجمال ولكن ... عز فيه لسره إفشاء
رب قلب حوى العوالم طرا ... تصغر الأرض عنده والسماء

صافوه شذى الأنجم

قال الصديق ، وقد أطال حواره : ... يا صاحبى ! ماذا وراء الأنجم ؟
قد هالنى منه سؤال هائل ... فأجبته بتعجب وتبسم !
يا صاح ! هذى الزهر هل أدركتها ... حتى تجوز إلى السؤال المفحم ؟
يا صاح ! ما تحت النجوم ؟ أعالم ... ما تحتها فى الكون أم لم تعلم ؟
يا صاح ! أرشك بعده هل تعرفن ... ما فى ضمير الأرض من مستعجم ؟
بل ما عليها ؟ هل أحطت بعلمه ... فى البر أو فى كل بحر خضرم
وجمادها ونباتها والسر فى ... حيوانها من ناطق أو أعجم
أعرفت هذا الإنس فى آحاده ... ونباته فى بؤسها والأنعم
ابدأ بنفسك فاعرفنها جاهدا ... والأرض فانفذها بعقل مقدم
واصعد بعلمك طالبا من مستوى ... ما فوقه ، كالمرتقى فى السلم
فإذا بلغت من الكواكب منزلا ... فهناك فاسأل ما وراء الأنجم

(٢) هذا البيت وما بعده جواب اللائمين

النهر الشاعر *

للاستاذ أنور العطار

نقلها إلى الإنكليزية شعراً المستشرق البريطانى الكبير السيد « أرثور جون أربرى » أستاذ الآداب العربية فى جامعة « كامبردج » فى كتابه « أزهار الشعر »

بردى المشتهى يفكر شعرا ... وهو يحيا لحنا وينساب عطرا
فى حناياه أضلع تتناجى ... وقلوب من حرقة الحب حرى
خبر العالمين جيلا فجيلا ... ووعى الكائنات دهرا فدهرا
خط فى مصحف الوجود سطورا ... باقيات تختال تيها وكبرا

* من كتاب « أزهار الشعر » ص ١٣ لندن — مطبعة طيلورس للكتب الأجنبية جمع ونقل : « أرثور جون أربرى »

صلاح الدين الأيوبي

مسرحية

للمراغية الأستاذ عبد الرحمن البنا

للاستاذ محمد رجب البيومي

الأستاذ عبد الرحمن البنا مؤلف مسرحية « صلاح الدين الأيوبي » داعية غيور متحمس لعروبته وإسلامه ، وخطيب ساحر تعرفه منابر الإخوان المسلمين في عواصم المديريات ومراكز القطر المصري ، وهو — فوق ما يتمتع به من البيان الجزل ، والأدب الرصين — يستمد من إيمانه العميق ينبوعا دافقا للحديث المؤثر الخلاب ، وقبسا ساطعا للهداية الملهمة الرشيدة ، وأنت تجلس إليه في حديث عام فتسمع كلمات : « العروبة والقرآن ومحمد » تتزاحم مطردة في غير سأم ونشاز على لسانه ، فتدرك أن معانيها الحبيبة قد تحولت دما يجري في عروقه ، وعاطفة تتأجج في جوانحه ، وعصبا تعتد شباكه في رأسه ، ورغم دراسته المدنية ، قد حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ، وفهم شروحه المتنوعة فهما واعيا مستنيرا ، وحفلت ذاكرته بعدد زاخر من الأحاديث النبوية المنتقاة ، ودراسة وافية للتاريخ الإسلامي في شتى عصوره ، فتهيأ له من ذلك مادة غزيرة تنصره في ارتجاله الخطابي الذي يتكرر في اليوم الواحد عدة مرات ، وترفعه إلى مستوى يتطلع إليه كثيرون من أصدقائه ومريديه

وقد رأى أن يخدم دعوة الإخوان (التي حمل لواءها شقيقه الإمام الشهيد رضي الله عنه) — بقلمه كما خدمها بلسانه ، فأظهر عدة روايات إسلامية تبرز العناصر الهامة في تاريخ الدعوة المحمدية ، وتصور للقراء انتصار الفكرة المخلصة ، والعقيدة الصادقة ، وقد مثلت جميعا في فترات متقاربة ، وحظيت بإقبال الجمهور وتزاحمه رغم بعدها الشديد عن التدجيل المسرحي الوضيع ، والذي يتملق الغرائز ويستثير العواطف ، بل قيد الكاتب نفسه في كل كلمة وحركة بآداب الإسلام ، وتعاليمه المنتقاة ، وهذه روايته الرائعة « جميل بثينة » — مع ما يلوح من بعدها عن محيط الفكرة الإسلامية — قد حلقت في هذا الأوج الطاهر الرفيع ، فصورت معاني الوفاء والمروءة والصدق والشرف ، ورسمت — في فصل طويل — مناظر الحج والعمرة والطواف والسعي والاستلام ، والنسك ورمي الجمرات والأضحية والتلبية ، وقد أطال الكاتب في ذلك إطالة ممتعة مشوقة ، يهب منها شذى إسلامي عاطر ينعش الأفئدة ويجذب الأرواح

وحين تقدمت الجيوش العربية إلى نجدة فلسطين الشقيقة رأى الأستاذ أن يهتبل الفرصة ، فيذكي الحماس ، ويثير الحمية ، فأخرج مسرحيته الموفقة عن صلاح الدين الأيوبي ، ومثلتها الفرقة الإسلامية المسرح بدار الأوبرا الملكية إبان اشتعال المعركة منذ أعوام ، فتركت أثرها القوي في نفوس الشبيبة الطاهرة من كتائب الإخوان ، واندفعوا إلى حومة الاستشهاد بإذن أرواحهم رخيصة في سبيل الله ، وقد شاء المؤلف أن ينشر مسرحيته اليوم على الناس ، فأبرزها في حلة زاهرة قشيبة ، وقد حفلت بثلاثة فصول قوية محكمة .. وإذا كان العمل الفني يشوه بالتلخيص تشويها يذهب بأصالته وعمقه وجدته ، فنحن نكتفي بذكر العنوان الموجز لكل فصل من الفصول ، فالأول منها يصف المؤامرة

معجبات أنق من الفن لألا ... ء وأبهى من سطعة العلم فكرا
يتلوى زهواً كراقصة الحا ... ن تزى وجداً وتقطر خمرا
مر في الأرض كالربيع انثلاقا ... وكأيامه صفاء وبشرا
وكما جلق الأنيقة ثوبا ... عبقريا من نعمة الفجر أطرى

* * *

أيهذا النهر الحبيب إلى نفـ ... ـسي ويا ملهمي إذا قلت شعرا
عش بقلبي لحنا على الدهر حلوا ... واسر في خاطري فنونا وسحرا

أنور العطار

المواهب المقدرة :

نشرت جريدة المصري في ١٢/٧/١٩٥٢ أن وكالة «تاس» للأنباء السوفيتية أذاعت بأنه منح أخيرا لقب « دكتور في العلوم العملية » لأحد الفلاحين في مزرعة « شوكاومكا » الجماعية وقد نال هذا اللقب دون أن يقدم بحثا في هذا الموضوع كما هي العادة.. وقالت الوكالة: «إن هذا الفلاح وصل إلى اكتشافات عظيمة تنهض بفن الهارة إلى حد كبير . ومن هذه الوسائل العملية التي استحدثها استعمال الجير الحي بدل الجير المطفأ مما يوفر ٢٥ إلى ٣٠ ٪ من الأيدي العاملة »

قرأت بعجب هذا الخبر الذي إن انطوى على شيء فإنما ينطوي على مدى ما تتمتع به هاتيك البلاد من نهضة وتقدم يدل عليهما تقديرها لمواهب الناس العلمية ، ولو كان هؤلاء الناس ممن لم يتمتعوا بالمؤهلات العلمية الضخمة ، ولا بالشهادات الدراسية العالية ، ضنا بالمواهب أن تتلاشى أو تختفي ، أو يحول بينها وبين البروز الحواجز العتيقة من المؤهلات والشهادات وما إليها ..

ترى كم في مصر والشرق من نوابغ موهوبين في شتى العلوم والفنون ، فهل سمعت أن وزارة من وزارات المعارف تفازلت فشملت بعطفها واحدا من هؤلاء تقديرا لنبوغهم ومواهبهم ، وضاربة صفحا عن الحواجز البالية من المؤهلات والشهادات ؟

إن في مصر والشرق شبابا وكهولا بلغوا القمة في النبوغ والشهرة في شتى العلوم والفنون دون أن ينالوا ذرة من تقدير وزارات المعارف ، وليس لهم من ذنب سوى أنهم — لظروف خارجة عن إرادتهم — لم ينالوا مؤهلات ولا شهادات، ولو أنهم نالوا التقدير والتشجيع لفتحوا الآفاق الفسيحة أمام مهرة الصناع ونوابغ الفنانين ...

إن إحدى جامعات أمريكا احتاجت إلى إنشاء كرسي لفن طبائع الطيور ، ولم يشغله إلا صياد له خبرة واسعة في صيد الطيور وهذه كل مؤهلاته أما في مصر والشرق فإن معوقات النهضة فيهما أسلوب من الأساليب البالية التي يجب أن تتلاشى إلى غير رجعة !!

رمل الإسكندرية — نعيمة اليمني

تصويب واستدراك :

السلام عليكم وبعد فقد جاء في العدد ٩٩١ ص ٧٢٧ للأستاذ عدنان بعنوان في مقال لعميد الأدب ذكر المؤلفات العربية التي تعنى بالنقود أخطأ فيه الأستاذ وفاته أشياء.

فأما الخطأ فقد ذكر الرسالة المخطوطة التي أشار إليها الحكرملي وهي رابع كتب النقود التي يعرفها منسوبة إلى الخبيثة التي دبرها الفاطميون لحق الدولة الأيوبية بمصر ، والثاني والثالث يصوران المعارك الحامية التي شنها بطل الإسلام صلاح الدين على أعداء العروبة من الصليبيين . وقد وفق الكاتب حين عمد إلى إبراز الأوضاع السياسية الغابرة التي تشترك مع أوضاعنا الراهنة في كثير من الأمور ، فالهدنة المعقودة، ونقضها المتكرر ، وقتل النساء ، والأطفال والشيوخ ، وتحالف الدول الغربية مع الباطل أمام الحق ، وتدفق الكتائب الإسلامية من مصر وسوريا وفلسطين ... كل ذلك كان بالأمس كما هو اليوم !! وإذا كان النصر النهائي قد حالف صلاح الدين القوي المتسامح في وثبته الظافرة ، فما زالت معركة اليوم تتطلب فصلا أخيرا يرجع الحق إلى نصابه ، ويقشع عن فلسطين كابوس السفلة الأنذال ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فتحقق الآمال، وتتفق المركتان !!

وإني لأهنئ الأستاذ المؤلف بجهاده وإبانه ، وأبارك جهوده الموفقة في سبيل دينه ووطنه ، ولا زلت أنتظر على يده السداد المأمول ، فهو صدى شقيقه الإمام ، وشعاع من شمس أنارت الظلمات ، ثم صعدت إلى ملئها الرحيب في جنات النعيم ، راضية مرضية برضوان الله وثوابه العميم

محمد رجب البيومي

تقي الدين المقريزي والصواب أنها لمصطفى الذهبي الشافعي كما جاء في ص ٦ من كتاب النقود العربية للكرملي

وأما ما فاته فأولا ذكر كتاب النقود لحسين عبد الرحمن باشراف وزارة المالية المتوفى في جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ وهو كتاب كبير حافل يقع في أكثر من ٢٦٢ صفحة وصدر منذ أكثر من أربعة عشر عاما وفيه صور كثير من النقود من صدر الإسلام إلى الآن

وثانيا كان ينبغي للأستاذ عدنان أن يذكر أن رسالات البلاذري والمقريزي ومصطفى الذهبي نشرها الكرملي كاملة في صدر كتابه وصححها وعلق عليها ، فالإشارة إليها أفضل من ذكر طبعة الجوائب وغيرها

وثالثا كان ينبغي للأستاذ اعتبار كتاب الكرملي خامس الكتب العربية التي تعنى بالنقود، فإنه بعد أن نشر في صدر كتابه الرسائل المذكورة آنفا ذكر أقوال ابن خلدون والقلقشندي وذلك لغاية ص ١١٨ ومن ص ١١٩ إلى آخر الكتاب تعرض لبحث النقود بعنوان علم النميات . والكتاب بفهارسه يقع في ٢٥٩ صفحة، وإذا أضفنا إليه كتاب حسين بك عبد الرحمن تكون الكتب العربية المعروفة في النقود ستة لا أربعة . وللأستاذ عدنان خالص التقدير ولمجلة الرسالة فائق التحية

عبد السلام النجار

النعت بالمصدر

في العدد ٧٠٦ من الثقافة الصادر بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٩٥٢ أخذ الأستاذ الفاضل محمود فتحي المحروق على زميله الشاعر الأستاذ كامل نشأت أنه استعمل المصدر صفة في قوله من قصيدة « بحيرة البجع »

والجناح «النصوع» في لونه الأبيض

فلك يسير في استبطاء

والواقع أن الوصف بالمصدر ليس محظورا في اللغة العربية فقد قال ابن هشام الأنصاري المصري في كتابه «أوضح المسالك» : الرابع من الأشياء التي ينعت بها المصدر . قالوا : هذا رجل عدل ورضا وزور ، وذلك عند الكوفيين على التأويل بالمشتق . أي عادل ومرضي وزائر . وعند البصريين على تقدير مضاف أي : ذو عدل ورضا وزور . ولهذا التزم إفراده وتذكيره » اهـ

وهناك رأي ثالث : هو أن الوصف بالمصدر على سبيل المبالغة كأن الشخص المذكور هو نفس العدل والرضا والزور . كأن هذه النعوت قد تمثلت في هذا المنعوت بشرا سويا . وفوق ذلك فإن الوصف بالمصدر شائع الاستعمال في اللغة قرآنا وحديثا وشعرا ، فمنه في القرآن - قول الله في سورة الملك « الذي خلق سبع سموات طباقا ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » أي مطابقة بعضها فوق بعض ، أو ذات طباق : أو كأنها نفس الطباق ، وللأستاذين الفاضلين تحياتي

عبد الحافظ عبد المجيد كمبش

تصحيح نسبة أبيات

ذكر نباش جريدة المصري هذه الأبيات ونسبها لعمران ابن حطان الخارجي

لولا بنيات كزغب القطا ... رددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

وليست هذه الأبيات لعمران بن حطان الخارجي وإنما هي لحطان بن المعلى كما ذكر ذلك أبو تمام في ديوان الحماسة وهي أبيات سبعة أولها

أتزلني الدهر على حكمه ... من شامخ عال إلى خفض

وبعض الرواة ينسبها إلى المعلى الطائي أحد الشعراء الذين نزحوا إلى مصر واستقروا بها

عبد العليم علي محمود

أغاني الربيع

ديوان صغير الحجم كبير المعاني للشاعر الشاب بشير حسن القطان يقع في « ٤٧ » صفحة من القطع المتوسط طبع في بغداد وأهداه إلى قبل أيام، ولست أريد في هذه العجالة أن أبين للقراء ما يحوي من شعر رقيق يبشر بمستقبل زاهر لناظمه ، ولكني

أحببت أن أنبهه إلى بعض الأخطاء التي وجدتها في الديوان وهي

جاء في قصيدة « الناي الفارسي » ص (١١) هذا البيت الخارج عن وزن الأبيات الأخر

لكن النـــاي المثنى قد غدا اليوم حكيميا

بينما القصيدة كلها من مجزوء الرمل ، ثم ورود لفظة عروسة كقوله في ص « ١٦ » — عروسة الشعر أنت الزنبق المطر » وصوابها عروس المؤنث وعريس للمذكر ، ولفظة رغاب بمعنى أمنية ، وقوله ص « ٤٧ » — والأنجم الزهراء والصبح الأغر بينما تجمع أفعل وفعلاء على فعل فيجب أن يقول والأنجم الزهر ، كما في القرآن الكريم « سبع سنبلات خضر » و « يلبسون ثياباً خضراً من سندس » ولم يقل خضراء ، هذه بعض المآخذ وهي لاتنقص من قيمة شعره الرقيق

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

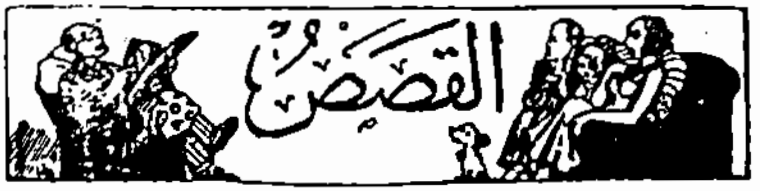

الشقي المدلل

للفيلسوف الروسي (تولستوي)

كانت تقوم على شاطئ البحر الأبيض ، وقريباً من الحدود الفرنسية الإيطالية مملكة صغيرة اسمها « مملكة مونا كو » ، ولعل لكثير من المدن أن تختال على هذه المملكة بوفرة نفوسها وازدحام سكانها ، فإن سكان هذه المملكة ما كانوا يتجاوزون سبعة آلاف ! وعلى أنه لو قسمت بينهم أراضي المملكة جماء لما أصاب المواطن الواحد منهم فدانا ! ومع ذلك كله فقد كان لهذه المملكة ملك حقيق له قصر وحاشية ووزراء ، وله أسقف وجيش وقادة

وعلى أن الجيش لم يكن بالجيش العرمرم الضخم — إذ ما كان عدد أفراده يزيد على الستين — فهو مع ذلك جيش له خطره وأهميته في المحافظة على كيان البلاد... وكان للحكومة في هذه المملكة ضرائب على الشعب تقتضاه إياها شأن بقية الحكومات، فضريبة على التبغ وضريبة على الشراب ، وضريبة أخرى غير هاتين على الرؤوس ... ومع أن الشعب كان كعامة شعوب العالم يدمن التدخين ، ويتعاطى الخمور ، إلا أن ضرائب الحكومة من ذلك لم تكن تسد حاجات الأمير ونفقات بلاطه وجيشه ، ولم تسعفه ضريبة أخرى من مصدر جديد هو لعبة «الروليت» فكان الناس يتقاطرون من أنحاء أوربا ليقامروا هناك في دار القمار ، وسواء أربح اللاعبون أم كانوا من الخاسرين فإن لصاحب الدار حصته المعروفة من المال . وكان يجتمع له بهذا مال كثير يكون النصيب الأوفر منه للأمير .. وتضخم أرباح الأمير من هذه اللعبة مرجعه أن دار القمار هذه الوحيدة من نوعها في أرجاء أوربا كلها ؛ وإذا كان أمراء الألمان قد منعوا من إقامة أمثال هذه البيوت في بلادهم لما يقع فيها من حوادث الإجرام والأضرار المتأتية عن خسارة بعض اللاعبين ومقامراتهم ومضارباتهم وانتهائهم عند نزول الكارثة بهم إلى الانتحار بالرصاص ، وإذا كان أمير « مونا كو » غير متقيد ولا تابع لسلطة من التي يطيعها أمراء الألمان، فقد ألغيت دار القمار عند أولئك وبقيت داره هذه الوحيدة في أوربا التي لا قدرة لأحد أن يتعرض لها بشيء ، وظل هو محتكراً هذه الأرباح

وكذلك كان الناس يفدون على «مونا كو» ليقامروا ، فتارة يخسرون وأخرى يربحون ، أما الأمير فليس له في كلتا الحالتين سوى الربح ... وعلى أن أمير (مونا كو) كان عايا بالمثل القائل « ليس من نتائج أعمال النزاهة والشرف تشييد شـــوامخ القصور . » وعلى أنه كان عارفاً بأن اليسر ليس من مشرفات الأعمال فإنه لم يجد بدا من إبقاء نظام اليسر على وضعه ليسد حاجاته ، وليعيش عيشة يرضاها ، فكان يقيم الحفلات ويولم الولائم ، ويظهر للناس بمظهر الأبهة التي يعهدونها في قصور الملوك . وكان يمنح المنح، ويجزل الهبات ويشكل اللجان ،

ويشرع النظام وينشئ الحاكم . . . وكان يعرض الجيش ويطوف بأنحاء المملكة ، ويفعل فعل غيره من الملوك ولكن في صورة مصغرة كنسبة مملكته الصغيرة إلى بقية الممالك !

* * *

وكان أهل (مونا كو) معروفين بالمسالمة ولين العريكة ، فليس بينهم مجرم ولا سفاح ، حتى حدثت منذ سنوات جريمة قتل كانت الأولى في تاريخ هذه المملكة ؛ فاجتمع لها القضاة في يوم مشهود ليتداولوا في شؤون هذه القضية وفق أصول العدل والانصاف . وكان ذلك الحفل المهيب يضم رجال القانون من محامين وقضاة ومحلفين ومدعين عامين . وقد ظلوا يتدارسون نصوص القانون ، ويؤولونها ، ويذهبون في تفسيرها المذاهب حتى أصدروا حكم الإعدام على ذلك القاتل وفق إحدى مواد القانون ! وحمل القرار من بعد ذلك إلى الأمير ، فقرأه وأصدر الأمر بالموافقة على ما يرتأون !

على أن مشكلة واحدة بقيت لتنفيذ الحكم ، إذ لم يكن في المملكة مقصلة ولا كان بها جلاد ! فبحث الوزراء المشكلة وقرروا أن يفاوضوا الحكومة الفرنسية في أمر إعارتهم مقصلة وجلاداً لتنفيذ حكم الإعدام ، وطلبوا منها معرفة ما يقتضيهم ذلك من الأجور . ثم أرسلوا بالكتاب إلى رئيس الجمهورية الفرنسية .

وبعد أسبوع ورد جواب الرئيس قائلا « إن تكاليف إرسال مقصلة وجلاد تبلغ ستة عشر ألفاً من الفرنكات . » وعرض هذا على الأمير فعجب من استحالة قطع رأس هذا الأثيم إلا بهذا المبلغ الجسيم الذي لا تقوم بشيء منه حياته ! ثم طلب التفتيش عن طريقة أرخص لا ترهق الأهلين بضريبة جديدة يجبرون عليها ، وربما كان من ذلك ثورة جامحة تقلع ألسنتها فتطغى على الأمن في البلاد !

... ودعي مجلس الوزراء للبحث في هذه المشكلة من جديد ... وعندئذ قرر المجلس إرسال طلب آخر إلى ملك إيطاليا، ذلك بأن حكومة فرنسا جمهورية لا ترعى الود المتبادل بين الملوك وليس أمر ملك إيطاليا كذلك ، فإنه — ولا شك — سيرعى حرمة الزمالة التي تربطه بالأمير فيتساهل معه وعلى هذا فقد كتبت رسالة في هذا الغرض وأرسلت ، فجاء الجواب : « إن من دواعي غبطة الحكومة الإيطالية تجهيز جارتها بالمقصلة والجلاد مقابل اثني عشر ألفا من الفرنكات ضمنها تكاليف الإرسال والإعادة » وهذا الأجر وإن كان أقل من سابقه إلا أن المجرم لا يستحق إنفاق هذا المبلغ عليه ، وتكليف الرعية بأن يدفع كل فرد منها فرنكين :

وهكذا دعي المجلس ثالثة للاجتماع فتداول أعضاؤه الأمر ، وتناقشوا في المعضلة لعلهم يهتدون إلى طريقة رخيصة في قتل هذا المجرم . فقال قائلهم : أو لا يمكن تكليف أحد من الجند بقطع رقبة هذا الأثيم ؟ وليكن ذلك كيفما اتفق إذ المهم أن يموت ! فدعي لذلك قائد الجيش وألقى عليه السؤال . فجمع هذا جنده وسألهم : أفي استطاعة أحدكم تنفيذ المهمة ؟ غير أنهم لم يجيبوه ولم يرتضوا ذلك منه ، وقالوا له: « إن ذلك ليس من شأننا — نحن — ولا كان مما سبق أن دربنا عليه ! »

هنالك فكر الوزراء وتذاكروا فأجمعوا أمرهم على تفويض النظر في القضية إلى لجنتين: عليا ودنيا ، وأخيراً تم القرار على الاستعاضة عن حكم الإعدام بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة ، وكان الأمير بهذا يستطيع أن يرعى الرعية وأفئدة ورقة قلبه ، كما أن تلك الطريقة كانت أرخص العقوبات جميعا ! ووافق الأمير على هذا الحكم الأخير وأوشك التنفيذ أن يتم لولا أن قامت أزمة جديدة ؛ تلك هي أزمة إيجاد سجن يقضي فيه هذا السجين حياته .. على أنهم أخيراً وفقوا إلى إيجاد قرفة لا قامته ووكلوا به سجانا يتولى أمر حراسته وإطعامه من مطبخ القصر

ظل السجين في محبسه تتعاقب عليه الشهور حتى اكتملت عليه سنة تماما ؛ ولكن بينا كان الأمير يفحص ميزانية الدولة ويقلب فيها نظره لاحظ أن فيها باباً جديدا من النفقة ؛ تلك هي نفقات سجن هذا المجرم الشقي ، ولم تكن هذه بالنفقات اليسيرة البسيطة ، ولا كانت بالسهلة القليلة ، وإنما كانت شديدة الكلفة ثقيلة الوطأة على ميزانية الدولة ! فقد كان المجرم هذا حارس يمنعه من الهرب ، ورجل غيره يتولى أمر

إطعامه ! وفى هذا السبيل صرفت سنائة فرنك من ميزانية الدولة هذا العام ! والأدهى من ذلك أن الرجل فى ميعة الشباب صحيح البدن معافى ، ولربما امتد به العمر إلى خمسين من السنين ! ولو حسب المرء المسألة هذا الحساب لم يجدها بالسهولة التى كان يتصور ... وعلى ذلك فقد جمع الأمير وزراءه وقال لهم: « إن عليكم أن تكتشفوا طريقة غير هذه تكون أخف مؤونة وأقل منها نفقة ، فهذه التى اتبعتموها باهظة لا قبل لنا بها ! »

وتداول الوزراء الأمر بينهم حتى اهتدى أحدهم إلى فكرة فقال لاخوانه : « أيها السادة ، إن من المعقول — فى نظرى — أن نفصل الحرس فنقتصد نفقاته» . غير أن وزيراً آخر اعترض عليه قائلا : « إن الرجل سيهرب إن لم يجد من يحرسه . » وهنالك رد عليه صاحبه : « إن ذلك ما يريدون إذ لا يهمهم أن يهرب »

وتم على ذلك الاتفاق . فرفعوا إلى الأمير تقريرا يشرحون له الأمر فوافقهم على ما يرتأون . وفصل الحارس من عمله وظل جماعة الوزراء يرتقبون المآل حتى جاء موعد الغداء واشتد بالسجين الجوع ، فخرج بعد أن طال ارتقابه لحارسه حتى يئس منه — إلى مطبخ القصر وأخذ طعامه منه وعاد إلى غرفته وأغلق على نفسه الباب ! وعاد فى اليوم التالى فكرر ما صنع بالأمس فى الوقت المعين المحدود . وهكذا قبل السجين هذا العناء الجديد،دون أن تخطر له فكرة الهرب من هذا السجن على بال !

وإذا فماذا ترى الوزراء فاعلين ؟

هنالك اجتمعوا وبحثوا المشكلة من جديد فقر رأيهم أن يصارحوه بعدم رغبتهم فى بقائه ، فاستدعاه (وزير العدل) إليه وسأله

— مابالك لا تهرب وليس عليك حارس يمنعك ؟ إذهب حيث شئت فلن يعنى بذلك الأمير . فأجاب الرجل : — لعلى استطيع أن أقول إن الأمير لا يعنيه ، ولكن أين المأوى الذى آوى إليه ؟ ولاحيلة لى فى الحصول على قوتى وقد وصمتمونى بأشنع الصفات بأحكامكم التى أصدرتم على . وهؤلاء الناس ان يأتمنونى بعد الآن على شىء . ذلك إلى أنى اعتدت حياة الكسل والخمول فانحطت بالتدريج . لقد أسأتم إلى حقا ، فقد كنتم أصدرتم الحكم على بالإعدام فلم تنفذوه ، ثم استعضتم عن ذلك بحكم الأشغال المؤبدة الشاقة وعينتم لذلك حارساً كان يأتينى بطعامى ، غيرأنكم — بعد برهة من الزمن — عزلتموه فاضطررت إلى الذهاب بنفسى إلى المطبخ للحصول على مايكفينى من الطعام. ثم إنكم — بعد ذلك — تريدوننى على الفرار ! كلا ياسيدى ، كل شىء يصح إلا ماتريدوننى عليه ! اصنعوا ما بدا لكم وافعلوا بى ما حلا لكم غير أنى لن ألوذ بالفرار !

إذاً فكيف ؟

واجتمع مجلس الوزراء يبحث المعضلة بحثاً جديا حاسماً ، ولكنهم احتاروا فيما يقررون ! وترددوا فى اختيار النهج الذى يرون اتباع السير عليه ... إن الرجل لن يبرح الديار أبداً . وفكروا واحتالوا فاوجدوا غير منح الرجل (معاشا) يكفل لهم الخلاص منه ! وأنهوا الحل الأخير إلى الأمير قائلين إنه ليس من حل خير من هذا الذى ارتأوه ، وهو أن يمنح الشقى معاشاً يقيهم أذاه ، ويبعده عنهم! فأقر الأمير رأيهم مرغما وقدر للمجرم الشقى معاشا سنويا قدره (٦٠٠) فرنك فلما أخذ فى ذلك رأيه أجاب

— أما الآن فقد طاب الفرار ! على أن تلزموا أنفسكم دفعه إلى بانتظام .

وهكذا حسمت المشكلة . وأخذ الشقى ثلث جرايته مقدما وغادر المملكة إلى مسيرة ربع ساعة بالقطار ! ونزل قرية ابتاع فيها أرضا بالقرب من حدود بلاده وزرعها متجرا بثمارها وغلاتها وعاش فى راحة واطمئنان . وكان كلما جاء موعد معاشه ذهب فاستلمه ثم اتجه إلى مائدة القمار فقامر عليها بفرنكين أو ثلاثة مكتفيا بهذا القدر اليسير ورجع إلى مهجره يستأنف حياة الدعة والراحة

ولعل من حسن طالعه أنه لم يرتكب جريمته الأولى فى قطار آخر ترخص فيه أثمان قطع الرقاب وتقل فيه تكاليف الإيداع فى أعماق السجون مدى الحياة !

ف . سمه

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٥ — ٢٨ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

نقطة البدء ... ... : للأستاذ سيد قطب ٨٢٥

من معارك الأدب السياسي ... : « عمر حليق ٨٢٨

هل قطعت يد السارق ... ... : للأستاذ محمد عبدالله السمان ٨٣٢

إندونيسيا ... ... : الأستاذ أبو الفتوح عطيفة ... ٨٣٤

عروس الجنة ... ... : للدكتور عمر عودة الخطيب ... ٨٣٦

أبو هلال العسكري ... ... : « عبد العزيز قلقيلة ... ٦٣٨

شاعر السودان ... ... : « عبدالقادر رشيد الناصري ٨٤١

الإسلام وحياتنا العامة ... ... : « محمود عبد العزيز محرم ٨٤٣

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٨٤٦

(الكتب) — أم كلثوم — تأليف الأستاذة نعمات أحمد فؤاد — ٨٤٨
للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ... ...

(البريد الأدبي) — عقاب تذكر وتؤنث — زيادة في الوزن — ٨٤٩
توحيد مناهج التاريخ في البلاد العربية ... ...

(القصص) — اللص الثرثار — عن الانجليزية ٨٥١

٣٩٠٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 995

Le Caire 28 – 6 – 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٢٨ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نقطة البـــدء

الاستاذ سيد قطب

لفينى الأستاذ الأديب الشاعر محمد فهمى وقد قرأ مقالى الأخير فى الرسالة بعنوان : « إلى الناشئين فى العالم الإسلامى » فقال فى شئ غير قليل من الحدة والضيق : لمن تكتبون هذا الكلام ؟ وما قيمة توجيهه إلى شعوب كاملة من الأميين الذين لا يقرأون ما تكتبون ؛ والقلة القليلة التى تقرأ لا تملك أن تفصل بكتلة الشعوب ، لأنها شعوب جاهلة لا تدرى شيئا مما حولها ، ولا تستطيع شيئا حتى لو درت ، لأن الحياة فى هذا العصر تريد شعوبا متعلمة وإلا فالموت والذل للأميين ...

واستمعت إلى ثورته .. إن فيها كثيرا من الحق . وإن كان لهذا الحق بقية هى التى أردت أن أعرضها للناقد الثائر ، لولا أنه لم يمهلنى . لقد ارتفع صوته بالسخط ، وأنا لا أريد أن أسترسل فى مناقشة الساخطين الثائرين !

نعم . نحن فى حاجة إلى توجيه حملات ضخمة لنشر التعليم فى العالم الإسلامى كله نشرا سريعا فى خطوات جازمة حازمة ، لا تسير بخطوات السلحفاة » . نحن فى حاجة إلى توجيه هذه الحملات لا إلى اليمن مثلا حيث يحارب التعليم كما تحارب المخدرات ، أو أشد وأعنف ، لأن المخدرات هناك لا تقاوم ، ونبات (القات) المخدر يزرع فى كل مكان ، ويستعمل فى كل مكان ، ولا تفكر الدولة فى مقاومته كما تفكر فى مقاومة التعليم ، ولا تطارده كما تطارد المتعلمين !

ولا إلى الحجاز ونجد حيث لا تبلغ ميزانية التعليم كلها ربع ميزانية فرد ؛ ولا ينفق عليه عشر ما ينفق على السيارات والسكاليات والعطور

ولا إلى بلاد الشمال الإفريقى حيث يقف الاستعمار سدا فى وجه الثقافة ، حتى اتمد الكتب والمجلات محظورات ، تهرب داخل طرود سرية ، خيفة أن تثير شبهات الجمارك والبريد !

نحن فى حاجة إلى توجيه تلك الحملات لا لمثل هذه الأصقاع فى العالم الإسلامى ، بل إلى مصر التى تعد أكثر بلاد العالم الإسلامى تقدما من هذه الناحية ، إذا استثنينا لبنان ، ونسبة التعليم فيها أكثر ارتفاعا

نعم فى حاجة أن نوجه تلك الحملات إلى مصر التى تعطى وكلاء الوزارات والمديرين العامين بدل سيارات ، يتراوح شهريا بين ثلاثين وأربعين جنيها ثم تخفض ميزانية التعليم إلى الثلث بحجة التقشف ! مصر التى تهدر معظم ما تملكه من العملة الصعبة فى شراء السيارات الفاخرة ثم لا تجد ما تشترى به مصانع أو آلات زراعية ميكانيكية أو آلات صناعية ، أو حتى أدوات

حية ، لأن مالديها من العملة الصعبة محدود ! مصر التي يتعطل ثلاثة أرباع سكانها عن العمل ، لأن مرافق العمل فيها محدودة ، ولا تملك توسيع مرافق العمل هذه ، لأن ميزانيتها تحوى ملايين الجنيهات لشراء أثاث فاخر ، وشراء بخوت فاخرة ، وحضور ولائم ومؤتمرات ونزهات للمحظوظين !

لقد قال لى محدثى الثائر : دعوا الاستعمار - لا تحاربوه الآن . نحن لا يهمنا أن يكون فى أرضنا مليون من الجيوش الاستعمارية . إذا كان لدينا عشرة ملايين فقط من المواطنين المتعلمين . إن ألمانيا محتلة بالجيوش الروسية والأمريكية والإنجليزية والفرنسية ، ولكن الجميع يترضونها ، لأن الشعب الألمانى شعب متعلم ، لا يمكن أن تحكمه جيوش المستعمرين ..

وقال : دعوا الكفاح الاجتماعى لتعديل الأوضاع الاقتصادية — وحتى الدستورية — فهذه الأوضاع التى تتكون منها ستعدل نفسها بنفسها يوم يستحيل الشعب المصرى أو أى شعب عربى أو إسلامى إلى شعب متعلم ..

كنت أريد أن أفهم محدثى أن هذا كله صحيح ، ولكن هنالك أشياء أخرى يجب أن تكون فى الاعتبار . لولا أنه لم يترك لى فرصة للكلام !

نعم . إن الاستعمار لا يملك أن يعيش فى بلد متعلم .. نعم إن الحرمان لا يمكن أن يدوم فى شعب متعلم .. نعم إن الطغيان لا يمكن أن يقوم فى وطن متعلم .. نعم . كل هذا صحيح ؛ ولكن بقى أن نعرف : من هو الشعب المتعلم ؟ ومن هو الفرد المتعلم ؟

إنى أومن بقوة المعرفة . أومن بقوة الثقافة . ولكنى أومن أكثر بقوة التربية ...

إنى أنظر فى تاريخ الاستعمار ، فلا أكاد أجد له أسنادا إلا من المتعلمين .. كل الرجال الذين قدموا للاستعمار خدمات ضخمة . الذين مهدوا للاستعمار ومكنوا له . الذين كشفوا له عن عورات البلاد ومقاتلها . الذين تولوا عنه تحطيم معنويات الوطن وقراءه الكامنة . الذين جعلوا أنفسهم ستارا لمساوى الاستعمار ومخازيه .. كلهم .. كلهم كانوا من المتعلمين !

كذلك كان الذين مهدوا للطغيان وأعانوه استمرأوا سلطان الجبابرة ولم يؤدوا ضريبة الذل والعبودية الذين استغلوا النفوذ للاثراء على حساب الشعب . الذين أفسدوا ضمير الشعب بالمحسوبية والرشوة والسرقة والغش . الذين خانوا الوطن والأمانة والخلق والضمير .. كلهم كانوا كذلك من المتعلمين !

نعم . إنه لو كانت الشعوب أو كثرتها من المتعلمين ما أمكن للمستعمرة أن يسلموا البضاعة بهذا اليسر وهذه السهولة . هذا صحيح . ولكنه صحيح كذلك أن « الصنف » المتعلم الذى تخرجه المدارس فى بلادنا اليوم ، ليس هو الذى يقف فى وجه التيار ، وليس هو الذى يستعصى على المستعمرة ، بدليل أن كثرته يجرفها تيار العبودية والذل والفساد ، دون أن ترفع رأسها ، ودون أن تدافع عن كرامتها ، بل عن إنسانيتها .. إن أنشودة « أكل العيش » هى النشيد القومى للجميع ! وأكل العيش ممكن فى ظلال الكرامة لو أرادها الجميع

إن التعليم الذى نزاوله فى مصر ، ومعظم البلاد الإسلامية ، تعليم فاشل ، بل تعليم قاتل . إنه تعليم بلا تربية ، بل تعليم يكافح التربية . إن المدارس والجامعات تخرج لهذه الأوطان فتاتا آدميا وحطاما بشريا . تخرج له عبيدا . نشيدهم القومى الخالد هو أنشودة « أكل العيش » !

لست أنكر على الشباب المتعلم أن يطلب رزقه ، فالحياة لابد أن تعاش . والمال عصب الحياة . بل لست ألوم هذا الشباب المتعلم ، فلو وجد هذا الشباب أجيالا من الأساتذة الصالحين ، وتقاليد من النظم الصالحة ، لكان أفضل شباب الأرض . ولكنى أقرر الحقيقة المؤلمة ، حقيقة أن معاهد التعليم فى مصر كلها وفى معظم البلاد الإسلامية الأخرى .. لاتخرج رجالا أحراراً بقدر ماتخرج عبيدا أرقاء . ولاتخرج شخصيات متماسكة بقدر ماتخرج فتاتا آدميا وحطاما بشريا .. إنها معاهد خاوية من الروح .. وهذا مفرق الطريق

إن نظم التعليم وخططه ومناهجه وكتبه .. وأخشى أن أقول أساتذته .. لايمكن أن تخرج رجالا أحرارا مفكرين مستنيرين . إلا الشواذ الذين يكافحون الجهاز التعليمى كله ويخرجون من براثنه سالمين

ولقد كان ذلك قائما قبل تلك الفوضى الأخيرة ، التى سميت « مجانية التعليم »

إن التعليم كان يجب أن يكون بالمجان . وكل بلاد العالم المتحضر التعليم العام فيها بالمجان . ولكن المجانية شيء والفوضى شيء آخر . والذي حدث والذي تحقق هو الفوضى . أما المجانية فليس فيها قولان فقط ، بل عدة أقاويل !

لقد كان الآباء يدفعون عشرة جنيهات المدرسة الابتدائية أو عشرين جنيها المدرسة الثانوية ؛ فتقوم عنهم بتعليم أبنائهم ، ذلك التعليم الخاوي من المثل الخاوي من الروح.. فأصبحوا اليوم مكلفين — من استطاع ذلك منهم — أن يدفعوا للدروس الخصوصية عشرين أو ثلاثين أو خمسين جنيها ليحصلوا لأبنائهم على النجاح في الامتحانات ، لا عن طريق التعليم الخاوي من المثل الخاوي من الروح . بل عن طريق اطلاعهم على أسئلة الامتحان وتيسير الغش فيه!

إنها الكارثة . الكارثة المضاعفة التي تربى على ما كنا فيه

إن التعليم الذي نزاوله ، والذي كنا نزاوله قبل حكاية المجانية الزائفة ؛ ليس هو الذي يؤدي إلى ككفاح الاستعمار ، وكفاح الطغيان ، وتعديل الأوضاع الاجتماعية المخلة بكرامة الإنسان . .

إن التعليم لكي يؤدي مهمته هذه يحتاج إلى تعديله من أساسه . . ومما يؤلم النفس أن هذا التعديل لا يحتاج إلى مال غير الذي ننفقه . وقد لا يحتاج إلى رجال غير الذين يزاولون اليوم مهمة التعليم . ولكنه يحتاج فقط إلى إيمان بهذا التعديل الشامل ، وإلى عقليات قليلة ناضجة تشرف على التنفيذ . .

أم لعلي أمام عقدة العقد ، وأنا أحسبها من الهين اليسير ؟ !

ألم أحاول مرة أن أغير نظام دراسة اللغة العربية ليقام على أساس سليم عام ١٩٤٣ ففشلت . وكان الأمر يومها متروكا إلى سعادة المستشار الفني الدكتور طه حسين ؟!

ألم أحاول مرة أن أغير نظام دراسة التاريخ ليقام على أساس سليم عام ١٩٤٧ ففشلت وكان الأمر يومها متروكا إلى معالي وزير المعارف الدكتور عبد الرازق السنهوري ؟ !

ألم أحاول عشرين مرة — بعد عودتي من البعثة إلى أمريكا — أن أنشئ لوزارة المعارف أداة فنية صحيحة ، تقيم نظم التعليم ومناهجه على أساس سليم ، ففشلت في هذه المرات كلها فشلا ذريعا ؛ لأن المراد في هذه المرة كان إصلاحا في الصميم ؟ !

لقد أفلح الاستعمار في تعطيم عقلية وزارة المعارف بالميكروب الثابت . . إنه يبدو دائما في صورة كبار موظفين !

• • •

نعم يجب أن ينتشر التعليم ؛ ولكن أي تعليم ؟ يجب أن يقوم هذا التعليم على أسس ثقافية سليمة ، وعلى أسس تربوية سليمة . نعم وينبغي أن تكون له مثل ، وأن تكون به روح .

وإلى أن يقيض الله لوزارة المعارف رجالا يؤمنون بهذا ويقدرون في الوقت ذاته على مقاومة الميكروبات الاستعمارية الكامنة في وزارة المعارف ، في صورة كبار موظفين !

إلى أن يقيض الله لوزارة المعارف أولئك الرجال ، فليس أمامنا لمكافحة سموم الأجهزة التعليمية الحاضرة إلا الحاضن الخاصة ، التي تتلقف الشباب الضائع ، والحطام المفتت ، فتعيد صياغته في قوالب جديدة سليمة ، وفي جو روحي نظيف . لترد هذا الشباب الضائع الحائر رجالا كراما على أنفسهم ، كراما على أوطانهم ، كراما على ربهم ...

وهذا ما يحاوله .. الإخوان المسلمون ..

سيد قطب

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفا وهو يطلب من ادارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

من معارك الأدب السياسى

للدكتور عمر حليق

فى الأوساط الاشتراكية فى بريطانيا هذه الأيام جدل حول تفسير المبادئ الاشتراكية التى يؤمن بها حزب العمال — أحد الحزبين الرئيسين اللذين يتنازعان الحكم هناك

ويتخذ هذا الجدل معركة فكرية سلاحها الكراريس والنشرات والمقالات التى ينشرها كهنة الحركة الاشتراكية فى مجلاتهم الأسبوعية وحلقاتهم الأدبية التى يكثر انتشارها فى مراكز النقابات العمالية وأوساط الثقافة والفن فى الجامعات ومعاهد العلم

والمحرك الأكبر لهذه المعركة الفكرية هو المستر « أورين بيفان » — قطب من أقطاب حزب العمال نبت فى « العشش » المزرية البائسة التى تتاخم مناجم الفحم فى مقاطعة ويلز ولم يتلق من التعليم المدرسى إلا مبادئه . وثقافته عصامية تتلمذ فيها على الكتب والبحوث التى توفرها للطبقات الفقيرة فى بريطانيا المكتبات الحكومية الدوارة بحيث تقدم الغذاء العقلى للباحثين عن الحقيقة من الذين حالت ظروف المعاش بينهم وبين التتلمذ على الأساتذة فى معاهد العلم الرسمية . واستطاع المستر بيفان بفضل عصاميته الثقافية أن يرتفع من أقبية المناجم ومجتمعها المليل إلى مركز مرموق فى الحركة العمالية ، ومن ثم إلى قبة البرلمان؛ فالوزارة التى استقال منها فى العام المنصرم (قبل أن تفشل وزارة العمال فى الانتخابات الأخيرة) إعلانا عن سخطه لسوء اجتهاد زملائه من أقطاب الوزارة فى تفسير وتطبيق المبادئ الاشتراكية التى يدين بها الحزب

فحزب العمال البريطانى يستند فى قوته السياسية إلى عنصرين أحدهما : نقابات العمال التى تضم ملايين الناخبين من الأيدى العاملة ، وثانيهما نفر من المثقفين لا ينتمون فى محتدهم ونشأتهم إلى طبقة العمال ؛ وإنما اعتنقوا المبادئ الاشتراكية وانضموا إلى الحزب الذى يمثلها فى الحياة السياسية البريطانية ، وهؤلاء المثقفون يشكلون الدماغ المفكر للحزب . وهم يفهمون الاشتراكية كما وضع أساسها المفكرون الإنجليز ولا يعترفون بأن تعاليم ماركس ولينين وستالين التى تطبق فى روسيا اليوم هى السبيل الوحيد لتحقيق العدالة الاجتماعية فى بريطانيا ، وهذا لا يعنى أن الاشتراكية البريطانية خالية تماما من نظريات ماركس ؛ وإنما تحرص الرؤوس المفكرة وراء الحركة الاشتراكية فى بريطانيا أن تطبعها بطابع بريطانى فتتعمد أن تعزز نظرياتها بالبحوث الاقتصادية والاجتماعية والفلسفة السياسية التى سجلها المصلحون البريطانيون فى معالجاتهم لمساوئ الثورة الصناعية التى قلبت أوضاع المجتمع البريطانى فى القرن الثانى عشر

وينفرد « أورين بيفان » من بين أقطاب حزب العمال بأنه يجمع فى شخصيته مزيجا من كلا العنصرين . فقد وفر له عمله فى المناجم وتنظيم النقابات خبرة ثمينة وفهما صادقا لعقلية العامل البريطانى وحاجاته ومطالبه وحقوقه وواجباته . وكذلك استطاع المستر بيفان بفضل دراسته العميقة للاشتراكية البريطانية أن يجارى أقرانه من المثقفين من قادة حزب العمال الذين انضموا إلى الحزب برغم أن تربيتهم الجامعية التقليدية ونشأتهم فى أوساط مترفة محافظة كانت تؤهلهم إلى غير ما اختاروه من معتقدات اشتراكية ونشاط سياسى يمنى بمشاكل الطبقات الفقيرة التى كانت تفصلهم عنها ستائر كثيفة من الفوارق الاجتماعية والفكرية والمصالح الذاتية

والمشهور من الأدب السياسى فى بريطانيا أنه شغوف بنشر البحوث القصيرة الموجزة لمشكلة من مشاكل الساعة فى كتيب أو كراس أو مقال مدروس يظهر فى نوع خاص من المجلات البريطانية تحرص على أن تعالج السياسة ودقائقها معالجتها لفنون الأدب وألوان الثقافة العامة

والجدل الذى يدور هذه الأيام بين أنصار المستر بيفان ومعارضيه فى حزب العمال يتبع هذا التقليد البريطانى فى الأدب السياسى . فقد أصدر الطرفان فى الأشهر الأخيرة عددا من الكراريس والنشرات والمقالات تشرح وجهات نظرها على

أرفع ما يكون الأدب السياسي من نقاوة وعمق وتدقيق

فللستر بيفان مجاله الخاص في مجلة «تريبون» التي تحررها زوجته، وكل مقال أو كتيب ينشره هذا القطب السياسي يولد صدى أبعد وأوسع من العدد المحدود من مبيع المجلة أو الكتيب، امتد هذا الصدى في الآونة الأخيرة إلى درجة أزعجت الستر أتلي رئيس حزب العمال وزملاءه من أعمدة الحركة الاشتراكية البريطانية الذين اتخذ الستر بيفان سياستهم وآراءهم هدفا لنقده العنيف. ولم يجد الستر أتلي وجماعته بدا من أن يواجهوا تحدي الستر بيفان بنفس السلاح فتألفت من بينهم جماعة من الكتاب السياسيين أطلقت على نفسها اسم «الاتحاد الاشتراكي» واختارت البرفسور (آلان فلاندرز) أستاذ العلاقات الصناعية في جامعة أكسفورد رئيسا لها، وأخذت تكيل للستر بيفان الصاع بالصاع. فلما أصدر الستر بيفان كتابه الهام «بدلا من الخوف» [1] أصدرت الجماعة كتيبا بعنوان «مقالات فابيانية (اشتراكية) جديدة» [2] ولما رد عليها بيفان بمقال بليغ في مجلة «تريبون» أسرعت الجماعة فأجابت بكراس عنوانه «الاشتراكية: بيان جديد عن مبادئها» [3] وضع مقدمته الستر أتلي رئيس حزب العمال

وقد خلق هذا الحوار لونا من المتعة العقلية للذين يتابعون الأدب السياسي في بريطانيا — وهو لون من الأدب يحرص على بلاغة التعبير ومتانة الأسلوب وروعة الفن حرصه على عمق الدراسة وقوة المنطق وسلامة التفكير

والحوار بين قادة حزب العمال ورؤوسه المفكرة لا يقتصر على السياسة الداخلية للحزب وعلى علاقة بريطانيا الخارجية مع خصومها وحلفائها، وإنما يمس نواحي هامة من تيارات الفكر السياسي في حاضر الثقافة البريطانية؛ وهي ثقافة محافظة تمر الآن في مرحلة هامة تواجه فيها لونا من التطرف الفكري يعبر عنه الستر بيفان ومشايعوه في الرأي رغم جماعة لها وزنها في الحياة السياسية وفي أوساط الأدب والفن كذلك

فهذا الرجل وآراؤه عنوان للتطور الفكري في عقل ثوروي يحرص على تغيير الأوضاع على أسس اشتراكية بأن العنف والثورة المسلحة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية

والواقع أن الحركة الاشتراكية في بريطانيا كما يؤمن بها ويعمل على تطبيق مبادئها حزب العمال تختلف في هذه الناحية اختلافا جوهريا عن الحركات الاشتراكية الأوربية، وهي حتما تختلف عن اشتراكية السوفييت والدول الشيوعية الأخرى

وهذا الطابع السلمي للاشتراكية البريطانية هو الذي مكنها من أن تكسب ثقة خصومها المحافظين الذين دعوها إلى الاشتراك في الحكم إبان الحرب العالمية الأخيرة، وأن تستخلص منهم الحكم في سنوات ما بعد الحرب، وأن تشاطرهم السلطة التشريعية في البرلمان البريطاني حتى بعد أن أفلتت من يد العمال السلطة التنفيذية (الوزارة) إثر انتخابات العام المنصرم. وقد استطاع العمال الاشتراكيون في بريطانيا أن يحققوا هذا النصر المتتابع دون أن يلجأوا إلى إراقة نقطة واحدة من الدم أو أن يعصفوا بالحياة الدستورية أو يعبثوا بالكيان الاقتصادي بالإضرابات وما إليها من الوسائل التي لجأت إليها الحركات الانقلابية الأخرى اشتراكية أم شيوعية في أوربا الغربية الشرقية

واليوم يجد نفر من أصحاب الرأي المسموع في حزب العمال البريطاني برأسهم بيفان أن هذه الثورة السلمية التي حقق بها الاشتراكيون في بريطانيا خلال السنوات التي سيطروا فيها على الحكم جزءاً من المبادئ التي وضعوها تأسيسا للعدالة الاجتماعية. ولكن هذه الثورة السلمية لم تمكنهم من أن يحققوا الجزء الأهم من هذه المبادئ. فكيف السبيل إذن لتحقيقها الآن وقد فقدوا السلطة التنفيذية بعد أن فاز تشرتشل وحزبه المحافظ بمدة الحكم؟

وأمعن الستر بيفان النظر في سبب هذه المبادئ فوجد أن أقرانه في قيادة حزب العمال عندما كان لهم الحكم قد تساهلوا في اتباع الخطوط الجوهرية لهذه المبادئ، فساوموا المحافظين على بعضها. فبدلا من أن يصروا على توجيه الجزء الأكبر من ميزانية الدولة لتنفيذ مشاريع الضمان الاجتماعي ورفع مستوى الطبقات

كتاب

1) In place of fear

2) New fabian essays

3) Socialism a new statement of principles

العاملة ومكافحة البطالة وإعادة التبادل التجارى مع روسيا والصين الشيوعية ، وعوضا عن أن يمنوا و تأميم الصناعات والمنشآت الاقتصادية الكبرى ويقيدوا أرباح أصحاب الدخل الواسع ، وبدلا من أن يربطوا علاقاتهم مع مناطق النفوذ البريطانى على أساس سياسى واقتصادى جديد يضمن لبريطانيا صلات اقتصادية وأسواقا تجارية سليمة، بدلا من أن يعمل المستر أتلى وجماعته على تبديد هذه الخطوط الجوهرية امتثلوا لضغط المحافظين ومن ورائه إغراء أمريكا المادى وضغطها السياسى والاقتصادى فتأثرت من جراء ذلك مشاريع الضمان الاجتماعى وبقى مستوى الطبقات العاملة على حالته الكئيبة . ولم يحرص البريطانيون (عمالا ومحافظين) على صيانة تجارتهم الخارجية إزاء المنافسة الأمريكية والألمانية واليابانية ففقدت بريطانيا كثيرا من أسواقها التقليدية . وانتقد المستر بيفان تقاعد بريطانيا عن تعزيز صداقتها مع الصين الشيوعية لتحتفظ بالسوق الصينية الكبيرة كمصرف للمنتجات البريطانية وإعادة التبادل التجارى بين بريطانيا ومنطقة النفوذ السوفيتى فى أوروبا الشرقية . ووجد المستر بيفان أن هذا التصور فى مصادقة الروس وحلفائهم ، وأن انسياق بريطانيا فى الامتثال لسياسة أمريكا العدائية لروسيا السوفيتية وما خلقه من سباق التسلح . كل هذا أثر فى وضعية بريطانيا الاقتصادية والسياسية فكانت النتيجة أن ناصرت بريطانيا الفرنسيين فى حروبهم الاستعمارية فى الهند الصينية وفى المغرب العربى ، وعجزت المصانع البريطانية عن أن تجد لمنتجاتها أسواقا فعمت البطالة فى مصانع النسيج فى لانكشير ، وعجزت المنشآت الصناعية البريطانية الأخرى عن تزويد زبائنها فى آسيا وإفريقيا وأوربا اللاتينيه بما يحتاجون إليه من آلات ومعدات بعد أن استأثرت برامج التسلح البريطانى بالجزء الأكبر من الحديد والمواد الخام .

وبسبب هذا التطور فى وضعية بريطانيا الاقتصادية وبفضل امتثالها لإغراء أمريكا المادى وضغطها السياسى فشلت الاشتراكية البريطانية فى تنفيذ إصلاحاتها الاجتماعية وفشلت بريطانيا فى إنقاذ نفسها من شبح الإفلاس الاقتصادى والتدهور السياسى الذى أخذت تنحدر إليه فى الآونة الأخيرة .

ولم يكتف المستر بيفان بالنقد وإنما رسم لحزبه والمجتمع البريطانى الأكبر برامج جديدة للخروج من هذه الورطة؛ فأشار فى كتابه «بدلا من الخوف» أن لا نتفاق مع أمريكا فى إصرارها وعزمها على القضاء على النظام الشيوعى فى روسيا والصين ؛ وتهيئة الحرب اللازمة المعركة الفاصلة

وبيفان لا يؤمن بالشيوعية السوفيتية ولا يرغب فى أن يجعل السياسة البريطانية مرتبطة بها . ولكنه مع ذلك يعتقد بأن فى العالم مجالا واسعا لجميع الأنظمة السياسية. فهو لا يرى بأسا من أن تعيش روسيا بنظامها الشيوعى المطلق فى نفس العالم الذى تعيش فيه أمريكا بنظامها الرأسمالى وبريطانيا بنظامها الاشتراكى وإسكندنافيا بحركاتها التعاونية . وهو يعتقد أن روسيا لا ترغب فى حرب جديدة ويستشهد على هذا بأن إنتاج روسيا من الحديد (ومقداره السنوى ٣٠ ألف طن) لا يشجعها على الدخول فى حرب مع أمريكا وحلفائها ومعدل إنتاجهم من الحديد والمواد اللازمة لجهاز الحرب يفوق الإنتاج الروسى بعدة أضعاف .

وينصح بيفان قومه بأنهم إذا استقلوا فى سياستهم الخارجية عن أمريكا وضمنوا عدم اعتداء الروس على المصالح البريطانية استطاعوا أن يتفادوا برامج التسلح ونفقاته الهائلة ، وأن يحولوا الإنتاج إلى صناعة سلمية تستعيد الأسواق التقليدية فى الشرق على شرط أن تتبع بريطانيا أسلوبا جديدا فى علاقاتها مع الشعوب التى لم يكتمل نموها الاقتصادى فى آسيا وإفريقيا . وهذا الأسلوب يستند إلى مبدإ المعونة الفنية لتستطيع هذه الشعوب أن ترفع مستوى المعيشة بين سكانها ، وبذلك تزداد حاجاتها من المنتجات الصناعية التى تصدرها بريطانيا ، وهذا أسلوب باشرت حكومة العمال تنفيذه عندما كانت فى الحكم فيما يعرف الآن بمشروع كولومبو الذى منحت فيه بريطانيا الدول الآسيوية المرتبطة بنظام الكومنولث بضعة ملايين من الدولارات لتنمية المرافق الاقتصادية وزيادة قوة الشراء والتعامل التجارى بين هذه الدول وبين بريطانيا .

ويكرر المستر بيفان فى كتابه الأخير هذه ، فى قوة وعنف ويتهم كبار رجال الصناعة وأصحاب المصالح ، حزب المحافظين بأنهم العقبة الكبرى فى وجه هذه ، التى يقترحها المستر بيفان . ولذلك فهو حاقد على أقر حزب

العمال أمثال المستر أتلى لتعاونهم مع المحافظين فى السياسة الخارجية. وفى مقالات بيفان وكتاباته نوع من الثورة ضد هذه الطبقة الصناعية التى يعتقد بأنها توجه سياسة بريطانيا لتتماشى مع السياسة الأمريكية. فهو لذلك يدعو إلى وضع تشريعات قاسية تحصر أرباح هذه الطبقة وتنتزع عن طريق التأميم المنشآت الصناعية والمالية الهامة التى يملكونها

وهذه الثورة على طبقة الصناعيين هى من أبرز النقاط التى يحاولها خصوم بيفان فى الرأى من أقرانه الاشتراكيين. ففى الكراس الأخير الذى أصدره الاتحاد الاشتراكى بعنوان « الاشتراكية : بيان جديد عن مبادئها » هجوم على دعوة المستر بيفان لنصر الطبقة المترفة. ويقول واضعو هذا البحث بأن مبادىء الاشتراكية البريطانية لاتؤمن بصراع الطبقات وإنما تستند إلى أسس أخلاقية تضم الحرية الفردية فوق المساواة الاقتصادية. ويشير الكراس كذلك إلى أن بريطانيا فى ظل وزارة العمال فى الحكم وفى البرلمان قد خطت خطوات هامة فى التسوية بين طبقات المجتمع عن طريق التشريعات التى وضعتها حكومة العمال فى مجال الضرائب على الدخل والتركات وفى سياسة التأميم التى نفذت حكومة العمال جزءا منها.

ويؤكد واضعو هذا الكراس بأن سياسة التأميم لاتعنى أن على الدولة أن تملك كل مصدر من مصادر النشاط الاقتصادى فى البلد؛ فالاشتراكية يجب أن لاتفسر على أنها سياسة تأميم فحسب، فقد أثبتت تجارب وزارة العدل بأن سياسة التأميم لا تحل بصورة أتوماتيكية المشاكل الاقتصادية والآفات الاجتماعية. فإذا استبدلت بصاحب المصنع الدولة كمالك لمنشأة اقتصادية فإن العامل فى هذه المنشأة سيظل يعتقد بأنه مهضوم الحقوق. ويجب أن لايفهم العامل أن سياسة التأميم تجعله مالكا للمصنع الذى يعمل فيه وإلا توالت فوضى اقتصادية واجتماعية لا يقوى على ضبطها إلا نظام إدارى قاس يعصف بالحرية الشخصية ويضع العامل والمجتمع فى ظل حكم ديكتاتورى لا ترضى عنه فلسفة الاشتراكية البريطانية ومفهومها للعدالة الاجتماعية والمساواة الاقتصادية

واستنادا إلى مثل هذا المنطق يبرر خصوم المستر بيفان فى الرأى تساهل حزب العمال فى سياسة التأميم وقبولها لبرامج التسلح وتحالفها مع الأمريكان فى السياسة الخارجية. فهم لا يوافقون المستر بيفان على أن روسيا السوفيتيه راقية فى السلم، رأن قصور إنتاجها من الحديد والمواد الخام عن اللحاق بإنتاج حلفاء الغرب رادع لها من الدخول فى المعركة القاصلة. فقد دخل هتلر الحرب العالمية الأخيرة وكان إنتاج بلاده من مواد الاستعداد الحربى يقل عن إنتاج خصومه عدة مرات. ومع ذلك استطاع هتلر أن يبنى آلة حرب جبارة شغلت العالم بأسره عدة سنوات طوال

والطريف فى معركة « الكراريس » هذه أنها سجل لاتجاهين هامين فى التفكير السياسى المعاصر فى ريطانيا وفى كثير من بقاع العالم الأخرى؛ فقد رسخ فى عقلية المجتمع الإنسانى الأكبر أن كيانه الاقتصادى والسياسى والاجتماعى أصبح فى حاجة ماسة إلى أسس جديدة من العدالة الاجتماعية والمساواة فى الفرص الاقتصادية.. والدعوة لهذا الإصلاح تجد صداها البعيد فى أوساط الاشتراكيين فى أوروبا الغربية وفى رجال « العهد الجديد » من أتباع الحزب الديمقراطى فى أمريكا؛ صدى يتجاوز الانفعال العاطفى ويتخذ البرامج الحزبية والسياسية العملية وسيلة لتنفيذ هذه الأسس الجديدة.

ففريق من هؤلاء الاشتراكيين لايزال يؤمن بأن السياسة التطبيقية للمبادئ الاشتراكية يجب أن تتقيد بحرفية النظريات حتى لو استلزم ذلك تقييد الحرية الخاصة لطبقة معينة من المجتمع لا تنوى لهذه المبادئ خيرا. والمستر بيفان أميل إلى هذا الفريق منه إلى الفريق الآخر الذى ينظر إلى الأمور نظرة واقعية فلا تعترف بأن أسباب الطمأنينة المادية للفرد كما تسعى لتحقيقها النظم الشيوعية المطلقة ستوفر لهذا الفرد سعادة فى المجتمع. فهناك عناصر أخرى فى السلوك الانسانى لا يمكن أن تصبح ضحية للطمأنينة المادية. من هذه العناصر حرية الفرد وماتوفره

هلا قطعتم يد السارق ؟

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

تحت هذا العنوان قالت السيدة سيزا نبراوى رئيسة الاتحاد النسائى فى مجلة المصور بتاريخ (٢٠/٦/١٩٥٢) تعليقا على فتوى الأزهر ومؤتمر الهيئات الإسلامية بشأن حقوق المرأة السياسية :

« لقد دخلنا هيئة الأمم المتحدة ونثيرت طرق الحياة ، وعلى شيوخنا أن يتطوروا ، فى تفسير القرآن فى الحياة ، وإلا فلماذا لاتقطع يد السارق ، ولماذا لا يرجم الزانى والزانية ؟ لقد جعلنا قوانيننا » تمشى الوضعية « تتفق فى ذلك مع تطورات الزمن »

نحن لا نود أن نناقش اتهام هذه السيدة الإسلام بالجمود وعدم صلاحيته لتطور الزمن ، كما تهدف إليها كلمتها ، ولكنا نود أن نناقش هذه المعركة الهزيلة التى أشعل نيرانها الغوغاء الثرثارون من الفريقين ، والتى لانعرف لها سرا إلا الثرثرة فى غير جدوى ، ولا ندرك لها هدفا إلا تضييع الأوقات سدى وشغل الرأى العام عن مهام الأمور ولاسيما قضية البلد التى أصابت المذروة من الفشل ، ونالت أعلى مراتب التهاون والإهمال.

إن الفريق الأول المؤيد لحقوق المرأة السياسية تتزعمه حركات نسائية هزيلة ، تائب من ورائها أصابع الاستعمار الذى يهمه أن يظل الرأى العام مشغولا عن قضيته ، ووراء هذه الحركات الهزيلة بعض الأقلام المهينة التى من رسالتها أن تبرز فى غوغاء المعارك ، وضوضاء المناورات ، وصخب المهازل . والناظر إلى هذه الحركات فى مظهرها يعتقد أنها ستحقق للبلاد كل خير ، وتنهض بالوطن إلى القمة ، وتدفع بالشعب إلى حيث يتربع فوق هامة المجد .

ولسنا ندرى ماذا تفعل بصوت المرأة فى الانتخاب إذا كان الرجل بعد لم يحسن إعطاء صوته ؟ وماذا تفعل بنيابة المرأة أو شياختها ، إذا كانت نيابة الرجل وشياخته بعد لم تنجحا تحت قبة البرلمان ، ولم تقدما ذرة من الخير لهذا البلد المنكوب ؟

إن عملية الانتخاب فى الريف لم تزل عملية آلية ، يتولى تحريكها العصبيات وذوو البطش وأصحاب السلطة من عمدة القرية إلى خفيرها . والفلاحون لايفهمون من الأمر شيئا سوى أنهم يساقون يوم الانتخاب إلى الصناديق كما تساق الماشى إلى الحظائر . وأصحاب الحول والطول منهم لايدفعهم إلى التأييد أو الخذلان سوى المنافع الشخصية ، أو الحزازات الأسرية . وإن عملية الانتخاب فى العاصمة لم تزل عملية تجارية يلعب خلالها السماسرة من رواد المقاهى وفتوات الأحياء دورا يشهد لهم بالبطولة ويقر لهم بالفروسية ؛ لأن الطبقة المثقفة فى المواصم تضن بأصواتها أن تكون وقوداً للضوضاء ودخانا للمهازل !

ثم ماذا فعل البرلمان لمصر وهى لم تزل ترسف فى قيود الذلة والاحتلال ؟ ثم ماذا فعلت أصوات الناخبين وصيحات المنتخبين ، ومصر لم تستطع بعد أن تسحق الاحتلال الجاثم فوق صدرها ، وتزهق روح النفوذ الأجنبى الذى يسير دفة سياستها ، ولا أن تظفر بالوحدة المؤكدة لشعب وادى النيل ، ولا أن تنهض بالشعب إلى المستوى الذى يليق بالآدمية فى دنيا الناس

ثم ماذا فعلت هذه الحركات النسائية ! هل استطاعت أن تعمم التعليم بين بنات جنسها ، وأن تشق جداول الثقافة لينهل منها الجميع على السواء ؟ ألا تدرى المتزعمات لهذه الحركات أن نسبة المتعلمات لم تزل تافهة لايقام لها وزن ، وأن نسبة الجهل فى السواد الأعظم من بنات جنسهن لم تزل عالية إلى درجة الخجل

الديمقراطية الصحيحة له من ضمان وكرامة. وقد رد المستريبفان على أصحاب هذا الرأى فقال بأنهم يحملون الكلمات أكثر مما تتحمل . فبعض حقائق الحياة القاسية تهزأ فى كثير من الحالات بهذه التعابير اللطيفة « كالطمأنينة المادية » و « الحرية الفردية » و « الديمقراطية الصحيحة » و « الكرامة » وما شاكلها .

ولكن أليست صناعة الأدب تفترض تحميل الكلام أكثر مما يتحمل ؟ والأدب السياسي أدب فوق أنه سياسة

نيويورك عمر عليق

فلتسهم هذه الحركات النسائية - إن كانت صادقة فى جهودها - فى تحقيق الوحدة والجلاء . ولتسهم بجانب هذا فى النهوض بالمرأة ثقافيا واجتماعيا وعلميا ، بحيث تشمل نهضتها المدن والقرى والكفور ، وليكن للمرأة بعدئذ ما أرادت من حقوقها السياسية والاجتماعية

أما الفريق الآخر : وهو الفريق المناهض للحركات النسائية فتتزعمه الهيئات الإسلامية الراكدة وبعض رجال الدين المحسوبين على الدين ظلما . والواقع أنه ليس لهؤلاء الناس أهداف حية يرغبون فى تحقيقها حتى يعملوا ، فهم يتصيدون المعارك الجدلية والميادين الفارغة ليثبتوا وجودهم . وهم يحاولون أن يجعلوا للإسلام سلطة فى توافه المسائل ولو ظل مسلوب السلطة فى مهام الأمور . ويؤولون فى كتاب الله تأويلا فاسدا يتفق وضآلة الحجة وتفاهة البرهان

ولسنا ندرى ماذا فعل هؤلاء الناس للإسلام حتى يخشوا الخروج عليه ، ويتصدوا الدفاع عنه ! إن الإسلام لم يزل غريبا فى مصر وفى كل بلد إسلامى ، وإن شعوبه لم تزل رازحة تحت نير الاستعمار دون أن تقوى على تحطيمه ، وإن قانون السماء لم يزل مهملا لا ينظر إليه ، ولا يكترث لوجوده ، وإن شريعة الله لم تزل مضطهدة فى كل رقعة إسلامية لا يعترف بقدرها ، ولا يسأل عن كيانها

ولسنا ندرى ماذا يضير الإسلام أن يكون للمرأة صوت انتخابى ، وأن تدخل تحت قبة البرلمان وهو الذى أقر كتابه تلك المرأة التى تحكم حكما ديمقراطيا شوريا ، وسمح لها أن تناقش الخليفة فى أمور الدنيا والدين ، والتى بايعت الرسول كما بايعه الرجل سواء بسواء ، وحاربت معه فى كل ميدان ، وشاطرت الرجل الجلوس فى بيوت الله

إذا كان هؤلاء الناس يخشون على الأخلاق أن تزاحم المرأة الرجل ، وأن تمهد للسفور والاختلاط بحقوق السياسة ، فالملاهى والمراقص والحانات ودور القهو والعبث أصبحت مجالا فسيحا للمزاحمة والاختلاط والسفور

أليس من العار أن يتحدى الهيئات الإسلامية « شرذمة النساء » وتعقد من أجلها المؤتمرات ، ويبعثر المال فى النشرات وبرقيات الاستنكار والاجتماع ؟ بل أليس من العار أن يتحدى هذه الشرذمة أيضا رجال الدين فيصدرون الفتوى تلو الفتوى كأن لهم مصنعا من الفتاوى يخرج النشرات فى كل لحظة !

إننا نود أن نقول للفريقين رويدكم فإنكم تتخاصمون فى ميدان لا بركة فيه ولا خير يرجى من ورائه . إنكم تزعمون أنفسكم بأنكم تتخاصمون فى سبيل الوطن والدين ؛ وتزعمون أنكم تجاهدون فى سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولو صدقتم فى نضالكم وجهادكم لحققتم آمالى الوطن وأعززتم الإسلام بتحقيق مطالبه . ولكن . . وما أمر ولكن على من ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

محمد عبد الله السمان

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى

لشاعر فرنسا الخالد

* لامرتين *

ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

٥ ـ إندونيسيا

الحالة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

الزراعة :

إندونيسيا أمة زراعية وما تزال الزراعة هى المصدر الرئيسى لثروتها

ويعتبر المطاط أهم حاصلات إندونيسيا، فهو يكون ٨ر٤١ ٪ من قيمة الصادرات ، وذلك بحسب إحصاء ١٩٥٠ حيث بلغت قيمة ما صدر منه ... ر ... ر ١٤٦ ر ١ روبية

ويلى المطاط أهمية سكر القصب ، فإندونيسيا تمتاز بزراعة أنواع ممتازة من قصب السكر ، ولما أصبحت مصر دولة منتجة لسكر القصب استخدمت تلك الأنواع الممتازة فى زراعتها مما عاد عليها بخير عميم

وأما جوز الهند فيزرع فى جميع أنحاء إندونيسيا ولكن الجهات الشرقية منها تنتج أكثر الكميات ، وقد بلغت قيمة ما صدر من جوز الهند المجفف ١٩٥٠ ... ر... ر ٢١١ روبية

وتجود زراعة الشاى فوق المرتفعات فى جاوا وفى شمال سومطرا حيث يجفف الشاى ويعد للتصدير ، وفى ١٩٥٠ بلغت قيمة ما صدر منه ... ر ... ر ١٠١ روبية

والفلفل الأسود والأبيض من أهم حاصلات إندونيسيا وصادراتها وبلغت قيمة ماصدر منه ١٩٥٠ ... ر ... ر ٨٠ روبية

والطباق والبن وزيت النخيل من أهم الحاصلات والصادرات ، والأرز يزرع بوفرة وهو الغذاء الرئيسى للسكان . وتنمو الغابات وكثير من أشجارها يؤخذ منه الخشب النافع الصالح لصناعة الأثاث وغيره

وهناك حرفة أخرى متصلة بالزراعة اتصالا وثيقا وقد بدأت تحتل مكانا هاما فى حياتها الاقتصادية وتلك هى تربية الماشية . ذلك أن الفلاح الإندونيسى كان يهتم بالزراعة كل الاهتمام، وكانت تربية الماشية بالنسبة له عملا إضافيا لازما للزراعة . ولكن بعد عصر الاستقلال بدأت تربية الماشية واعتبارها موردا من موارد الثروة القومية تحتل مكانا هاما لدى حكومة الجمهورية فافتتحت فى ١٩٤٧ أكاديمية خاصة للطب البيطرى لإعداد أطباء بيطريين للاستعانة بهم فى إرشاد الفلاحين والعمل على تنمية إنتاج الماشية وترقية نوعها وزيادة عددها حتى تصل إلى المستوى الذى تكون فيه مصدرا من مصادر ثروة الشعب وموردا هاما من موارد رزقه

وأهم الحيوانات التى تربى فى إندونيسيا البقر والجاموس والأغنام والخنازير والخيل

الرى :

فى البلاد المنزيرة الأمطار لا توجد ضرورة لاستخدام وسائل الرى الصناعى ، فالنبات يستمد حاجته إلى الماء من المطر المتساقط

وإندونيسيا تتمتع بقسط كبير من المطر لأنها واقعة عند خط الاستواء ، ولكن يجب أن نذكر أن السنة فى هذه المناطق تنقسم إلى فصلين : فصل تشتد فيه الحرارة ويغزر المطر وهذا يحدث عند تعامد الشمس على خط الاستواء فى شهرى مارس وسبتمبر ، وفصل تقل فيه الحرارة نوعا ويقل سقوط المطر ويحدث ذلك عند تعامد الشمس على مدارى السرطان والجدى

ونظرا لقلة الأمطار فى الفصل الأخير رؤى أنه لا بد من تنظيم وسائل الرى حتى يتوفر الإنتاج ، فمثلا الأرز يعتبر الغذاء الرئيسى للسكان ، والأرز يحتاج إلى الماء الوفير لكى يجود . من هنا عنيت إندونيسيا منذ قديم الزمان بوسائل الرى . ولكنها الآن وقد تزايد عدد سكانها وزاد تبعا لذلك استهلاكها أصبحت مضطرة إلى العناية بوسائل الرى حتى تضمن الغذاء لشعبها

وقد كانت حكومة إندونيسيا فى عهد الاستعمار تعنى بوسائل الرى وذلك بسبب النظام الزراعى الإجبارى الذى سارت عليه الحكومة الهولندية ، فقد كانت الحكومة تجبر السكان على زراعة أنواع مخصوصة من النبات وفى مناطق خاصة ، وكان بعض أنواعها مثل قصب السكر والإنديجو لا يجود إلا إذا زرع

فى أرض تروى ريا كافيا . كل هذا دفع الحكومة الاستعمارية إلى العناية بوسائل الرى

وقد أقامت تلك الحكومة السدود والخزانات لحفظ المياه واستخدامها وقت الحاجة . وإلى ١٩٣٥ تم بناء خزانات كبيرة مثل خزانات بيجتان وباتشال وغيرها

ولم تكن حكومة الجمهورية الإندونيسية أقل اهتماما بالرى من الحكومة السابقة ، فقد وضعت نصب عينها تنمية الانتاج حتى يتوفر للسكان الغذاء وحتى يمتنع حدوث المجاعات التى كانت البلاد تتعرض لها قبل الاستقلال

وقد وضعت الجمهورية الإندونيسية خططا لتجفيف مناطق المستنقعات فى بورنيو وغيرها لتوفير الرخاء لشعبها

التعدين

يحتل البترول مركزا هاما فى الاقتصاد الاندونيسى ويستخرج من جاوة وسومطرا وبورنيو وإريان . وفى ١٩٥٠ بلغت الكمية التى صدرت ٥٫٩٩٤٫٤٩٧ طنا وبلغت قيمتها ٥٣٨٫٦٠٠٫٠٠٠ روبية

وتنتج إندونيسيا مقادير وفيرة من القصدير وهى من أهم دول العالم إنتاجا، وفى ١٩٥٠ صدرت ٤٤٫٣٠٨ طنا بلغت قيمتها ١٨٥٫٢٠٠٫٠٠٠ روبية

وإندونيسيا غنية بالفحم والذهب والفضة والملح

الصناعة

تعتبر الصناعة أمرا ناشئا فى إندونيسيا ، ذلك أن الحكومة الاستعمارية كان يهمها أن تبقى إندونيسيا أمة زراعية تنتج لها ما تحتاجه من مواد أولية وتكون سوقا لتصريف مصنوعاتها ، ولكن الحكومة الجمهورية عملت على النهوض بالصناعة ، فقامت صناعة النسيج وصنع الآلات الحديدية وبناء السفن وصياغة المعادن النفيسة وعمل السكر وعمل الإطارات وصنع الأكياس وصناعة الأسمنت والأسمدة الخ

ولما كانت خبرة الإندونيسيين بالصناعة بسيطة فقد سارعوا بإرسال بعثات إلى أوربا وأمريكا الأمر الذى يساعدهم على النهوض بالصناعة فى بلادهم . وإندونيسيا غنية بالمواد الخام وبالأيدى العاملة، ومن ثم فالرجوا أن تزدهر الصناعة فيها ، ونرجو أن نراها فى القريب أمة صناعية ناهضة

التجارة

نشطت تجارة إندونيسيا نشاطا كبيرا منذ أن استقر وضعها السياسى ١٩٤٩ . ومعظم الصادرات حاصلات زراعية ومعدنية، ومعظم الواردات آلات ومواد صناعية .

ويحاول الإندونيسيون جاهدين أن يعملوا على موازنة ميزانهم التجارى ، بحيث تكون قيمة الصادرات أعلى من قيمة الواردات، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد ١٩٥٠

السياسة الاقتصادية

ترمى الحكومة الإندونيسية إلى رفع مستوى المعيشة للشعب على أساس تنمية قوتها الاقتصادية ، ويتحقق ذلك بالعمل على رفع شأن الزراعة وتحسين أحوال الزارعين والنهوض بالصناعة والتجارة وتحسين أحوال العمال وتأمين حياتهم

وجدير بى أن أذكر أن إندونيسيا قد واجهت وما تزال تواجه عدة متاعب اقتصادية أهمها : عدم وفرة المواد للغذائية فى بعض أنحائها وتأخر الصناعة بها ونقص قوتها الكهربية واضطراب الأمن وعدم استقرار العدل فى بعض جهاتها وكثرة النقود المتداولة وسوء طرق المواصلات بها

ولكن على رغم كثرة هذه المتاعب فإننا نرجو لهذه الجمهورية الناشئة مستقبلا زاهرا ، ويؤيدنا فيما نذهب إليه عظم ثروة هذه الدولة وكثرة عدد سكانها وحرص زعمائها وشعبها على أن يرفعوا من شأنها . فحيثما سرت وجدت شعبا ناهضا : مدارس تفتح وتسرع الطلاب إلى أبوابها لتلقى العلم على اختلاف أنواعه ، ومصانع تقام، ومستشفيات تنشأ، وسعى دائب لتحقيق خير الوطن وزيادة إنتاجه ورفع مستوى شعبه، وعمل مستمر على تحسين علاقاتهم واتصالهم بإخوانهم فى العالم الإسلامى ! أليس كل ذلك دليلا على نهضة حقيقية تبنى على أساس من العلم والأخلاق والدين..

ولعلك لو سألت حاجا مصريا : من كان أكثر حجاج الأمم الإسلامية عددا ؟ لأجابك على الفور : الجاويين (الإندونيسيين)

وإنى بهذا أختم هذا البحث داعيا الله أن يحقق لإندونيسيا مستقبلا زاهرا لتعيش أمة حرة وسط عالم حر أبى التسرع طبيعة

وصاة الشهداء *

عروس الجنة ☆

للاستاذ عمر عودة الخطيب

— ١ —

« في تاريخنا الزاهر دماء زكية خالدة خطت آية المجد الكبرى ورسمت حدود عالم إسلامي واسع » ع

جلس «أبو عامر بن سيفي» ومن حوله فئة من شباب «الأوس» قد غلظت أكبادهم، وقست قلوبهم، ورسمت المعارك التي خاضوها مع أعدائهم آثارها في وجوههم الكالحة المربدة. جلسوا مطرقين يسودهم صمت ثائر قاتل ... وكانت عيونهم ترمق زعيمهم « أبا عامر » بنظرات ملؤها الإكبار والإجلال، ولكنهم لفرط مهابتهم له، وخضوعهم لسطوته، لم يجدوا من أنفسهم الجرأة في النظر إليه، والتبسط في الحديث معه، بيد أنهم يعلمون أن من واجبهم أن تكون أيديهم دائما على مقابض سيوفهم، ليسلوها من أغمادها إذا ما بدرت من زعيمهم أي إشارة لهم

وكانت المدينة — إذ ذاك — تضج بالتكبير، ويتعالى في جنباتها هتاف يشق عنان السماء من هذه الموكب الفرحة التي زحفت إلى ظاهر المدينة وتسلقت أعالي النخيل، ترمق الأفق البعيد وترنو إلى قافلة النور والإيمان ... التي خرجت من مكة مهاجرة في سبيل الله

وتناهت إلى أسماع أبي عامر وأتباعه في مجلسهم ذاك، أصوات ناعمة رقيقة كأنها تسبيح الملائكة في الملأ الأعلى ... فوقف « أبو عامر » يستطلع نبأ هذه الأصوات ووقف من حوله فتيانه ينظرون، فرأوا صبايا يثرب بأيديهم الدفوف يسرن في موكب حافل جذلات فردات ... وهن يرتلن نشيدهن الساحر :

طلع البـــدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشـكر علينا ما دعا لله داع
أيهـا المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وجلس أبو عامر وقد زادته هذه الموكب الطربة حنقا وحقدا، ونظر إلى أتباعه وفي صدره مرجل يغلي « ونار تشتعل ... وقال : « لقد جاء محمد إذاً ! » وصمت قليلا شأن من يفكر في أمر خطير ثم قال : « واللات والعزى لن نتركه يجد في يثرب الراحة والاستقرار ... » وأمن أتباعه على كلامه، وسلوا سيوفهم ورفعوها في الهواء، إيذانا بإعلان الحرب على محمد ... وانفرط عقدهم، وانصرفوا إلى بيوتهم ... وقد بيتوا أمرا

— ٢ —

دخل « حنظلة بن أبي عامر » وكان شابا ريق الشباب، طري العود، فض الإهاب، فألقى أباه غارقاً في تأمله، يصعد بين فترة وأخرى زفرات حرى تنم عما يعتلج في قلب صاحبها من هم وكمد ... وكانت أساريره تفضح ما في نفسه من حقد وثورة ... فوقف حنظلة غير بعيد منه وألقى عليه تحية المساء، فلم يشعر به ولم يلتفت إليه.. ثم ضرب بقبضته على فخذه وصاح كالمحموم : « كلا ! كلا ! لن تكون أرض يثرب لمحمد موطئاً سهلا ! ! » ورفع رأسه فرأى ابنه حنظلة واقفاً، فنظر إليه نظرات صارمة كأنها جمرات الجحيم ثم قال : —

— أهذا أنت يا حنظلة ! أين كنت وقد انقض السامر وغاب القمر !

— كنت في دار أبي أيوب الأنصاري أستقبل محمداً وأحييه. لطالما تاقت نفسي إليه، وحنت روحي إلى لقائه.. كنت قبل أن أراه كسالك البيداء ... تحرقه شمسها، ويلفحه غبارها، ويضمره ظلامها، وتمنيه رمالها ... فلما أبصرته رأيت النور الإلهي بشراً سويا ؛ تحف به ملائكة الله، وترعاه عناية السماء .. وحين مددت يدي إليه وصافحته — روحي فداه له — ذهلت عن نفسي، ورأيتني طائراً يرفرف بجناحيه في رياض الخلد ...

* تقدمت لقراء الرسالة القراء منذ عامين سلفا طائفة صغيرة عطرة من دماء هؤلاء الشهداء الأبرار.. ثم جاءت بعض مناحب الحياة فجف القلم في يدي وبقي الأمل في قلبي .. الأمل في أن أبعث هذه الدماء حية تنبض بالقوة .. وتنعم بالإيمان ... فلما انجلت الغمرة وانكفأت الغمة — عدت فألفيت بقلبي وقلمي في فردوس هؤلاء الشهداء . يبتسمان منهم ويبتسمان منهم ويتحدثان عنهم . .

فأويت إلى ظل محمد .. ونسيت متاعب الصحراء

سمع أبو عامر كلام ابنه ؛ فقام كمن يتخبطه الشيطان من المس ثم قال :

— ويل لك يا حنظلة ! أو قد صبأت ! أكفرت بآلهتنا ؟ هل سحرك محمد فنسيتني وعصيتني ؟ كيف ألقى بعد اليوم فتيان الأوس وقد جافى العار ؟ !

— لقد آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، منذ بعثه الله وكفرت بهذه الأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تغني من الحق شيئاً ... لقد طهرني رسالة السماء من الجاهلية .. وأخرجني محمد من الظلمات إلى النور ... وسكب في روحي إيمانا يشع بالخير والنقاء .. وعلمني أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. وأن المسلم في الدنيا خليفة الله في الأرض .. ينشر رسالته ويعلي كلمته ... وأنا أدعوك يا أبت إلى نبذ عبادة الأصنام ، والإيمان بالله الواحد القهار .. بارئنا وقيوم السماء والأرض .. وسكت أبو عامر قليلا ثم اصطكت أسنانه ، وتلاحقت زفراته وقال :

— ماذا أرى ! ماذا أسمع ؟ وحاك أيتها الآلهة ! اغرب عن وجهي يا حنظلة .. فلا أراك بعد اليوم ، وليس لي منذ الساعة بيثرب مقام

ثم لبس رداءه ، وحمل سيفه ، وامتطى راحلته ، وصفق الباب وراءه صفقة عنيفة وانطلق (١)

— ٣ —

ومرت سنتان ونيف .. حتى كانت تلك الليلة التي استوى فيها القمر بدرا ، وملأ الكون نورا .. وقد انصرف حنظلة من المسجد فرحا يرقص قلبه طربا ، وبعد أن بارك رسول الله زواجه بفتاة من الأنصار .. سار في أزقة المدينة ، يحيط به أترابه من الفتيان والبشر يملأ وجوههم ؛ والسعادة ترفرف عليهم .. ساروا يزفون حنظلة إلى فتاته في عرس لم تشهد المدينة له مثيلا .. فكان الفتيان يهتفون ، والنساء يزغردن ، وحلت الفرحة في كل بيت .. لأن حنظلة حبيب إلى كل قلب ، لما حباه الله من رقة في الشمائل ، وكرم في المشر ، ونبل في الخلق .. وإذا كانت الأصنام قد حرمته في مثل هذا اليوم حنان الأب وفرحته ، فقد حبـــاه الإسلام حنان كل أب في المدينة ، وعطف كل أخ .. فلا عليه أن يهنأ ويسعد وقد فدا الإسلام له أبا وأما

زف حنظلة إلى عروسه ، وكانت فتاة صنعتها رسالة محمد ، فأقبلت عليه تتضوع في أثوابها ، فخف إليها يستقبلها ، فانتشر ثغرها الحلو عن ابتسامة عذبة أسرت قلبه ، وملكت عليه لبه ؛ لأنها ابتسامتها الأولى لرجل .. فما عرفتها المدينة إلا فتاة عفة نقية ، كالزنبقة المغلقة تنشر الشذى من خلف أوراقها البيض الندية

ونام حنظلة ليلته تلك هانئا ناعم البال .. ورأى نفسه مع بعض إخوانه في روضة جميلة ضاحكة .. موشاة بالزهر ، مضمخة بالعطر ، تجري من تحتها الأنهار .. وتخطر في رودها الحسان ، وهن يوقعن أعذب الألحان .. وأفاق من غفوته وقص على عروسه حلمه الجميل ، فابتسمت له وقالت : سيتحقق حلمك ياحبيبي .. وكادت يده تلامس يدها حين سمع منادي رسول الله ينادي بالخروج إلى العدو في أحد ؛ فنظر إليها ونظرت إليه ، ثم وضع ثيابه عليه وحمل سيفه ووديعها .. فانحدرت من مقلتيها دمعتان .. ولم تفارقها ابتسامتها

— ٤ —

خرج من صفوف المشركين فارس على جواد مطهم ، وبيده سيف ثقيل يهزه هزات عنيفة ، وينادي بصوت جهير .. كأنما يريد أن يجتاز به السهوب ، ويزلزل القلوب .. ليصل إلى يثرب .. بلدته التي فارقها منذ أمد بعيد ، بعد أن قطع على نفسه عهدا أشهد عليه اللات والعزى ، ألا يترك محمداً يجد في يثرب الراحة والاستقرار

نادى في المعركة : « يا معشر الأوس ! أنا أبو عامر » فإذا بأصوات المؤمنين القوية الرعدة تصك سمعه بقوة وعنف : « لا مرحبا بك » وسمع حنظلة صوت أبيه .. ذلك المشرك الذي يحارب الله ورسوله ، ويكيد للاسلام ، فلم يسمعه صوت أب وإنما سمعه صوت مشرك يتحدى المسلمين ، فأخذته عزة الإسلام فهب يستأذن رسول الله في قتل أبيه فنهاه رسول الله عن ذلك .. فرجع كئيبا ينتظر

ولما انكشف المشركون رأى حنظلة أبا سفيان قائد جيش

(١) خرج من المدينة ومعه خمسة عشر رجلا من الأوس ولحق بمكة

أبو هلال العسكرى

بين البلاغة والنقد

للأستاذ عبد العزيز قلقيلة

تقدمت بهذه الدراسة إلى أستاذى الفاضل الدكتور إبراهيم بك سلامة أستاذ البلاغة والنقد الأدبى بكلية دار العلوم عام ١٩٤٩ فظفرت منه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

وأنا أهديها إليه على صفحات الرسالة الغراء ، تحية تقدير ووفاء وتهنئة بظهور كتابه الجديد المنتخب «بيارات أدبية بين الشرق الغرب» ع . ق

تمهيد :

هذا بحث تكلمت فيه عن أبى هلال — فى كتابه «الصناعتين» بين النقد والبلاغة ، وكان مما وجهنى إليه وحفزنى إلى الكتابة فيه ، أنى قرأت كتاب الدكتور محمد مندور (النقد المنهجى عند العرب) . فهالنى بل روعنى أن يكون فى القرن الرابع الهجرى — وهو ألمع القرون وأحفلها بجلائل الأعمال فى جميع أنواع المعرفة عند العرب — رجل بتلك الصفات وهذه النعوت التى أضافها إليه الدكتور ، وقلت : ألا يمكن أن يكون فى العرض من جانب الدكتور لأبى هلال ظلم للرجل وتحامل عليه ؟ وعلى فرض أنه بهذا الفساد وذلك الانحراف ، ألا يمكن الاعتذار عنه ؟

وكان أن عولت على لقاء أبى هلال فى كتابه والاستماع إليه ثم التحدث عنه بما يثبت حكم الدكتور أو ينقضه كيما أذهب عن نفسى قلقها وأردها إلى شىء من الاطمئنان

وسيتبين القارئ منهجى فى البحث : أما إجماله فهو أنى قد جعلته ثلاث مراحل : الأولى : — تمهيد للقاء أبى هلال ، وذلك أنى أحببت أو رأيت أنه لا ينبغى لمن يتصدى للقاء العظماء أن يكون جاهلا بطبيعة عملهم ونواحى العبقرية والنبوغ عند غيرهم فى هذا العمل . فكان هذا الإلمام السريع من جانبى بنشأة البلاغة والنقد وتطورهما إلى عهده . ومنه وقفت على تشابه نشأتيهما بل على وحدة الظروف التى خلقتهما ؛ وإذاً فليس من الغريب أن يلتقيا فى تطورهما أكثر من مرة على أيدى رجال موزعين بينهما أو قد أحاطوا بهما فتكلموا فيهما على اختلاف فى الميل إلى أحدهما أو زيادة فى الاهتمام به . والمرحلة الثانية : هى الاختلاف إلى أبى هلال والتردد عليه ، بل مصاحبته مصاحبة شديدة فى أبواب الكتاب العشرة وفصوله الثلاثة والخمسين أستمع إليه فأفهم عنه وأعون له . ولم أنس أنى إنما سميت إلى لقائه لأحق حقا أو لأبطل باطلا . فلم يغب عنى وأنا فى حضرته ما قاله : صاحب (النقد المنهجى) فيه . وكثيراً ما قررت كلام صاحبى أو ترجمته موضحا عبارته ، مستخلصا فكرته ، واضعا إياها فى ميزان النقد العام فإذا بها تثقل وترجح ، بينما ميزان الدكتور قد شال بها وخف

لهذا بعد أن فرغت من لقاء أبى هلال وودعته قمت بعملية تجميع للتهم التى وجهها إليه الدكتور مندور وناقشتها واحدة واحدة وتلك كانت المرحلة الثالثة

وكانت الخاتمة ، فنبهت إلى أن أبا هلال وإن كان قد تكلم

المشركين .. يسير مزهوا يميل برأسه تيها وكبرا . فانقض عليه وضرب بسيفه قوائم فرسه فوقع على الأرض يصيح ، وحنظلة يريد ذبحه ، ولم يكد يرفع السيف ليهوى به على هامة أبى سفيان ، حتى أدركه (الأسود بن شعوب) فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ولكنه وثب كالأسد ومشى فى الرمح وقد أثبته ، فعالجه الأسود بضربة ثانية نفر صريعا

وقبل أن يغمض عينيه .. تذكر عروسه وهى تبتسم له وتقول : سيتحقق حلمك ياحبيبى . . ورآها وقد انحدرت من مقلتيها دمعتان ... ولم تفارقها ابتسامتها .. ورأى رسول الله يقبل نحوه ... فتعلق بالحياة وهم أن ينهض لاستقبال رسول الله ولكنه وقع على الأرض ... وقبل أن تفيض روحه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأترابه ... بصوت تقطعه الحسرات .. « إن صاحبكم هذا تغسله الملائكة »

جبلة — سوريا عمر عودة الخطيب

فى البلاغة والنقد وجمعهما بل ومزجهما فى كتاب فليس هو بدعا فى هذا، لا فى تاريخ النقد العربى ولا فى تاريخ النقد العام

البلاغة والنقد ووظيفتهما

البلاغة بمعنى الكلام البليغ هى الأدب، وهى بهذا الاعتبار مادة البحث وموضوعه للبلاغة الاصطلاحية والنقد الأدبى. ولن أتعرض لها هنا من هذه الناحية، كما لن يكون من همى أن أتتبع تلك التعريفات التى أوردها أبو هلال فى صدر كتابه وعلق عليها شارحا موضحا. بل يعنينى من البلاغة ما كان يفهم قديما، وما يفهم الآن من كلمة (البلاغة). أعنى هذه القواعد وتلك التقاسيم التى كونت هذا الثالوث الضخم (المعانى والبيان والبديع). ووظيفتها: — أنها ترشدنا إلى أحسن الوسائل التى تجعل كلامنا محتما ناصا مؤثرا

أما النقد الأدبى فهو: «من دراسة النصوص وتمييز الأساليب» (١). ووظيفته «تقويم العمل الأدبى، وتحديد مكانه فى خط سير الأدب» (٢) فكل منهما يدور حول تحقيق الصدق والقوة والجمال فى الإنتاج الأدبى

«نشأة البلاغة وتطورها الى عهد أبى هلال

من حسن فهم أبى هلال لطبيعة الأشياء هذا النص الذى نقله عن مجموعة التحفة البهية الدكتور زكى مبارك: «البلاغة ليست مقصورة على أمة دون أمة، ولا على ملك دون سوقة، ولا على لسان دون لسان. بل هى مقسومة على أكثر الألسنة. فهى موجودة فى كلام اليونان وكلام الفرس وكلام الهند وغيرهم. ولكنها فى العرب أكثر لكثرة تصرفها فى النثر والنظم والخطب والكتب ولهم أيضا متفاوتون فيها. فقد يكون العبد بليغا ولا يكون سيده، وتكون الأمة بليغة ولا تكون ربتها. فالبلاغة قد تكون فى أعراب البادية دون ملوكها وقد يحسنها الصبى والمرأة» (٣)

والبلاغة التى يقصدها أبو هلال فى هذا النص هى (الملكة) أى القدرة على تأليف الكلام البليغ. وهى قديمة جدا قدم الأدب. بل ليست هذه الآداب إلا آثارها ودلائل وجودها. ولقد وجدت الآداب منذ وجدت الجماعة. وكان لهذه الجماعة تحضر وتمدن وعقيدة

أما الاتجاه إلى دراسة هذه الآداب بقصد نقدها واستنباط قواعد البلاغة منها فهذا ما تأخر ظهوره واختلفت مظاهره عند كل أمة وفى كل أدب حسب الظروف والملابسات

أما عند العرب فقد نزل القرآن بلغتهم الأدبية وفيه كثير من الأنواع البلاغية؛ لكنهم ما كانوا يحتاجون فى فهمه وتذوقه إلى علم أو معلم لأنهم بلغاء بالطبع

لكن الدين قد انتشر ودخل فيه خلق كثير من غير العرب بدأوا يقرأون القرآن فيلقاهم منه من الكلمات والآيات ما يعجزهم فهمه ويعز عليهم تأويله. ولهذا رأينا منهم من يسعى إلى بعض علماء العربية (أبى عبيدة سنة ٢٠٦ هـ) يسأله فى معنى قول الله «طلعها كأنه رؤوس الشياطين» (٤) فيجيبه بما هو من صميم العربية ومألوف استعمالها

«هذا نظير قول امرئ القيس:

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ولكن هذا العالم الجليل لا يدع الموضوع يمر دون التفات منه لحاجة الناس إلى بيان فيه فيؤلف كتابه (مجاز القرآن)

وتكون هناك محاولات وابتداءات تظهر فى شكل رسائل أو مقالات، وتنشط هذه الحركة وتنمو، ويزداد سلطان المعتزلة، ويترجم منطق أرسطو فيتصلون به وبالفلسفة اليونانية؛ ويعجب الفرس وغيرهم بهؤلاء المتكلمين الذين يحكمون العقل والمنطق فى جدلهم وحوارهم فينحازون لهم وينضمون إليهم

وتروج هذه الثقافة وتشيع فتزدهر البلاغة وتنمو

حتى إذا جاء القرن الثالث، عرف بجمع المادة الأدبية وعرضها فى أبواب تنقصها الطريقة العلمية ولكنها موصلة إليها

فهذا «الجاحظ» (٢٥٥) يبتدئ به البيان ويكتب فيه ويجمع له مادة غزيرة، متعقبا بعضها أحيانا بنقد يعتبر أساسا للبلاغة وللنقد المنظم فهو يتحدث عن الفصيح وعن الفصاحة، ويفرق بين الفصاحة بمعنى البيان، وبين البلاغة بمعنى الوصول

(١) فى الميزان الجديد — مندور ص ١٣٢
(٢) النقد الأدبى — السيد قطب ص ٥
(٣) النثر الفنى ج ١ ص ١٠٠ المرحوم زكى مبارك
(٤) الأدب العربى وتاريخه ج ٢ ص ١٨٧ المرحوم محمد عطى

إلى الغرض ؛ ثم يعرض لتعريفات عدة فى البلاغة عند العرب ، وعند غيرهم ممن لهم بالعرب اتصال جغرافى أو ثقافى

ويعمل جهده فى التدليل على أصالة البيان العربى وأنه للعرب خاصة ، ويتكلم فى الأسجاع ما يحسن وقعه منها وما يسوء مع التمثيل لهذا وذاك ، ويطوف فى بيانه وتبيانه على الشئ الكثير من الأنواع البلاغية ، وقد يؤرخ لها ويقارن بينها ضاربا الأمثال من القرآن والسنة والشعر القديم والشعر الحديث . ثم هو بعد صاحب المذهب الكلامى

وبحق ما قيل من أنه أول باحث فى البلاغة ، ولكن أبحاثه لم تكن مبوبة مرتبة ، وإنما هى معلومات طيرة فتحت مغاليق هذا العلم

ومجموع الجاحظ حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى كانت البلاغة قد استقرت عند أوليات الأمور التى تبحث فيها وتقنن لها ، وقد لخصها الدكتور طه حسين باشا أو عنون لها بالأمور الآتية :

١) الكلام على صحة مخارج الحروف ، ثم على العيوب التى سببها اللسان أو الأسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه

٢) الكلام على سلامة اللغة ، والصلة بين الألفاظ بعضها وبعض ، والعيوب الناشئة عن تنافر الحروف

٣) الكلام على الجملة والعلاقة بين اللفظ والمعنى ، ثم على الوضوح والإيجاز والإطناب ، والملاءمة بين الخطبة والسامعين لها ، والملاءمة بين الخطبة وموضوعها

٤) الكلام على الخطيب(٥)

أما النصف الثانى من القرن الثالث فقد ظهر فيه علمان من أعلام البلاغة ، ترك كل منهما فيها من الآثار ما جعلها تنقسم إلى قسمين أو تسير فى اتجاهين : أحدهما عربى صرف أو هو أقرب أن يكون عربيا صرفا ، والثانى منطقى صرف أو هو أقرب أن يكون منطقيا صرفا :

فأما أولهما : فهو عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ) فهم ما قاله الجاحظ واهتدى بطريقته وجمع من فكرته مع زيادة عليها ما ألفه وسماه (البديع) وجعل منها خمسة أنواع أصيلة عند العرب القدماء وليست مبتكرة ، رد بذلك على المحدثين الذين ادعوا اختراعها والسبق إليها وهى :

الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى

وتطغى هذه الأنواع على غيرها فى كتابه ، لأنه يبدأ بذكر الخاصية ثم يورد أمثلة لها من القرآن والحديث والشعر ، ويعقب على هذا بذكر ما عيب من استعمالها

ثم بعد ذلك يذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، وهى كثيرة يجتزئ منها بالآتى : الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، الخروج من معنى إلى معنى ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، هزل يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريض والكناية ، الإفراط فى الصفة ، حسن التشبيه ، إعنات الشاعر نفسه بالقوافى ، حسن الابتداءات

والناظر فى موضوعات كتاب (البديع) يرى أن علوم البلاغة : (المعانى والبيان والبديع) لم تنفصل بعضها عن بعض ، ولم توضع لها حدود تميزها ، فإن المؤلف ساق أبواب البيان الثلاثة وهى الاستعارة والكناية والتشبيه مساق الأنواع البديعية فى كتابه

وأما ثانيهما : فهو قدامة بن جعفر (٢٧٥ — ٣٣٧) ، كان نصرانيا ثم أسلم ، درس الفلسفة والمنطق ، وألف كتابا سماه (نقد الشعر) . يقول أستاذنا الكبير طه حسين باشا : « إن هذا الكتاب قد استغله كل مؤلف جاء بعده ، وعندما نقرأه نحس من أول فصل أننا بإزاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل » (٦)

وقد ألم قدامة فى كتابه بعشرين نوعا من أنواع البديع ، توارد مع ابن المعتز فى سبعة منها وانفرد بثلاثة عشر

ونلاحظ هنا ما لاحظناه سابقا ، وهو أن العلوم الثلاثة لا زالت مختلطة

وهنا نجد أنفسنا بصدد أبى هلال العسكرى وكتابه (الصناعتين)

فلنعد الآن من حيث أتينا ، ولنسر هذا الشوط مرة أخرى كيما نؤرخ للنقد

٥) مقدمة نقد النثر ص ٧ ، ٨

٦) مقدمة نقد النثر ص ١٦

يتبع

عبد العزيز قلقيلة

نظرات خاطفة

شاعر السودان *

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

وهذا شاعر آخر من السودان ، القطر الذى فتنت بنبل كرم أهله ، وسمو أخلاقهم ، وعروبتهم الأصيلة ، القطر العربى الإفريقى المصرى الذى ظلت قيود الاستعمار البغيض تعض ساقيه سنوات طوالا ، وسوطه يلهب الظهور ، ويدمى الرقاب ، وهو ثابت كالطود الأشم يكافح ويناضل فى سبيل استقلاله وحريته ، والمحافظة على لغته الأصيلة ، لغة القرآن الكريم ، دون أن يلين أو يستكين ، وبين حين وآخر يلتفت نحو منبع النور والثقافة والحرية ليهتف على لسان شبابه المتوثب :

أمل فى الزمان مصر فحيا الله مستودع الثقافة مصرا
نصر الله وجهها فهى ما تزداد إلا بعداً على وعسرا
إنما مصر والشقيق الأخ السودان كانا لخافق النيل صدرا
لا رغبنا عنها ولكن دهراً ناوأتنا صروفه كان دهرا (١)

فى هذا القطر المترامى الأطراف والجوانب ، الشاسع الحدود ، الذى يعيش فيه أهلوه وأكثر شبابه غرباء ، غرباء الروح والفكر ، يظهر بين فترة وأخرى فنان يعيش لأجل فنه يرى بعينه آلام شعبه ، فيحرق نفسه بخورا ليدير لهم السبل القويمة لعله يوصلهم إلى محجة الخير والسعادة والكمال ، ومن هؤلاء الأفذاذ الذين أنجبتهم هذه الأمة الكريمة العربية المجد والأصل شاعر عربى النزعة مصرى الهوى بدوى النفس لشعره جميع الخصائص والميزات التى يتصف بها الشعر « الكلاسيكى » الأصيل ، من جزالة فى الأسلوب ، وإشراق فى الديباجة ، وجمال فى المبنى والمعنى ، وهو الأستاذ محمد سعيد العباسى

* أشكر الأخوين الكريمين الأستاذ الفاتح على مختار وعبد الفتاح الحاج على صالح العبادى على إهدائهما « ديوان العباسى » لى

١) من شعر المرحوم الشيخ يوسف بشير الصفحة (٨٦) من ديوانه — اشراقه —

ترجمة حياته :

كتب الشاعر تاريخه بقلمه فقال : (٢)

« أنا محمد سعيد العباسى بن محمد شريف بن نور الدائم بن أحمد الطيب العباسى منشئ الطريقة السمانية بمصر والسودان ، ولدت بمز أديب ولد نور الدائم بالنيل الأبيض ٢٣ من رمضان سنة ١٢٩٨ هجرية (٣) ، ولما انتقل بى والدى فى حوادث المهدية إلى الشيخ الطيب بمديرية الخرطوم شمالا وبلغت من العمر سبع سنين أدخلنى مكتبا « خلوة » لقراءة القرآن عند عمى الزاهد الورع الشيخ زين العابدين ، ثم تنقلت فى مكاتب أخرى تبلغ العشرين عدا ، وكان والدى يأمرنى أثناء قراءة القرآن بحفظ متن الآجرومية صوره لى بنفسه مع متن الكافى فى علم العروض والقوافى ، وبعد استرجاع السودان ودخول الجيش المصرى طلب « كتشنر » من والدى إلحاقى بالمدرسة الحربية المصرية فدخلتها يوم ٢٨ مارس ١٨٩٩ م وبعد سنتين استعفيت لأنى رأيت أن لا أمل لى فى الترقية وإن كنت أول الناجحين فى الامتحان »

ثم يسترسل المترجم فيذكر أساتذته الذين تأثر بهم فيقول :

« إن أولهم كان أباه الذى حثه على حفظ أشعار الفحول القدامى ثم أستاذه الجليل المرحوم الشيخ عثمان زنانى الذى كان فى طليعة الشعراء والأدباء فى زمانه ومن رثائه له يستبان لنا ذلك حيث يقول :

فيا رحمة الله حلى بمصر ضريح الزنانى عثمانيه
فذانى بآدابه يافعا وقد شادنى دون أترابيه
ويا شيبة الحمد إن القريض أعجز طوقى وأعيانيه
أعرنى بيانك أسمو به الأصم ، وأنطق به الراقيه (٤)

وهذا كل ما يعلمنا عنه الشاعر من سيرته التى كتبها بقلمه ولكننا لو رجعنا إلى مقدمة الكتاب التى كتبها الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك نراه يوضح المميزات الخاصة بشعر العباسى وتأثره

٢) ص (٩) من ديوان العباسى والديوان يقع فى (٢٠٤) من القطع المتوسط ، مطبعة الاعتماد ، دار الفكر العربى

٣) أى أنه مضت حتى الآن (٧٣) سنة على ولادته أمد الله فى عمره

٤) من قصيدته « وسائل العلا » ص (٥٢) التى رثاها الدكتور زكى مبارك وصدرها اهداء الديوان

بالحياة المضطربة التي عاشها في السودان والحوادث السياسية التي تعرض لها والتي صحبته في أواخر القرن المنصرم ، قال :

« فالسيد العباسي إذا صدح في شعره أحسست في موسيقاه أصداء أناشيد الشريف الرضي إذ تتردد في شعره حرارة السراة السادة الذين يحسون مسئوليتهم في المجتمع ، وتجمع معها نغمة أخرى من كرامة السادة الذين يحسون قصر اليد عما يريدون

وإذا كان شعر السيد يمثل لنا ديباجة موسيقى السيد الكريم ، فإن فيه ألواناً أخرى تذكرنا بأرواح يملؤها الطموح وتتقد فيها حرارة القلب الذكي . فهو إذن رجل يجمع نفس الحر الأبي القلب القوي الذكي إلى فن الشاعر الذي يغوص إلى أعمق المعاني ويصورها في أبرع اللوحات . ثم هو في ديباجته فذ لا يكاد يجد له الناقد عديلا إلا في عباقرة الشعراء من قدماء ومحدثين (٥) »

وإذا أردنا نحن أو أراد ناقد آخر أن يكشف للقارئ عن تلك الخطوط التي أشار إليها الأستاذ أبو حديد فهل يستطيع ، أما أنا فأقول بالإيجاب ، ومن قرأ له مثل هذه الأبيات :

إلى كم أمنّي النفس ما لا تناله ... بجوب الفيافي وادراع الفدافد (٦)
وقد رقد السمار دوني فهل فتى ... يسير أخا البأساء أجفان راقد
فيانفس إن رمت الوصول إلى العلا
ردى قسطل الهيجا وغمرتها ردى (٧)
أما ويمين الله وهي أليّة ... تقال فتغني عن يمين وشاهد (٨)
سأصفح عن هذا الزمان وماجنى ... متى ظفرت كفاي منه بماجد
وإن ألقه بعت الحيـــاة رخيصة
وآثرته باثنين : سيفي وساعدي (٩)

وقوله :

يا أعجب الأيام كم دفعت بنا ... في ذي الحياة الى مضيق
أنا في زمان عشت فيه بمعشر ... يجزى الجميل لديهمو بعقوق
طرحو المهند للعصا واستبدلوا ... بالأمس تغريدي لهم بنعيق
ما دمت سباقا فليس بضائري ... أبداً مقال مدفع مسبوق (١٠)

لا يشك في أن الروح التي كانت تمتاج في أجساد الشعراء السادة الفحول من شعراء العرب وخصوصا الفرسان هي نفسها التي كانت تضطرم بين جنبي شاعرنا العباسي إبان نظمه الأبيات الآنفة الذكر . ولا غرو فالعباسي كان من أرباب السيف والقلم ، وقد خاب في مضمار السيف فتركه ليبرع في الشعر أسوة بشاعر النيل حافظ إبراهيم ... على أن حافظا كان وحده الله فقيرا محتاجا فكان يحس في أعماق نفسه بالجامعة فأراد أن يكون شاعر القصر عساه يتمتع بمباهج الحياة في ظل القصور الفارهة الناعمة ... ولما خاب أمله اتجه إلى الشعب ليسكب ثورة نفسه وألم خيبته في الشعر الذي كان يعبر به عن آمال نفسه. أما العباسي فقد كان مكتفيا وكانت المادة متوفرة لديه فلجأ إلى الشعب يخاطبه بشكل آخر ، شكل السيد الآمر ، والزعيم المضطهد ، لذلك جاءت في شعره أنفاس من طموح الزعماء ، وآلام من ثورة الأحرار الذين رغم انصرافهم إلى السياسة وأمور الدنيا لم ينسوا آخرتهم ودينهم لتأثير الناحية الدينية عليهم منذ نشأتهم

٥) مقدمة الأستاذ أبو حديد من ص (١٣ إلى ٢٠) من الديوان
٦) الفدافد جمع فدفد وهي القلاة
٧) قسطل الهيجاء ، غبار الحرب
٨) الأليه : اليمين
٩) قصيدته « من سائدي » ص ـ ٤١ ـ الديوان
١٠) قصيدته « آلام وآمال » ص ـ ٩٨ ـ الديوان

البقية في العدد القادم — عبد الغفار رشيد الناصري

مختارات من الأدب الفرنسي
شعر ونثر
للاستاذ أحمد حسن الزيات بك
مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها
وثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

الإسلام وحياتنا العامة

للأستاذ محمود عبد العزيز بحرم

إن أمتنا أمة مسلمة . غير أنها لا تستوحي الإسلام في تصرفاتها ونظرتها للحياة وأحداثها . ولا ترى أن من الخير الذي يعود عليها بأجزل النفع أن تنظر إلى الحياة من خلال الفكرة الإسلامية . وإن كثيرا من الكتاب يخرجون علينا بأفكار مختلفة ، منهم من يرى أن حياتنا يجب أن تنهض على الإسلام ، ومنهم من يرى أنه يجب أن ننحى الإسلام عن حياتنا هذه ، وأن نشرع فيها على أسلوب جديد يوافق روح العصر ، ويقطع كل ما يصلنا بهذا الدين العتيق

والعجيب أن أكثر هذه الكتابات التي تنادي بفصل ديننا عن حياتنا إنما هي بأقلام كتاب مسلمين . والمفروض أن المسلم يكون أحرص على دينه ، وأغير عليه من أي إنسان آخر ، حتى يؤدي واجبه نحو نفسه ، ووطنه ، وربه ، على خير الوجوه وأكملها . وهؤلاء الكتاب بعملهم هذا ينهجون نهج أقوام آخرين لا تربطهم بالدين الإسلامي رابطة ، لا يكادون يهادنونه ويدعونه يرسم صورة للحياة الناضجة القويمة ، ويقفون له بالمرصاد ينتقصونه ، ويسفهونه ، ويزرون به ، وينعون عليه أحكامه وآدابه وتوجيهاته

وإذا استوحى المسلم غير الإسلام فهو وغير المسلم سواء . وهو حرب على دينه . وهو عون لأعدائه عليه . وهو دخيل علينا لا يجوز أن نركن إليه ، ولا نأتمنه ، ولا نهادنه . وعلينا أن نحذره ونتعرف على نياته ودخائله لأنه أخطر علينا من العدو الألد والهاجم الصريح

ليس ما نشكوه في هذه الحرب هو الأجانب وحدهم ، بل نشكو المسلمين أيضا ! هؤلاء الذين يعملون لهدف غير هدفنا ، ويسعون لمثل غير مثلنا ، ويبنون حياة لا تتفق وحياتنا . وبعد ذلك تتخذ أقوالهم وأعمالهم حجة على الإسلام إن لم تتخذ على أنها الفكرة الأسلامية في ذاتها . ونعاني من وراء هذا العسف الغليظ والضر الأليم . ونتفق من قوانا في جبهتين ، إحداهما داخلية ، والأخرى خارجية

هذا الإسلام بعيد عنا . وكلما نادينا بالاقتراب منه ، والاسترواح في ظله ، والاستقاء من نبعه ، خرجت علينا الذئاب العاوية لتقتنص منا الفئم الشاردة ، فتفرق وحدتنا ، وتضرب في صفوفنا ، وتزعزع إيماننا برسالتنا ودينا وأهدافنا المثيرة الحقة . ومن هنا يظل الإسلام بعيدا عنا أطول مدة ممكنة ، حتى يمتص المستعمرون وأعوانهم الثمالة الباقية من ذخائرنا ، ثم بعد ذلك نكون جسدا هامدا لا خير فيه

إذا أردنا أن يكون الإسلام أسلوب حياتنا فعلى كل مسلم أن يكون صاحب دعوة وصاحب رسالة . عليه أن يعتقد اعتقادا جازما أن الواجب لا يتم إلا به ، فعليه جزء منه ، وعليه أن يبذل في سبيله ، لا فرق بين رجل دين وغيره . فالإسلام ، والعمل له ، والإيمان به ، دعوة كل مسلم ورسالته . والمسلمون جميعا مسئولون عنه لا فرق بين إنسان وإنسان . أما هذا الكلام المملول في مسؤولية المسلمين فليس من الاسلام في شيء . ليس في الاسلام رجل دين ورجل دنيا ، ولا رجل مسؤول ورجل غير مسئول ، ولا فرد يعمل وآخر يعتمد على عمل غيره ، إذ كل المسلمين في نظر الاسلام سواء ، وهم مكلفون العمل له والإيمان به ، لا يغني بعضهم عن بعض شيئا

إذا أردنا أن يكون الاسلام أسلوب حياتنا فعلى كل مسلم أن يهتدي به في حياته ، فيحققه في كل عمل وقول ، ويتجه إلى وجهته ، ويشيعه في حياته العامة والخاصة ، ويمتلئه مبدأ لا يحيد عنه ، ويشارك به فيما يرى من رأي أو يرغب من رغبة

على كل مسلم أن يجعل حياته إسلامية ، وأن يفيض من خيرها وبرها على الوجود من حوله ، وأن يحمل غيره على ما يحبه له ولنفسه وللناس جميعا ، من خير لا ينقطع ، وبركة زاكية ، وحب شامل ، وإخلاص عميق في كل ميادين الحياة ، في التجارة والزراعة ، في التعليم والسياسة ، في الاجتماع والاقتصاد ، في خاصة الرجل وخاصة المرأة وفي المشترك بينهما

ليس في هذا مشقة على أحد . فكل إنسان يستطيع أن يرسم حياته بالطريقة التي تروقه وتحلو له . وحياة الفرد ليست غير تحقيق عملي لعواطفه وأفكاره . وحوافز النفس وخلجات

الضمير هي أمهات جلائل الأحداث . وتاريخ الأبطال والعظماء ماهو إلا انعكاسات القلوب الكبيرة والنفوس النبيلة

إننا نعمى على الحكومات موقفها من الإسلام . والواجب أن نعمى على أنفسنا مثل ماننعاه على هذه الحكومات ، لأننا نستطيع أن نعمل الكثير لأنفسنا وللاسلام من غير أن نلجأ إلى حكومة نسألها العون ونستجديها المعاذ ، حياتنا المنزلية ، وحياتنا مع أصدقائنا ، وحياتنا في عملنا ، وسلوكنا مع الناس عامة ، وحياتنا الذاتية التي لا يطلع عليها إنسان — كل هذه مجالات مختلفة متفاوتة ، نستطيع أن نحياها صحيحة وأن نبنيها إسلامية . وذلك متى مانصورنا حياة سهلة سائغة سمحة واتخذنا هذا التصور هدفا لنا ومثالا نسعى إليه

وقد قرأت في مجلة الثقافة مقالا لكاتب مسلم ، هو الأستاذ محمد عبد الله عنان . وقد عنون الكاتب موضوعه بهذا العنوان « المرأة والحقوق الدستورية » لامحل للاحتكام بشأنها إلى الدين » ومن هذا العنوان وحده نستطيع أن نلمس حرص الكاتب على تخلي الدين عن حياتنا العامة . مع أنه يجب أن تحتكم إلى الفكرة الإسلامية في كل شؤوننا العامة والخاصة ، شؤون الفرد والجماعة ، شؤون الرجال والنساء ، شؤون الأطفال والبالغين ، في عملنا السياسي أو الاجتماعي أو التهذيبي أو الذاتي ، في سلوكنا الظاهر وسلوكنا الخفي . نحتكم إلى الفكرة الإسلامية في كل هذا حتى نتعرف على مواضع الرشاد ومواضع الزيغ في سلوكنا ، وإذا ماتادى إنسان يمثل هذه الدعوة التي نادى بها الأستاذ عنان فإننا نعتبره أحد رجلين : إما أن يكون رجلا لايعرف من أمر دينه الكثير ، وإما أن يكون رجلا يعين غيرنا عليها . وهو على كلا الحالين غير محمود ولا مشكور

يقول الأستاذ محمد عبدالله عنان في مقاله هذا « ... ولا محل على الإطلاق أن يتخذ الدين أساسا لمثل هذا الموضوع ، سواء لتوكيد التحريم أو الإباحة ، وإذا كانت مصر دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية ، أو بعبارة أخرى أنها دولة تطبق أحكام الدين في سائر نواحي حياتها العامة . فالنظم الأساسية والقوانين المدنية والجنائية المصرية كلها نظم وقوانين تطبعها الصفة اللادينية . ولا يطبق في مصر شيء من أحكام الشريعة الاسلامية في العبادات أو المعاملات أو الحدود بصورة جبرية ، فلا تقطع يد السارق ، ولا يرجم الزاني ، ولا يعاقب شارب الخمر أو تارك الصلاة أو مفطر رمضان ، وغير ذلك ، ولا يطبق منها إلا ما أمكن تطبيقه من شؤون الزواج والأسرة والميراث والوقف (القضاء الشرعي) وحتى هذا يعتبر قضاء استثنائيا بالنسبة للقضاء الوطني العام »

ويستطرد الكاتب قائلا « فإذا ماتقرر ذلك ، وهو أن النظم والقوانين المصرية هي نظم مدنية لادينية ، لأنها هي النظم والقوانين التي توافق روح العصر ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة ، فلا محل إذا لأن نجعل الدين حكما في مسائل لا علاقة لها بالدين ولا تمس العقيدة الدينية ذاتها ، ولا محل إذا لنرجع بمطالب المرأة السياسية والاجتماعية إلى أحكام الدين مادامت هذه المطالب لاشأن لها بالعقيدة الدينية ... »

ونخرج من هذا الاقتباس بثلاث نقاط هامة مؤلمة ومؤسفة في نفس الوقت :

مصر دولة مسلمة ولكنها لادينية ، فدينها الرسمي هو الإسلام ، غير أنها لاتطبق أحكامه في حياتها العامة . والنظم والقوانين المصرية مدنية موافقة لروح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة . ومعنى هذا أن الدين وأحكامه لايوافق روح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة

أن الدين قد ضاق مجاله ، ولم نطبق منه إلا ماأمكن تطبيقه وهو شيء يسير في شؤون الزواج والأسرة والميراث والوقف ، بحيث أصبحت هذه الأحكام اليسيرة قضاء استثنائيا بالنسبة للقضاء الوطني العام

يمثل هذا الأسلوب في الكتابة والتفكير يتناول بعض الكتاب الحديث من دينهم وحياتهم العامة . وهم يخاطون ما يرونه في واقع حياتنا بآرائهم الخاصة ونظرياتهم في الإسلام وصلاحيته . وإذا كانت حياتنا قد انحسر ظل الإسلام عنها في كثير من نواحيها ، فليس معنى هذا أن ندع الأمور تجري إلى غايتها المشئومة ، بل علينا أن نعرف مانحن فيه وما نطمح إليه ، والأسباب التي توصلنا إلى ما نتمنى ، والأسباب التي أدت بنا إلى ما نحن فيه الآن ، وأن نقرن ذلك كله بما كان لنا من ماض زاخر مجيد والأسباب التي دفعت إليه — كل ذلك لنستخلص

العبرة التي تقوم على ضوئها أسلوب حياتنا الراهنة ، ونعالج مشاكلنا المعقدة ، ونهض من كبوتنا السياسية التي لانجد منها مقيلا

إن الأمم الغربية الاستعمارية تنتفض فزعا كلما فكرنا في ديننا وفي إخراجه إلى مجال الوجود العملي . والسبب في هذا ليس خافيا على أحد . إذ أن هذه الأمم الغربية على يقين راسخ من أن ديننا ينظم حياتنا ، ويهذب نفوسنا ، ويبعث الكامن فينا من القوة الخفية ، ويوحد وجهتنا ، ويبلغنا رشدنا . وإذا كان أمرنا كذلك ، فإنها الحرب على الاستعمار والاستغلال والفساد ، وإنه البعث الجديد الذي ننشط منه إلى قيادة العالم وصدارة الأمم ، وحينئذ لا يبقى لأمم الغرب سبب واحد تطمئن إليه ، وتعتمد عليه ، في تثبيت أقدامها في أنحاء العالم الإسلامي لاستغلاله وتسخيره

على أن الغريب حقا هو فزع بعض المسلمين من تطبيق مبادئ الدين . ونحن لا ندري علة لفزعهم هذا . هل نقول إنهم عملاء للمستعمرين ؟ هل نقول إنهم يجهلون من أحكام دينهم ما لا يصح أن يجهلوه ؟ هل نقول إن سين ثقافتهم الذي استقوا منه محارب الإسلام في خفية ، ويسكر صفوه ، ويطمر موارده النقية ؟ إنهم على أي حال يعملون غير ما نعمل ، ويشخصون إلى غير أفقنا

مثل واحد بسيط للدلالة على لون التفكير اللاديني الذي يسيطر على بعض المسلمين ، وهو في الموضوع الذي أشرنا إليه من قبل واقتبسنا فقرات منه . إن الكاتب المسلم يستوحي دينه في إعطاء المرأة حقوقا سياسية أو غيرها ، ويرجع إلى أحكامه يستفتيها ، وعليه أن يلتزم ما تفتيه به هذه الأحكام ، فإن أفتته بالإباحة فهي الإباحة ، وإلا فالتحريم الذي لا وجه فيه لحل بعد ذلك . والكاتب اللاديني ، المسلم رسميا ، اللاديني عمليا ، يسارع إلى أمم الغرب يسألها ماذا فعلت ؟ وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه ؟ ومن الذي أمانها ؟ وعلى خطوة أو خطوتين أو خطوات ؟ وهناك ! عند تقاليد هذه الأمم ، وميراثها ، وشرائعها ، يجد الجواب الشافي الذي لا يحس حرجا في الأخذ به والاعتماد عليه !

« في إنجلترا لم تنل المرأة حقوقها الانتخابية لأول مرة إلا في سنة ١٩١٨ ونالتها عندئذ جزئية ، محدودة ، ولم تنلها كاملة إلا في سنة ١٩٢٨ . وفي أمريكا لم تمنح هذه الحقوق إلا في سنة ١٩٢٠ ، وبعد محاولات عديدة متوالية شملت كل ولاية بمفردها ... ... والمرأة لم تحصل على حقوقها الدستورية في بعض الدول الأوربية العريقة مثل فرنسا وإيطاليا والنمسا إلا بعد الحرب العالمية الثانية . ولم تحصل عليها في بلجيكا إلا في سنة ١٩٤٨ ، وفي ألمانيا الغربية في سنة ١٩٤٩ »

وعلى هذا فإنه لا يجوز أن تحرم المرأة الحقوق السياسية مادامت هذه الدول الغربية العريقة قد أعطت المرأة هذه الحقوق . يجب أن تعطى هذه الحقوق ، دون نظر إلى ما يقوله ديننا في هذا الموضوع ، لأن أحكامه عتيقة لا توافق مقتضيات العصر ولا روح التقدم . اللهم أن نكون كهذه الأمم التي قلدناها ، وقصصنا آثارها ، وأسلمنا زمامنا لآدابها وتقاليدها وروحها ... أما أثر هذا التقليد فينا . . . وأما وقوعنا في قبضة هذه الأمم تستغلنا . . . وأما انهيارنا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بسبب تشربنا روح هذه الأمم وآدابها — كل هذا ليس له عندنا كبير أثر . وهو حقيق أن ينسى مادمنا ندور في فلك هذه الأمم ولو على حساب كرامتنا ، وتقاليدنا ، ودينا ، وصالحنا السياسي والاقتصادي والاجتماعي !

إن حياتنا بنت تصورنا وتفكيرنا . فإذا كان تصورنا إسلاميا ، كانت حياتنا إسلامية . وإذا كنا لادينيين في التصور والتفكير كانت حياتنا لادينية . وعلينا الآن أن نختار ، إما أن نتجه إلى الله الذي منحنا دستورا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإما أن نتجه إلى هذه الدول (المريقة !) التي أذاقتنا المر ، وألبستنا الهوان ، وباعتنا في أسواق النخاسة الدولية — نعمل بدساتيرها ، ونحتكم إلى قوانينها

محمود عبد العزيز محرم

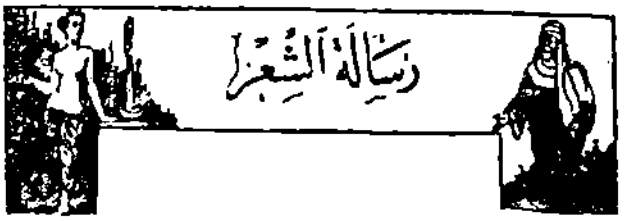

ديوان مجد الاسلام

للمرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

مسجد المدينة

المسجد الثانى يقام بيثرب ... و(محمد الباني) يجد ويعمل (١)
(عمار) أنت لها وليس ببالغ ... عليا المراتب من يكل ويكسل (٢)
إن يثقل العبء الذى حملته ... فلها يحمل ذو النباهة أثقل
ماذا بلغت من السناء على يد ... أدنى أناملها السماك الأعزل ؟
مسحته طهرا منك طال منيفه ... حتى تمنى لو يكونك (يذبل) (٣)
هذا «رسول الله» فى أصحابه ... لا يشتكى نصبا ولا يتمهل
يأتى ويذهب بينهم فلثم ... بالترب، يغشى وجهه وكلكل
من كل قوام على أتقاله ... سام، له ظهر أشم وكلكل (٤)
ما كان أحسنها مقالة زاجر ... لو كان يعرف حكمتها المتمثل (٥)

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن بنفسه فيدأب المسلمون ويقول قائلهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل ... لذاك منا العمل المضلل

(٢) كان الرجل يحمل لبنة لبنة، وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين، فقال له الرسول الكريم : ألا تحمل كما يحمل أصحابك ؟ فقال : لبنة عنى يارسول الله ولبنة عنك، فتفتش صلى الله عليه وسلم التراب عن رأس عمار ومسح ظهره (٣) اسم جبل فى بلاد العرب (٤) الكلكل الصدر. (٥) كان عثمان بن مظعون رضى الله عنه إذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب، فإن أصابه شئ من التراب نفض، فنظر إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وأنشد يذكره :

لا يستوى من يعمر المساجدا ... يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

فسمه عمار بن ياسر وأخذ يردد قوله وهو لا يدرى من يعنى به، فغضب عثمان وأغلظ له القول وكان معه حديدة قال : لتكفن أو لأضربنك بها

هتف الإمام بها، فراح يعيدها ... ثم انثنى متلطفا يتفضل
(عمار) بالك إذ تلام، وباله ... من ذى محافظة يلوم ويعذل
هجت ابن مظعون فأقبل غاضبا ... حنقا، يجيش كما يجيش المرجل
ولقد يحيد عن التراب إناقة ... من لا يحيد عن الضراب وينكل
مهلا (أبا اليقظان) (٦) قرنك (٧) باسل ... وأخوك فى جد الوغى لا يهزل
والله أهاب الله (بال محمد) ... صونوا الحمى، لهو الأشد الأبسل
السيف يعجز أن ينال غراره (٨) ... ما ليس يعجز أن ينال المعول

أبو بكر يؤدى ثمن الحائط الذى أدخل فى المسجد (٩)

إيه (أبا بكر) ظفرت بصفقة ... بهتى مغانمها لمن يتأمل
القوم عند إبائهم وسخائهم ... لو يبذلون نفوسهم، لم يحفلوا
لا يقبلون لحائط ثمنا ولا ... يبغونها دنيا تذم وترذل
الله يطلبه لنصرة دينه ... والدين هم أنصاره، ما بدلوا
قالوا : أمنا يا (محمد) تبتغى ... ما ليس يخلق بالأباة ويجمل ؟
إنا لعمر الله نعرف حقه ... ونعز ملته التى نتمثل (١٠)
نعطى (اليتيمين) الكفاء (١١) وإن هما ... أبيا، ونتبع التى هى أنبل
خذ ما أردت فلن نبيعك مسجداً ... يدعوه فيه مكبر ومهلل
هو ربنا، إن نالنا رضوانه ... فلنا المثوبة والجزاء الأكمل

• • •

إيه (أبا بكر) خليلك مطرق ... يأبى، وأنت بما يريد موكل

(٦) كنية عمار (٧) قرن الرجل كفؤه، ومن يقاومه فى الشجاعة وغيرها (٨) غرار السيف حده (٩) أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضم إلى المسجد حائطا ليتيمين من الأنصار كانا فى كفالة سعد بن زرارة، وقيل معاذ بن عفراء، وهما سهل وسهيل، وقد عرض أبو أيوب الأنصارى أن يؤدى الثمن إليهما فأبى النبي، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أديت من مال أبى بكر، وقال الغلامان : تهبه لك يارسول الله، فأبى، وأراد رجال من الأنصار أن يعوضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن. وجاء أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع اللبنة الأولى فى المسجد ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان، وقيل إن المراد بذلك ترتيب الخلافة

(١٠) تحل الملة دخل فيها (١١) كفاء الشيء ما يساويه

لا بد من ثمن يكون أداؤه حكما يطاع ، وشرعة ما تهمل
لولا الرسول وما يعلم قومه جهل المحجة ظالم لا يعدل
وإذا قضى أمرا ، فما اقضائه رد ، ولا في غيره متطلل
الحق ما شرع (النبي) وباطل ما يدعي المرتاب والمتأول
لا بد من ثمن ، ولست بواجد
في القوم من يضح(١٢) الصواب فيخفل
أمر (الرسول) به فدونك أده ولأنت صاحبه الكريم المفضل
يا باذل الأموال ، نلت ببذلها مالم ينل في المسلمين محول
أتبعت نفسك ماملكت فهجة تنهال طيبة ، وكف تهطل

بلال يؤذن للصلاة

أذن بلال لك الولاية لم تنح لسواك ، إذ تدعو الجوع فتقبل
الله ألبسك الكرامة واصطفى لك ما يحب المؤمن المتوكل
يا طول ما عذبت فيه ، فلم تحل تبغي التي اتبع الفواة الميل(١٣)
(أحد) إلهك ما كذبت ومالن يرجو النجاة على سواه معول
أرنى يديك : أفيهما (لأمية) ورد من الموت الزعاف مثمل ؟
للسيف سيف الله أهول موقعا من صخرة تلقى ، وحبل يفتل
لك في غد دمه إذا التقت الظبي تحت المجاجة والرماح الذبل(١٤)
أذن ، فإن الدين قام عموده ورست جوانبه ، فما يتقلقل
هبط الجزيرة فاحتوى أطرافها وانساب في أحشائها يتغلغل
فكأنما طرد السوائم(١٥) ضيغم
وكأنما ذعر الخمائم أجدل(١٦)

(١٢) مشارع وضح
(١٣) كان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره في الرمضاء ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فيأبى . وكانوا يدفعونه إلى الصبيان فيطوفون به شعاب مكة ، وهو يقول (أحد أحد) وقد رق له أبو بكر فاشتراه من أمية ابن خلف ثم أعتقه ، وكذلك فعل رضي الله عنه بكثيرين كانوا يعذبون في الله . (١٤) قتل بلال رضي الله عنه أمية بن خلف يوم بدر فنعاه الصديق بقوله :
هنيئا زادك الرحمن خيراً لقد أدركت ثارك يا بلال
(١٥) شرحها الناظم ولم يثبتها ، والسوائم جمع سائمة ، للماشية تذهب في المرعى « نعيم » (١٦) الأجدل الصقر

• • •

خف الرجال إلى الصلاة وإنها لأجل ما تصف الصفوف المثل
عمت الوجوه فراكع متخشع يخشى الإله ، وساجد متبتل
صلوا بني الإسلام خلف نبيكم وخذوا بما شرع الكتاب المنزل
الله أيدكم به ، وأمدكم منه بنور ساطع ما يأفل
آثرتم السنن السوى ، فجدكم يعلو ، وجد ذوي الغواية يسفل
هل يستوي الجمان هذا صاعد يبني ، وهذا ساقط يتهيل ؟
يتألفون على الهوى وقلوبهم (شتى) يظل شعاعها يتزيل
نصر على نصر ، وفتح بعده فتح يغيظ المشركين معجل
إن امرأ جمحت به أهواؤه من بعد ما وضح الهدى لضليل
الحق باب الله هل من داخل؟ طوبى لمن يبغي الفلاح فيدخل

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى
للرحلات الثانية من كتاب
رحلات
لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر في الباكستان
ثمن الأول ثلاثون قرشا والثاني أربعون قرشا عدا أجرة البريد
والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

في حياة الفن

أم كلثـــوم

تأليف الأستاذة نعمات أحمد فؤاد

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

الغناء روح النفس ، وروح القلب ، يزيل الشجو بالشدو ، ويبعد الآلام بالأنغام، وإذا توامم الصوت المعبر، واللحن المصور، كان التحليق والسمو . ولعل أجل المواهب ما تعاطف « المشاركة الوجدانية » وما تؤالف النزعات الإنسانية ، فالشعر ، والغناء ، والموسيقاء يكمل بعضها بعضا في موكب الفن الرفيع ، فالموهوبون في هذه الألوان يقضون الشاعر، ويشاركون الأفئدة في اتجاهها الوجداني . والتعبير « فن » قبل أن يكون أداء . وقد أودع الخالق في الحواس القدرة على التذوق ؛ فالأذن موصلة النغم في تأثر وانعطاف وإشباع ، وهي صادقة الحكم ما دامت تتفاعل معها مثيرات الوجدان ، لذلك عظم شأن الغناء وارتفع قدر اللحن . أليست اللغة في أول أمرها أصواتاً ؟ أليس التعبير عن الإحساس كان مقاطع ساذجة تدل على الغرض ؟

بلى ، فالصوت أصل أصيل في قوة التأثير والتأثر ، و « الأوتار » الواهية جال الصوت ثروة إلهية أودعها المبدع الأعظم لتكون نعمة من نعمه الجليلة ! وإن النعمة الممنوحة للشرق المكدود ممثلة في صوت « أم كلثوم » الذي يسري من النفوس أوجاعها ، ويسري في الحنايا سريان الكهرباء؛ فيؤثر تأثير السحر . . . لقد تسمعت إلى الكبد الحرى التي كانت ترسل في التياع « يا أمي الحي هل نقشت في كبدي » وكنت في استهلال صبوتي أجنح بخيالي الصغير إلى عالم روحي بحت ، وعشت في هذا اللحن أنهنه الأنة في صدري ؛ فترسل الزفرة، وتريق العبرة، وأحست في أعماق أن الشادية خالدة ، لأن تعبيرها « فني » ، لا ترسل الكلمة مرتجلة اكتفاء بالصوت المذب ، والتغريد الآسر ، فكأنها تعرب ما يطرب؛ وتراعي مخارج الحروف الدقيقة مراعاة فيها العجب العجاب. وهذا هو الفرق بينها وبين سواها، وهو عينه ما دعا الأديبة « نعمات أحمد فؤاد » أن تعرض لحياة « أم كلثوم » في كتاب دقيق ، أنيق ، شائق ، رائع

لقد تميز أسلوب هذا الكتاب بالأصالة التعبيرية الفنية ؛ فليس ثمت حشو ، ولا إملال ولا صنعة. بل توافق، وتساوق، واتساق، في أناقة شعرية ترف بين السطور فتلمح إلى ذوق الكتاب والكاتبة !

عرضت الأديبة حياة المغنية المبدعة عرضاً في صدق وإخلاص وصفاء ، ولهجت بوفاء « أم كلثوم » في غير موضع مما يدل على نقاء النفس ، وطيب السريرة، وألمت إلى « تحفظها » واستحيائها وانطوائها ؛ ثم انطلاقها ، ومسايرتها ، وانقمالها في تحفظ وتوقر ، وأناة — وقد استغرق الحديث عن هذه النواحي نصف الكتاب ، ولا غرو فهو تاريخ فني يستدعي الإفاضة ، والاسترسال ، والإيضاح

* * *

هذا النزوع الفني من الأديبة دال على تأصل في الفهم ، وانفعال بالفن ومظاهره، لكنها أهدت الكتاب إلى « قيثارة الله » وهذه الإضافة لا تقع في نفسي موقع القبول ، وكان في مقدور الكاتبة أن تهديه إلى « منحة السماء » أو « هبة الخالق » أو ما أشبه التسمية التي تؤدي القصد من دون تحرج ولبس . ولا يقال إن للفن تعبيره الذي لا يتقيد بقيود ، فهو متصل بالروح المجرد ، لأن الأديبة قالت في موضع آخر معبرة عن رأي « أم كلثوم » في حقيقة الفن « والفنان » فاهمة تعابير « الخيام » أنه : « إذا استشف فاعل المفكر ما وراء الأشياء ، وشرب الخمر شاربها بعقيدة أنها تخلصه من عالم المادة وتساعده على النفاذ والمضي إلى ما وراءها ؛ فهو ليس بآثم في نظر الفن » ثم تقول في موضع آخر ص ١٣٠ : « الفنان كالصوفي لا يتحرج من الأشياء تحرجا ظاهرا كتحرج الفقيه؛ بل الخيرية والشرية عنده تتوقف على النية » هذا كلام وقفت عنده لأنه تخريج بعد عن القصد مما يتجه إليه المذهب الصوفي في أرقى مظاهره ؛ فالتصوف يتجرد عن المادة ليصل إلى الذات ، وما جاء مشكلا رد إلى الحقائق

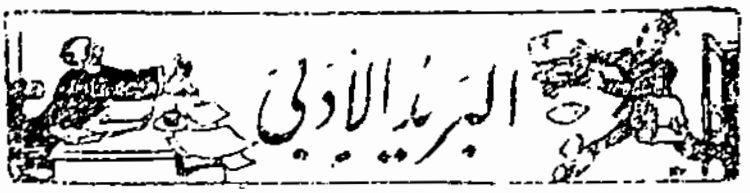

١ — عقاب ذكر وتؤنث :

جاء في الصفحة « ٢٥٥ » من كتاب « من أسرار اللغة » للدكتور إبراهيم أنيس مايلي :

اعل شوقي حين قال :

أعقاب في عنان الجو لاح أم سحاب فر من هوج الرياح

ولم يؤنث الفعل « لاح » رغم أن « العقاب » مؤنثة كأن في ذهنه مثل هذه الظاهرة التي جاءت في شعر القدماء ويعني الدكتور قول الشاعر :

فإما تريف ولي حلة فإن الحوادث أودى بها

إشارة إلى تأنيث « الحوادث » وتذكير « أودى »

والحقيقة أن شوقي لم يخالف اللغة لأن العقاب كما في معاجم اللغة طائر يطلق على الذكر والأنثى . وهي من الأسماء التي يجوز فيها التذكير والتأنيث « كعقرب ، وسلاح وسكين وقفا وقميص .. الخ .. » وجاء في الصفحة « ٥١٦ » من دائرة معارف القرن العشرين الطبعة الثالثة أن العقاب طائر من الجوارح يذكر ويؤنث ويجمع على أعقب وعقبان وعقابات. وقد عرف العرب هذا الطائر واشتهر لديهم فضربوا به المثل في العز والقمة فقالوا أمنع من عقاب الجو

قال الشاعر :

ما أنت إلا كالعقاب وأمه معروفة ، وله أب مجهول

فمنهم من يذكر العقاب كشوقي وكقول شاعر مجهول الاسم حيث يقول :

لقد لج الخباء على جوار كأن عيونهن عيون عين

كأني بين خافقتي عقاب يريد حمامة في يوم غيم

ومنهم من يؤنثها كقول المتنبي

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

كما هو في الصفحة (١٥٥ من الجزء الأول من شرح ديوانه لعبد الرحمن البرقوقي . هذا ما أردت الإشارة إليه وعند علماء اللغة الفصل اليقين ..

المجردة ، أما « النية » فقدر مشترك لا يمكن الحكم عليه حكما ذاتيا ، وإباحة الفنان المعصية باعتماده على « حسن النية » لا يخرجه عن الإثم ، فالملابسة أقوى دليل على العزم ، والعزم مظهر النية ومدلولها ، وهذا الاتجاه في فهم التصوف يتلاقى مع قول بعض المفرقين : « اعص الله لتعرف كيف تبكي وتعبده » !

على أن ذكر « الخمر » في الكلام الصوفي ليس القصد منه مادتها ؛ بل الغرض « الغفلة عن تذكر الذات العلية » ؛ ومجرد التشاغل بعد إثما لدى الخواص وخواصهم من الواصلين.. ولذلك يقول « الخيام »

أسكرني « الإثم » ولكنني صحوت بالآمال في رحمتك

والتعبير بقوله « صحوت » رمز إلى مدلول التطابق في « أسكرني » المعطى معنى الغفلة لا الاحتساء !!

* * *

هذه ناحية دقيقة كنا نود أن تعرض لها الأديبة عرضاً فيه إلمام وتحر للحقيقة ! ولا نشك في الإيمان العميق في قلب « أم كلثوم » إلى درجة تسامي بها تغني ، وترفعها عن سوقية الأغاني ومادياتها !

أما « الإيمان الواسع الأفق الذي يتسامى عن الظهور بالتزمت والتحرج » ص ١٣٢ فلا نقر الأديبة عليه ، لأن الإيمان فيه تصديق متصل بعمل ، ولا نعرف مدى التسامي به إذا لم يترفع عن الريبة ويتحصن بالتحرج !

وبعد ؛ فإن هذا الكتاب تحفة فنية ، تدل على استعداد فطري في صفاء الأسلوب بحسن ديباجته ، وروعة أدائه ، ونقاء عباراته ، ولعل دراسة أغاني « أم كلثوم » هي اللامعة إلى مدى تهتم الأديبة بالذوق الرفيع !

أحمد عبد اللطيف بدر

٢ — زيادة في الوزن :

قرأت في العدد « ٩٨٩ » من مجلة الرسالة الغراء قصيدة عامرة الأبيات للأستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفي بعنوان « شعلة المجد » وجدت في البيت التالي منها خروجا من الوزن بزيادة « تفعيلة » واحدة في العجز وهي من بحر « الكامل » الشاعر الحي الشعور نشيده من قلبه ذوب ومن إيمانه الإيحاء

فما هو قول شاعرنا الرقيق ؟!

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

توحيد مناهج التاريخ في البلاد العربية

من أهم ما تسعى إلى تحقيقه الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية هو تنشئة جيل عربي يعتز بقوميته العربية ويقدس تراثه المجيد . ورأت أن علم التاريخ هو أهم الوسائل التي تحقق هذه الأهداف ، فدعت إلى تأليف لجنة من الخبراء في التاريخ لوضع قواعد عامة يسترشد بها في تأليف كتب التاريخ المدرسية في البلاد العربية وتقرير مناهج موحدة في هذه المادة في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي ، وقد تألفت هذه اللجنة برئاسة حضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية وعضوية حضرات الملحقين الثقافيين بالمفوضيات العربية بالقاهرة وحضرات : صاحب العزة الدكتور محمد مصطفى زيادة بك ، الدكتور إبراهيم ناصحي بك ، الدكتور أحمد بدوي ، الدكتور أبو الفتوح رضوان ، الأستاذ علي إبراهيم عبده .

وقد عقدت عدة اجتماعات ناقشت فيها شتى المسائل المتعلقة بكتب التاريخ المدرسية كالنظام المتبع في تأليفها واختيارها ، ومادة الكتاب المدرسي في علم التاريخ ، ونسبة الموضوعات بعضها إلى بعض ، ونصيب التاريخ القومي والتاريخ العربي والتاريخ العالمي في هذه الكتب ، والروح التي تعالج بها المسائل التاريخية ، والمصادر التي تستقى منها المعلومات وهكذا . وقد عالجت اللجنة هذه المسائل وغيرها من ناحيتين : الأولى ما يسير عليه العمل فعلا في الوقت الحاضر في البلاد العربية المختلفة ، والثانية ما يجب أن يراعى في المستقبل عند تأليف كتب التاريخ لهذه البلاد الشقيقة

ورأت اللجنة أن تقسم البحث إلى شعبتين : الأولى خاصة بكتب التاريخ المدرسية في المدارس الابتدائية والثانوية . واستندت اللجنة في هذا إلى مختلف العوامل التي تحدد الكيفية التي يكتب بها كتاب مدرسي في التاريخ وإلى اختلاف هذه العوامل في حالة كل من التعليمين الابتدائي والثانوي . إذ لاشك في أن غرض كل من التعليمين يختلف عن الغرض من الآخر ، وأن الخصائص السيكلوجية التي يتمتع بها الطفل في المدرسة الابتدائية هي غير الخصائص التي يخضع لها المراهق في المدرسة الثانوية . كما أن المادة وطرق علاجها ووسائل توضيحها وكيفية عرضها تختلف كثيرا باختلاف مراحل الدراسة ، وهو اختلاف قائم على اعتبارات اجتماعية ودراسية وسيكلوجية مقررة .

ورأت اللجنة أنه لامندوحة من إقامة بحثها وقراراتها على ضوء ما هو حاصل فعلا في هذا الميدان في البلاد العربية المختلفة . ولما قررت أن تدرس أولا كتب التاريخ المدرسية المقررة في مختلف البلاد العربية دراسة فحص وتحليل وتقويم . فقسمت أعضاءها بحسب تخصصهم وكلفت كل مجموعة بفحص الكتب المتعلقة بموضوع تخصصها وتقديم تقرير عنها ، ثم ناقشت اللجنة مجتمعة كل هذه التقريرات مناقشة أدت إلى اتفاق الجميع على القواعد العامة والمناهج التي تقدمها اللجنة باسمها ، وقررت اللجنة أن يكون المدار في تقويم الكتب المستعملة الآن وفي تقرير القواعد العامة والمناهج التي ستتقدم بها هو ذلك التقرير القيم الذي وضعته شعبة التاريخ في المؤتمر الثقافي العربي الأول الذي انعقد في لبنان في صيف سنة ١٩٤٧ ، والذي أدرج ضمن « مقررات المؤتمر » الذي نشرته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية في القاهرة في سنة ١٩٤٨ فدرس أعضاء اللجنة قراري ومجتمعين هذا التقرير القيم واسترشدوا به

ورأت اللجنة أيضا ضرورة الاسترشاد بتقرير لجنة الخبراء الدولية التي دعتها هيئة اليونسكو إلى الاجتماع بدار الهيئة بباريس في أكتوبر سنة ١٩٥٠ لدراسة طرق تدريس التاريخ وكتبه المدرسية والوسائل المؤدية إلى استخدام ذلك في تحقيق التفاهم

بين الشعوب

وقد استغل كل عضو من أعضاء اللجنة ما تحت يده من الموارد الخاصة ككتب التاريخ المدرسية المقررة في الأجزاء الأخرى من العالم كالولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا، وكتب الطرق الخاصة بتدريس التاريخ ومطبوعات هيئة اليونسكو

وفوق هذا كله استفادت اللجنة بما يعرفه كل عضو من أعضائها من حاجات الدول العربية الشقيقة في هذه الحقبة الدقيقة من تاريخها وما تستلزمه هذه الحاجات من التعاون، ولا شك في أن التعاون الفكري والثقافي هو أساس كل تعاون سياسي واقتصادي، والدول العربية لها من وحدة ظروفها التاريخية ومقوماتها الروحية والثقافية واللغوية المشتركة ما يمكن أن يكون أساسا متينا للتعاون في غير ذلك من ميادين الحياة يندر أن يوجد في أي مجموعة أخرى من دول العالم. وعلم التاريخ هو جماع كل هذه العوامل المشتركة ومن ثم وجب أن يعتمد عليه في هذه الأمم الشقيقة في توطيد أواصر المودة والتفاهم بين أجيالها الناشئة

وقد انتهت هذه اللجنة من عملها وقدمت تقريرها إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية توطئة لعرضه على اللجنة الثقافية للجامعة العربية في دورتها القادمة التي ستعقد في عمان في ١٦ أغسطس ١٩٥٢ لإقراره وتوصية حكومات الدول العربية بتنفيذ المقترحات الواردة به

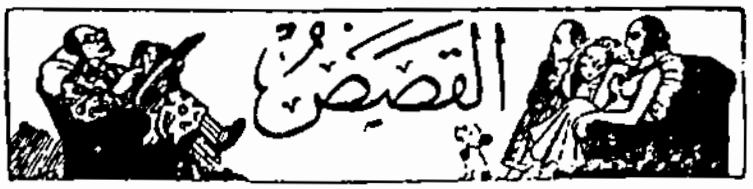

اللص الثرثار

عن الإنكليزية

لما أضيئت الغرفة فجأة شعر اللص بالخطر، وكان هذا اللص يلقب بين أصحابه بالذوق لجرأته على اقتحام المنازل ولحسن طلعته

وهيئته. وقد قضى أكثر من عشرة أعوام في مخاطراته دون أن يعتقل مرة واحدة. لكن الخوف يعتري أجرأ اللصوص عند وقوع الخطر

وكان البيت مكونا من طابقين: أما الأول فهو إدارة جريدة، وأما الثاني فهو مسكن رجل من الأغنياء كان مسافراً وكان البيت خالياً من السكان فجاء هذا الذوق ليسرقه على هذا الاعتقاد

لكنه لما دخل من النافذة وجد الغرفة مظلمة ورأى في وسطها منضدة وثم رائحة فأدرك أن في المنزل سكاناً لأن الرائحة هي رائحة ويسكي، وكانت الزجاجة موجودة على المنضدة وبجانبها كأس وزجاجة من الصودا. ولما كانت النافذة لا تزال مفتوحة فقد تردد الذوق وهم بالعودة. ولكن في هذه اللحظة أضيئت الغرفة ووقف عند الباب رجل في يده مسدس وهو يقول: «من هذا؟»

فأجاب اللص: «حسن، استدع البوليس»

قال صاحب المنزل: «سأفعل» وفي نفس اللحظة دخلت سيدة فاختفت وراء صاحب المنزل وسألت: «ما هذا؟»

فقال صاحب المنزل: «اذهبي فارتدي المطف وعودي إذا شئت فانظري لصا من أشهر اللصوص» وقال: «ألست الوغد الذي يدعونه بالذوق؟»

فابتسم اللص وقال: «نعم أنا الذوق ولكني لست وغدا»

وكان الذوق في الخامسة والثلاثين مهيب الطلعة يحمل وقاره رجال البوليس على رفع أيديهم بالسلام عند ما يرونه. وكانت ثيابه ثمينة وصوته ينم على السيطرة والنفوذ، وقال له صاحب المنزل: «ابق هنا» ثم مشى نحو آلة التليفون فجلس اللص أمام المنضدة ووضع رجلا على رجل كأنه جالس في منزله أو كأنه ضيف كريم

وطلب صاحب المنزل قسم وليس «لايم ستريت» فقال اللص: «بل اطلب قسم بوليس (واردور) فهو أقرب مكانا ونحن تابعون له»

قال صاحب المنزل: «كما تريد» وطلب القسم الذي أشار به الذوق، ثم قال في سماعة التليفون. «من؟ مفتش البوليس؟

أرسل بعض جنودك الآن . أنا السير راندون برتون — شارع كوبرى رقم ١٦٢ — عندى لص . الأمر لا يدعو إلى عجلة شديدة فإنى أستطيع الانتظار حتى يحضر الجنود »

ثم ألقى السير برتون بالسماعة والتفت إلى اللص الجالس أمام المنضدة وقال : « مرحبا بك ! » فقال الدوق : « إننى أعلم سلفا بأقسام البوليس؛ وأنا فضلا عن ذلك أحب قسم واردور فإن سجنه من السجون الجديدة النظيفة » فقال السير : « إننى لم أر لصا أبرد منك . ما مقدار العقوبة التى تظن أنه سيحكم عليك بها ؟ » ففكر الدوق لحظة ثم قال : « خمسة أعوام لأنهم سيسجنوننى مدة سابقة بسبب حكم لم ينفذ . وقد كنت فى الواقع لا أريد دخول هذا المنزل بل المنزل المجاور وهو نادى السباق »

مضت بعد هذا فترة فى صمت ثم قال السير وهو يشير إلى زجاجة الويسكى : « اشرب كأسا إذا شئت »

فشرب وشكره ومضت فترة صمت أخرى . ثم قال السير برتون : « ولكن لماذا كنت تريد أن تدخل فى نادى السباق ؟ »

فقال الدوق بلهجة تم على الوثوق التام : « لقد كنت أعلم من قبل باسم الجواد الذى سيربح فى السباق المقبل » فابتسم السير وقال : « أنا كذلك أعلم »

فهز الدوق رأسه وقال : « أنت مخطىء فقد تغير العزم على منح الجائزة لجوادك « وايت لادى » الذى كنت تعتقد حتى هذه اللحظة أنه صاحب الجائزة »

فامتقع وجه السير لما رآه يصرح باسم الجواد وصاحبه . وقد كانت الحقيقة أن التدبير جرى من قبل فى النادى على أن ينال هذا الجواد الجائزة

ثم قال اللص : « وكنت قد اشتريت أوراقا للمراهنة على جوادك ، ولكنى بعتها واشتريت بمائة وخمسين جنيها أوراقا أخرى على الجواد الآخر لكى أربح خمسة آلاف جنيه وحملت أصدقائى من اللصوص على مثل ذلك »

وكانت لهجة الثقة التى يتكلم بها اللص داعية للسير برتون على تكرار الابتسام وقال : « لكنه من المحتمل أن تخسر » فقال الدوق : « إن هذا مستحيل — لكن البوليس تأخر كثيراً »

وكان إبداؤه هذه الملاحظة مناسبة هى أن الساعة دقت الثانية بعد منتصف الليل . وقد نظر إليها اللص وأبدى تعجبه من ارتفاع صوتها حينما تدق دقة مزعجة مع أنها من أغلى طراز . فلم يجبه السير على هذه الملاحظة ولكن سأله : « ما اسم الجواد الآخر ؟ »

قال الدوق : « ليس من حق أن أخبرك لأن مصدر علمى يتعلق بمحادثة غرامية بين رجل أعزب وبين امرأة متزوجة . ولو أخبرتك باسم الجواد فقد تعرف هذه المرأة . وأرى مما يتفاق مع شرف الكبار من اللصوص أن يفعلوا ذلك . لقد كنت أسرق منزلا لأحد الأغنياء فوجدته مستيقظا ومعه امرأة فاضطررت إلى الاختباء وسمعت الحديث الذى دار بينهما وهو عن التدبير الذى تم لتغيير الجواد الرابح . وقد كان هذا التدبير لمصلحة الرجل وبواسطة تلك المرأة .

وهنا دخلت اللادى برتون وقد دهشت عندما وجدت زوجها واللص يتحادثان كأنهما صديقان ووجدت اللص جالساً مطمئنا . وزادت دهشتها عندما وقف اللص ووقف زوجها للترحاب بها عند الدخول . وقالت لزوجها : « ما الذى فعلت ؟ ألم تستدع البوليس ؟ »

فتناول اللص كرسيا وأشار إليها بالجلوس فجلست وهى فى غاية الدهشة مما تراه

وقال السير : « اسمعى ما يقوله الدوق . لقد أخبرنى بأن العزم تغير فى نادى السباق ولن ينال الجائزة جوادنا « وايت لادى »

فنظرت اللادى فى حيرة إلى اللص وقالت : « ما هو الجواد الأخير ؟ »

فقال : « لا تسأليني فإن القصة تمس شرف إحدى السيدات ، وقد كنت منذ أسبوع أسرق بيت رجل غنى فجلست فى غرفة الاستقبال . وكان فى غرفة النوم سيدة متزوجة تتآمر مع الرجل على موضع السباق »

ولاحظ الدوق ارتباك السيدة مما بدا فى نظراتها وصوتها . ولكن السير كان يعلى الملاحظة فلم يدرك شيئا من ذلك

وقالت اللادى : « وهل رأيت السيدة ؟ »

فقال : (لقد لمحت) فقال : السير برتون (هل هى زوجته ؟)

قال : (كلا وقد قلت الآن إنها متزوجة)

قالت اللادى : (ولماذا لم تظهر نفسك ؟) فلاحظ السير على زوجته هذه اللاحظة : (وكيف يظهر نفسه ويتعرض للاعتقال ؟)

فقالت : (إنه ما كان من الممكن أن يعتقل ما دامت المرأة التى معه متزوجة)

قال الدوق بإباء وترفع : (إننى لا أستغل الأسرار ولا أتجر بسوء السمعة)

* * *

استمر اللص فى سرد ما سمعه عن تنبير الجواد الرابع فاستثار اهتمام السير لأنه وثق من صدق ما يسمع لما فيه من التفاصيل عن شؤون النادى

وفى أثناء الكلام دق الجرس فاستأذن السير من اللص وذهب إلى الباب . وفى أثناء غيبته التفتت اللادى إلى اللص وقالت : (أرجو أن تصارحنى الآن ، أليس المنزل الذى سمعت فيه هذا الحديث هو منزل اللورد آرثر جريفزلى ؟)

قال : « نعم ولكن ما يدريك ذلك ؟ »

فقالت اللادى « دع هذا التجاهل فإننى السيدة التى كانت هناك . ألم تكن الليلة ليلة الأربعاء ؟ »

قال اللص : « أأنت مجنونة حتى تعترفى أمامى بمثل هذا الاعتراف ؟ لكن سرك على كل حال مصون فى قلب يكتم الأسرار، وقد كانت الليلة ليلة السبت وكانت المرأة امرأة غيرك »

وقد كان اللص يحسب هذا القول مطمئنا لها ولكنه أخطأ فإن هذا القول لم يزدها إلا انزعاجا . وألحت عليه أن يخبرها باسم المرأة الأخرى .

وقالت إنها لا تهتم لنفسها ولا تبالى بالسر ولكنها تهتم لأن اللورد يدعو إلى منزله امرأة غيرها . وأخذت تلعن وتسب وتقسم أنه لن يكون بينها وبين اللورد علاقة »

وفى أثناء الحديث عاد السير برتون وقال إن الذى كان يدق الجرس هو رجل البوليس وإنه صرفه بأكذوبة اخترعها وإنه يرجو من الدوق أن يخبره باسم الجواد الآخر

قال الدوق ! « لا تتعب نفسك فإنى لا أصبح بذكر حديث يؤدى إلى معرفة المرأة » فقال السير : « عجيب والله أن يأتى لص فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ليلقى علينا درسا فى الأخلاق . قل وسأعطيك ما تريد من المال » فأبدى اللص علائم الاشمئزاز

وقالت السيدة لزوجها : « ليس مما يتفق مع مكانتك أن تساوم مثل هذا الرجل على ما أفهمك أنه سر »

ولكنها رأت إصرار زوجها وتشبث الدوق وضاق صدرها بسرها وشعرت بأنها أحرجت فقالت : « إن الرجل الفنى الذى يتحدث عنه هو اللورد آرثر جريفزلى والجواد الرابح جواده »

وقف الدوق مغضباً وقال : « هذا سر خطته »

ولكن اللادى خرجت باكية متعثرة وقد عرتها رعشة المضطرب فتبعها زوجها . ووقف اللص وحده وهو نادم على إفشاء السر أكثر من ندمه على أنه سارق

وبعد ساعة عاد السير برتون وهو أصفر الوجه خائر القوى وقال : « إن اللادى اعترفت لى بالحقيقة كلها وهى ترجو مكافأة على إطلاق حريتك الليلة أن تسرق لها الخطابات التى كتبتها إلى اللورد آرثر »

فوعده الدوق بذلك

وفى الليلة التالية كان اللورد آرثر فى حجرة مدير البوليس السرى ليساعده على استكشاف جريمة

قال المدير ! « ما هو الشئ المسروق ؟ » فقال : « رزمة من الخطابات يظهر أن اللص حسبها أوراقا مالية »

فقال مدير البوليس : « وما فائدة البحث عنها ؟ إن اللص سيمزقها كما كنت تفعل لو أعيدت إليك »

لكن مدير البوليس كان مخطئا فإن اللص أخذها ليردها إلى اللادى برتون وقد نال فى مقابل ذلك جائزة هاجر بها مع إنجلترا إلى أمريكا وترك مهنته الدنيئة

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق ستيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٦ — ٤ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

وأخيرا ظهر القائد المنتظر ! ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ٨٥٣

الحاجة إلى الجذور ... ... : الدكتور عمر حليق ٨٥٤

خروج المتنبي من مصر ... ... : لصاحب العزة أحمد رمزي بك ... ٨٥٧

هل المسيحية في ازدهار ... ... : للأستاذ عبد الكبير الفاسي ... ٨٥٩

من آثار السيدة زبيدة ... ... : « المغربي ٨٦٢

درس مطالعة ... ... : « محمد علي جمعة الشايب ٨٦٣

آراء جون ديوي في التربية ... : « حسن محمد آدم ٨٦٥

الولاة والعمال في الإسلام ... ... : « عواد مجيد الأعظمي ... ٨٦٦

العباسي شاعر السودان ... ... : « عبد القادر رشيد الناصري ٨٦٨

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ... ٨٧١

إلى مجلس الدولة ... (قصيدة) : للأستاذ محمد يوسف المحجوب ... ٨٧٢

حتى النساء ... ... (قصيدة) : « « « « ... ٨٧٢

(الكتب) — وحدي مع الأيام — للشاعرة الآنسة فدوى طوقان — ٨٧٣
للأستاذ كامل السوافيري ... ...

(البريد الأدبي) — رسالة في أدب البشري — تحية طيبة — على ٨٧٦
هامش الحياة — إلى الأستاذ حبيب جاماتي ...

(القصص) — عودة الروح — للكاتب الفرنسي — تيودور دي بانفيل ٨٧٩

٣٩٠٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20me. année No 996

Le Caire 4 - 7- : ١٤

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ٩٩٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٤ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

وأخيرا ظهر القائد المنتظر !

كانت بلية مصر العظمى أن تزعمها نفر من المحامين صناعتهم الجدل ، وبضاعتهم الوعود ، ووسيلتهم الخطب ، وغايتهم المناصب . أكثرهم يقولون الحق ويفعلون الباطل ، ويذكرون الأمة ويريدون الغنيمة ؛ وأقلهم يطلبون التحرير ، ويرغبون الإصلاح ؛ ولكن قصاراهم أن يخطبوا ما أسعفهم الريق ، وأن يكتبوا ما واتاهم المداد ، وأن يتظاهروا ما أمكنتهم الفرص ، وأن يهتفوا ما أطاعتهم الحناجر ! ثم احترف الطامعون منهم الدفاع عن القضية الكبرى لأنها أوفر ربحا وأيسر كلفة ، فكان من غرضهم أن تعرض ، ومن مصلحتهم أن تطول ! ثم انقلب هؤلاء المحترفون صيادين فى بحر زاخر بالخلاف والفساد والفوضى ، بعضهم يطمع فى اللآلئ ، وبعضهم يقنع بالجيف ؛ والشعب الظلوم المحروم يصارع الأمواج الرعن ، ويجابه الصخور الصم ، ويستغيث فلا يرى إلا الشباك الجارفة تغرق أشلاءه وتجمع أسلابه ! وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ويحسب كل عامة خاصة نشأته جدودنا العواثر تنشئة الوارث العابث المتبطل ، فلم ينل ما يناله الإنسان العادى من التربية والتعليم ، وإنما ثقفه الفراغ فى الرأس والنفس والضمير ثقافة الفجار من أمراء بيته ، فساد الطير وقاد السيارة ولعب الورق وأطلق المسدس !

كانت غاية همه أن يغنى وأن يطغى وأن يحكم . ولم تكن غايته من الغنى أن يخفف شدة الفاقة عن رعيته ، ولا من الطغيان أن يكفكف شرة الحزبية عن أمته ، ولا من الحكم أن يوجه سير النهضة فى بلاده . إنما كانت غايته من هذه الرغائب الثلاث السرف والترف والفحشاء والمنكر والبغى !

تناصر هذا الملك اللاهى وأولئك الساسة المحترفون على إذلال هذه الأمة ففرقوا كلمتها ، وعوقوا نهضتها ، وبددوا ثروتها ، وسوأوا سمعتها ، ودفعوا بها إلى هوة من هُوى الفساد لا سبيل بها لنجاة ، ولا بصيص فيها لأمل . فلم يكن بد من أن يظهر فى مصر مصطفى كمال ليعيد الروح إلى الجسد الميت ، ويرد الكون إلى النظام الفاسد ! وما محمد نجيب إلا الرجل الذى ادخره الله لهذا اليوم لتنكشف به غمة ، وتحيا بفضله أمة ، وينصلح على يده عهد ، ويبتدئ باسمه تاريخ ! وإن مصر التى حملت به كثيرا فى ليلها الطويل ، وانتظرته طويلا فى سجنها المظلم ، لترجو منه أن يكون لها ما كان كمال من تركيا : يطهر الحكم كما طهر الملك ، ويرفع الشعب كما رفع الجيش ، ويقيم الدولة والحكومة والأمة على أسس جديدة من الخلق الفاضل والعدل الشامل والخير المحض والعلم الصحيح والعمل المثمر لا يثبت عليها دجل ، ولا ينفق فيها غش ، ولا يتطرق إليها فساد

لقد كان فرعون المطرود قادرا على أولئك كله لو أراد ؛ ولكن الله الذى يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، لم يرد هذه النعمة إلا لمحمد نجيب . فلتكن إرادة الله !

احمد حسن الزيات

الحاجة إلى الجذور

للدكتور عمر حليق

في تراث الماضي ورواسخه ذخيرة من الطمأنينة الروحية جيلنا المثقل بالأعباء في حاجة إليها . وفي النفس رغبة ملحة لأن تعادل في نباهة بين ما تتشوق إليه في الحياة اليومية من هناء وطمأنينة واستقرار ، وبين ما يكتنفها من قلق وفتنة وتشويش مبعثه تسيار الحوادث وطبيعة التيارات الفكرية التي تعصف بالمرء في طور الفتوة العقلية في حاضر جيل كجيلنا مشحون بشتى أنواع الصراع

فهذا الجيل عجيب بين أجيال التاريخ . ولد في أهوال الحروب، ورضع من دم الثورات ، وشب في عهود الفتن والانقلابات ، وفي عواصف الفوضى الثقافية والعاطفية التي تنقلها إليه مواصلات فكرية سريعة ربطت أركان المعمورة بعضها ببعض فأصبحت كالدف تنقر عليه من أي ناحية فينقل الصدى إلى السامعين

وقد فرض على هذا الجيل مسؤوليات جسام ، فوجد نفسه مشوش التفكير موزع الأهواء ، فقد اتسعت مداركه بالعلم الحديث وازدادت إحساساته بالتجارب فأصبح يبحث عن استقرار وحرية وانطلاق ، لا كترف يزين به رجولته ، ولكن كمبول لتحقيق الطمأنينة في مفاهيمها العديدة — اقتصادية وسياسية وثقافية — لعله مستطيع تلبية حاجاته ، وهي تفوق في ماهيتها وكميتها حاجات الأجيال السابقة

وفي إبان يقظة هذا الوعي يواجه جيلنا ألوانا من المغريات فينساق معها المرة بعد المرة راميا بمسؤولياته إلى الجحيم ، ولكن تسرعان ما تجذبه هذه المسؤوليات إليها في عنف وشدة لتذكره بأن المغريات في هذا الجيل لا تنال اختلاسا ، ولا تستطيع أن تمنح المتعة الحقة إلا إذا توافرت أسبابها الاقتصادية وأوساطها الاجتماعية ودون ذلك ستاثر كثيفة نساجها من مقدمات البيئة وتركز الثروة وسوء توزيعها ، وما أولدته من أنظمة الطبقات واختلال الميزان الاجتماعي وما نتج عن ذلك من كبت للمواهب وقضاء على الفرص والإمكانيات ، وكل هذه عقبات منيعة لا مفر لجيلنا المدرك لحقوقه وواجباته أن يجاهد للتغلب عليها

وفوق هذه المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مشكلة أهم يتخبط فيها جيلنا حين يحاول أن يوفر للنفس ذخيرة ثقافية تعينه على مواجهة هذا التحدي . فبين النفس واستقرارها فوضى ثقافية تسربت إلى جيلنا من بلبلة برامج التعليم وتنوع الغذاء العقلي والروحي الذي يغزونا من كل الجهات ، من تراث الماضي وقوته التي تهيمن على بيئتنا وتكويننا الخلقي ، ومن تيارات الحاضر وهي تيارات فيها من عناصر التشويش والتناقض ما يفرض على عقولنا وإحساساتنا صراعا لا رحمة فيه ، ندفع إليه مسيرين لا مخيرين رغبة منا في أن نحقق لأنفسنا نهجا في السلوك وسبيلا إلى الطمأنينة تتناسب مع ما تشبعت به عقولنا وعواطفنا من مبادئ وما تولد في أنفسنا من حاجة إلى العيش الشريف في عالم تشعبت مطالب العيش فيه وازدادت في مجال الموازنة مع مطالب الأجيال السابقة

هذا والكثير من أشباهه بعض ما نواجهه من تحد . ومن ثم ألمت بشخصية جيلنا ألوان من القلق وضروب من المسؤوليات تفرض عليه أن يجد لمواجهتها حلولا سليمة

فمنا من ينساق إلى مغريات التطرف فيثور على النظم والمجتمع وبيئته وثقافته ، ويعتقد بأنه واجد الخلاص في اعتناق هذه النظم والمبادئ المتطرفة التي يخيل إليه أنها ستوفر لأزمته أقرب الحلول وأقصر المسالك . وتاريخ الإنسانية مليء بهذا النوع من أفراد المجتمع الذين يسأمون من بطء التطور ، فيلجأون إلى التغلب عليه بسلاح التطرف في العمل والتفكير

ومنا من يتكر على جيله تعدد المطالب وتشعب المسؤولية ، فيختار العيش في الماضي المحافظ ويمتزج امتزاجا كليا في تقاليده وتراثه وبيئته لعله قادر على أن يحقق مطلب النفس من الطمأنينة والاستقرار الذي يبدو له أن الجيل السابق والأجيال التي أتت قبله قد استطاعت أن تنعم بها

ولكن أكثرنا لا يرضى عن هذين الاتجاهين ، فهو لا يستطيع أن يعيش في الماضي المحافظ في عزلة عن تيارات الفكر والتطور الذي ألم بالحياة وبالمجتمع الأكبر . فكل شيء في الحياة

والمجتمع تلح عليه أن يواجه العصر بأسلحة العصر . ولكن أكثرنا مدرك كذلك بأن التطرف والثورة على النظم ليست كفيلة بأن توفر لهم ولقومهم ما هم في عوز إليه من عدالة واستقرار

فالثورة والاندفاع المتطرف في عالم تكتنفه الذئاب لا يحقق لجيلنا مايطمحون إليه من أسس ومبادىء إلا إذا ارتضى لنفسه ولقومه أن يصبحوا فريسة لطبقة من المجتمع أو لدولة من الدول التي تتحين ميلاد الأوضاع الثائرة فتزحف لتملأ « الفراغ » بدعوى حفظ الأمن والاستقرار . ولنا في اختباراتنا واختبارات غيرنا في كوريا وغير كوريا أمثلة وافية على ذلك

وحين يحاول أكثرنا في صدق ونباهة أن يدفع عن نفسه القلق وأن يواجه مسؤولياته السياسية والاجتماعية والفكرية يجد نفسه تتزلق في مسلك وعر .

ففريق يندفع إلى الاعتقاد بأن جوهر الإشكال هو توفير الحرية الديمقراطية خالية من سيطرة الدين ورثوها مع ماورثوه من مال وعقار . ومن ثم يتجه هذا الفريق إلى النشاط الحزبي مدفوعا إلى ذلك برغبة تلح عليه في أن يصلح الأداة السياسية فيحقق لنفسه ولقومه العدالة والطمأنينة في مفاهيمها العديدة ، واثقا من أن الحرية السياسية (على نحو ماتفسرها الديمقراطيات الغربية) ستوفرها له على أتم الوجوه وأحسنها . وهذا الفريق أميل إلى تجاهل العناصر الأخرى التي تشارك الحرية السياسية في الأهمية والقوة

وفريق آخر يختار التفسير الاقتصادي لأزماته ومسؤولياته فيجد العلة الكبرى في تركز الثروة وفقدان التوازن في النظام الطبقي ويتحمس لاعتناق تعاليم « ماركس » وغيره من أنبياء الشيوعية ودعاة الاشتراكية على علاتها . وهذا الفريق أميل في المراحل النهائية إلى الشك في صلاح هذا التفسير الاقتصادي منه إلى الثقة به . فأنبياء الشيوعية ودعاتها لم يتطرقوا إلا من طرف غير مباشر إلى ألوان العقد والمشاكل والمسؤوليات التي يواجهها جيلنا في مجتمع عربي إسلامي هم بحكم البيئة والتراث والمقدمات وبفضل دوافعه الروحية والمادية يختلف في أوجه عديدة هامة عن المجتمعات التي عالج مشاكلها ماركس وفلاسفة الاشتراكية الأوروبيون . ومثل هذا الفريق مثل الطبيب الذي يعالج أمراض المناطق الحارة بالأدوية والوصفات التي تعالج بها أمراض القطب المتجمد الشمالي . وهناك فريق ثالث يشارك أقرانه في مواجهة التحدي وملاقاة المسؤوليات التي فرضت عليه ولكنه لا يسمح لنفسه أن تقتنع بأي حل من الحلول التي اقتنع بصلاحها الفريقان الآخران . فهو لا يؤمن بأن الحرية السياسية كما تبشر بها ديمقراطيات الغرب كافية وحدها لبناء المجتمع الجديد . فهذه الديمقراطيات نفسها ساعية لتطعيم أنظمتها بعناصر مستجدة من تطور الفكر والوعي في الجيل الجديد . وهذا الفريق الثالث لا يستطيع كذلك أن يتجاهل العناصر التقليدية الراسخة — الدينية والثقافية والاجتماعية — التي تعيش عليها بيئته عندما يبحث عن الحلول في تعاليم الشيوعيين والمبادىء والنظم الأخرى التي رضعها المصلحون لمجتمعاتهم التي إن شابهت مجتمعنا في وجه فإنها تختلف عنها في أوجه أخرى

وفي هذا الفريق نزعة كامنة — مهما ماشئت دينية أو قومية تصر على أن يرعى تراث الماضي وذخيرته ، وهذه المقدمات والعناصر الخالدة التي تطفح بالروعة وتمتلىء بالطمأنينة والاستقرار في عالم يكتنفه التفكك والعقد والأزمات الروحية والمادية

وهذه النزعة ليست لونا من الترف العقلي أو نوعا من المخدرات الروحية التي ما أكثر مايتهم بها الراغبون في مواجهة التحدي في ترفع عن صرخات الاجتهاد الخاطىء للذين اعتقدوا بأنهم وجدوا الحلول لمسؤولية الجيل . بل الحق أن هذه النزعة ضرب من الاجتهاد الجاد للبحث عن منقل للإيحاء الروحي والفكري لا ينضب معينه — وهو منقل لابد لكل من أحاطت به مسؤولية أو ألمت به أزمة من أن يلجأ إليه ليستمد منه القوة والشجاعة والرأي السديد

فجيلنا أشبه بالجيش المنهزم يواجه المعركة الفاصلة على حدود بلاده فهو لا يجد الحكمة في أن يغامر بما تبقى لديه من قوة ومناعة ليظفر بجزء من عتاد الأعداء وذخيرتهم ليتسلح بها في الموقعة الفاصلة ، بل الحصافة في أن يجمع ما استطاع جمعه من ذخيرة وقوة محلية من طول البلاد وعرضها . فيقتلع أسلاك الحدائق وبوابات القصور وقضبان النوافذ ليصهر ويصنع منها سلاحا يتحصن فيه في خندق مكين إلى أن يستعيد من بأسه ويجدد قوته الكامنة في عزم شديد

وجيلنا فى عراكه مع المسؤوليات الجسام التى تتحداه لا يستطيع أن يضمن لنفسه النصر إذا اختار المغامرة فى المعركة الفاصلة فاندفع بجمع ذخيرته من فتات الآراء والمبادئ يلتقطها من أطراف الميدان الذى يسيطر عليه العدو الملاحق . بل إن طبيعة هذا العراك تفرض على جيلنا أن يختار لنفسه حصنا منيعا يجمع فيه ما استطاع اكتشافه من ذخيرة فكرية وتراث روحى من صميم المجتمع الذى نصب نفسه مدافعا عن حماه ساعيا إلى تحويله إلى مجتمع أفضل

فكما أن آلة الحرب فى أزمنة الصراع لا يمكن لها أن تقتصر فى استعدادها على ما تستورده من ذخيرة وعتاد وإنما تسعى جادة لإنشاء المصانع فى أرض الوطن بعد أن تتيقن من أصناف المواد الخام المتوفرة فى تربتها ؛ فإن عراك الجيل يجب أن لا يقتصر فى استعداده على ما يستورده من بضاعة فكرية مصادرها عديدة وإلا كان أشبه بالجيش الذى يتسلح ببندقيات بريطانية رصاصها بلجيكى وطائرات روسية لا يصلح لإدارتها ما يتوفر لهذا الجيش من غاز ممكر

فالمهم أن نعكف قبل كل شئ على إحصاء ما يتوفر لدينا من مادة خام — من بيئة ومقومات وتراث روحى — قبل أن نختار القوالب الفكرية المستوردة التى نطمح فى أن نجهز بها أنفسنا وعقولنا لمواجهة مسؤليات الجيل

فنحن حاجة ماسة إلى الجذور ؛ جذور الفكر وأحوال التراث ودعائم البيئة التى نشأنا فيها وطبيعة المقدمات الخلقية والثقافية التى يعيش عليها مجتمعنا

ومن هنا أخذ فريق منا يندفع باحثا عن همزة الوصل بين تراث الماضى وذخيرته ومسؤولية الجيل الذى نحن منه

وبفضل ذلك وجد كاتب هذه السطور نفسه راغبا فى أن يشارك قراء الرسالة فى متعة نعم بها فى مطالعته لكتاب أصدرته المطابع الغربية مؤخرا لمؤلفة فرنسية شابة كلفها رجال المقاومة السرية فى فرنسا إبان الاحتلال النازى أن تدرس الأسباب التى أدت إلى انهيار فرنسا السياسى والعسكرى وتقلص الروح المعنوية بين الكثرة الساحقة من أبنائها ، وأن تستوحى من ذلك أسس المجتمع الجديد الذى ألقيت مسؤليات تعميره على عاتق الجيل الذى هي منه

فجاء هذا الكتاب سجلا لكثير مما يسود حاضر هذا الجيل من قلق وانفعال ؛ وإيحاء صادقا لما تعتقد هذه الكاتبة القديرة بأنه هون على مواجهة مسؤولياته الجسام

وقد شغفت هذه المؤلفة سنوات طوالا بمعالجة موضوعها فلم تكترث للمال الذى كان يمتص حيويتها ولم تضع القلم إلا بعد أن أتمت البحث فتلقف الناس الكتاب وزحفت هى إلى القبر لترقد رقدتها الأخيرة

واسم المؤلفة « سيمون وايل » وقد توفيت عن (٣٤) عاما أما الكتاب فترجمة عنوانه « الحاجة إلى الجذور[1] » وهى الترجمة التى اختارها الناشر الإنجليزى

فانصاحب هذا الكتاب فى عدد الرسالة القادم الكلام صلة

عمر عليبى

النص الفرنسى L'Enracinement Par, Simone well
الترجمة الانجليزية The need for Roots ترجمة Arthur wills
من منشورات دار بوتمان بلندن العام الحالى

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة المجلد الأول
من كتاب
وحى الرسالة
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفا
وهو يطلب من ادارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

خروج المتنبي من مصر

القسم الثالث

لحضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد رمزي بك

سافرت في آخر شهر أكتوبر سنة ١٩٥١ إلى خارج مصر لحضور اجتماع هيئة الأمم المتحدة ولم أعد إلا في النصف الأخير من شهر فبراير سنة ١٩٥٢ لذلك تأخرت في الكتابة عن رحلة المتنبي الذي لازمني طول مدة إقامتي بعيدا عن مصر

ذكرنا في المقالين الماضيين كيف قطع المتنبي المسافة بين الفسطاط ونخل في مرحلة واحدة وكيف مدح الهجن البيجاوية التي حملته هذه المسافة الطويلة بقوله :

ولكنهن حبال الحيساة وكبد المداة وميط الأذى

ولم يقف أبو الطيب طويلا في نخل (١) التي تركها بعد أن مر بها ونفسه مملوءة بالفخر فقال :

فرت بنخل وفي ركبها عن المالين وعنه غنى

وسار من نخل حتى قرب من النقاب أو أشرف على ما نسميه اليوم رأس النقب وهو على حدود مصر الحالية . ثم نزل في الوادي وسار شمالا في القطاع الواقع الآن بين شرق الأردن ومصر والذي أصبح من أملاك إسرائيل . وانتهى إلى وادي تربان وهو واد ينزل من الحيمة إلى المنخفض الواقع في هذا القطاع (٢)

ويظهر أن أبا الطيب المتنبي أخفى نيته واتجاهه في السفر إذ يقول :

وأمست تخيرنا بالنقاب (٣) وادي المياه (٤) ووادي القرى (٥)

ويقصد بوادي المياه ووادي القرى الاتجاه جنوبا إلى الحجاز بدلا من الاتجاه شمالا إلى الشام وأخذ طريق الكوفة . ويظهر أن شمال الحجاز كان عامرا في عصره بدليل ما جاء في كتاب ذيل الأمالي صفحة ١٢١

ولما علوت اللابثي لشوقت قلوب إلى وادي القرى وعيون

كما جاء في كتاب الأمالي صفحة ٢٩٩ جزء ٢ شعر جميل

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى إني إذا لسعيد

وجاء في صبح الأعشى جزء ٤ صفحة ٢٩٢ أنه بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف في الآخر جمع قرية

الطريق الذي سلكه المتنبي

قال :

في الروض المعطار : وهي مدينة كثيرة النخل والبساتين والعيون بها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الغالبون عليها وتعرف بالواديين ، والذي أخبر في به أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عدة قرى فخربت لاختلاف العرب، وهي الآن خراب لا عامر بها ولو عمرت أغنت أهل الحجاز

(١) ياقوت جزء ٨ صفحة ٢٧٤ يظهر أن القلعة المبنية في نخل أنشئت في عهد بعد سفر المتنبي والأغلب أنه في عهد الأيوبيين أو ابتداء دولة المماليك لا في العهد العثماني كما جاء في كتاب الدكتور عباس عمار

(٢) جزء أول معجم ما استعجم صفحة ٣٠٨ ، قال أبو زياد هو واد بين مياه كثيرة وأنشد

نظرت بمنعى سيل تربان نظرة هل الله لي قبل الممات يعيدها

وهو غير تربان التي قال عنه الأصمعي أنه بين مكة والمدينة

(٣) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٠٦

(٤) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٢٦

(٥) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٢٥ ـ صبح الأعشى جزء ٢ صفحة ٢٩٢

جميعا عن الميرة من غيرها

ولما صعد المتنبي الهضبة القابلة ووصل إلى وادي تربان باح بما يجول في صدره وقال أين أرض العراق كما جاء في شعره : وقلنا لها : أين أرض العراق؟ فقالت ونحن بتربان : ها

وجاء في ديوانه أنه حينما صعد النقب ومر بتربان وفيه ما يعرف بغرندل فسار يوما وبعض ليلة ونزل

وغرندل [٦] هي من المحطات التي قيل إن بني إسرائيل مروا بها بعد عبورهم البحر الأحمر — ذكر عنها صاحب كتاب Patesine under Muslims أنها كانت مركز أسقفية تحت اسم أرنديلة وكانت واقعة على الطريق الروماني الذي يوصل إلى ايلياء (العقبة) الحالية

ومن المدهش أنه بمجرد قيام حرب فلسطين ودولة إسرائيل انقطعت المواصلات التليفونية بين مصر وسائر البلاد العربية ثم انقطعت الطرق البرية بين مصر والحجاز وشرق الأردن حتى الطريق الذي سلكه أبو الطيب المتنبي لم يعد بوسعنا أن نسلكه فكان أن أصبحت إسرائيل في الهباءة تتحكم في مواصلاتنا

وتدل الأبحاث على أن هذه المنطقة بالذات كانت مسكونة بقبائل من العرب من معن وبني فزارة وسنبس[٧]

وقبل وصوله إلى هذه المنطقة تلقاه رائد من بني سليم سار معه حتى وسط بيوتهم آخر الليل فضرب له ملاعب بن أبي النجم خيمة بيضاء وذبح له. وسار من غده فنزل بين بادية معن وسنبس وهي التي كان الوزير الناصر أبي محمد اليازوري الفاطمي يخشى قوتها وكانت تسكن حول غزة ثم انتشر نفوذها بعد ذلك وأخذت تقلق بال الفاطميين ثم انتقلت مع غيرها من بلاد الشام إلى مصر ومنها إلى المغرب. وقد ذكر الدكتور عباس مصطفى عمار أن مواطنها حول غزة. وجاء في ديوان أبي الطيب

(٦) معجم البلدان ٣٩٥ جزء ٥ يقول عنها قرية في أرض الفراة

(٧) جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٨ — من ملؤ — سنبس بن معاوية من بني ثعل من سنبس معن بن قيس بن عائذ بن جرير ورأس الخوارج يوم النهروان — السليل بن زيد غرق يوم جاز المسلمون دجلة إلى المدائن . منهم الخورجان بن مخصب دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام مختارا بادية السماوة قبل معارك العرب ضد الفرس

أن منطقة نفوذها امتدت إلى الجنوب فشملت الأجزاء المحيطة بالعقبة

ومن هذه المنطقة أي بين تربان وغرندل التي بجوارها أذرع والحيمة وهي مناطق معروفة بالتاريخ في القرن الأول الإسلامي وكان يسكنها طوائف من الطالبيين أبناء علي بن أبي طالب ومن العباسيين سلالة العباس طول عهد الدولة الأموية وذلك لما كانت عليه هذه المناطق من الخصب وكثرة المياه ، وليسكون أبناء أبي طالب والعباس بذريتهم وتراثهم على مقربة من دمشق وبعيدين عن شيعتهم في العراق والحجاز فيسهل على الدولة مراقبتهم وتقصي أخبارهم

ويخيل إلى أن أبا الطيب كان غير مطمئن لسلامته إذا اتجه مباشرة إلى شمالي الحجاز عن طريق العقبة نظرا لما يعلمه من تحوط كافور واتصاله بعربان هذه المناطق . ويقول الديوان إنه بعد أن أمضى ليلته في هذه المنطقة من أرض الشراة اتجه إلى جبال حسمى وواجهته رياح الحجاز وقال في قصيدته :

وهبت بحسمى هبوب الدبور مستقبلات مهب الصبا

وجاء في ديوانه ذكر إرم وهو اسم علم لجبل من جبال حسمى من ديار جذام بين العقبة وتيه بني إسرائيل . وهذا الجبل حال عظيم العلو تزعم أهل البادية أن فيه كروما وصنوبرا ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد كتب إلى زعماء قبيلة جذام أن لهم جبل إرم لا يشاركهم فيه أحد ولا يحاقهم فيه غيرهم

وفي ديوان المتنبي أن امتداد جبال حسمى مسيرة ثلاثة أيام طولا في يومين عرضا ويعرفها كل من مر بها، وقد وجد أبو الطيب في حسمى بني فزارة وفيهم أولاد لاحق بن مخلب فنزل بينهم لأن أمير فزارة حسان بن حجمة كان بينه وبينه مودة وصداقة . وبهذا تحقق ما كتبه قبل ذلك من الشعر وهو بمصر إذ قال :

إذا سرنا عن الفسطاط يوما خلفنا الفوارس والرجالا
لتعلم قدر من فارقت مني وأنك رمت من ضيمي محالا

الكلام بقية

أحمد رمزي

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدول

راجع الرسالة عدد ١٩٥١

هل المسيحية في ازدهار ؟

الاستاذ عبد الكبير الفاسي

هذا سؤال إذا اكتفينا في الجواب عنه بقبول مايرد علينا في الإحصائيات على عواهنه ، أجبنا عنه بالإيجاب ، لأن الإحصائيات تزعم أن عدد المسيحيين في اطراد . على أنها تعتبر سكان أوربا كلهم مسيحيين كما تعتبر سكان أمريكا — جنوبا وشمالا كذلك مسيحيين . والإحصائيات لها منطوق ومفهوم وظاهر وباطن ، ومن شأنها أن تصلح دليلا للمثبت مادام لاينفيها ناف يريد أن يثبت خلاف مايدعيه المثبت .

والعبرة في كل شيء ليست بالعدد وإنما هي بحقيقة الواقع في الشيء المعدود ؛ فإذا كانت المسيحية كثيرة الأفراد فإن المسيحيين قليلو المسيحية ، . وبعبارة أخرى فإن من يعتبرون في عدد المسيحيين سواء في أوربا أو في غيرها لاتسيطر المسيحية على أكثريتهم إلا بقدر ما تسيطر عليهم التقاليد والعوائد ، بحيث أصبحت المسيحية في كثير من الأقطار ظاهرة اجتماعية أكثر منها معتقدات فلسفية وتعاليم وأخلاقا

والناس طبقات ، وأظهر هذه الطبقات طبقة المالكين وأصحاب رؤوس الأموال وطبقة العاملين لهم وهم العمال والمأجورون

فالطبقة الأولى ، وهي طبقة رؤوس الأموال ، لا ترى في المسيحية إلا إطارا يحسن فيه إقامة المهرجانات الاجتماعية من زواج ودفن . وتتباهى في تلك المهرجانات ولا تتردد في الإنفاق عليها .. ثم إنها إلى عهد قريب كانت ترى في الدين أداة لتسكين غضب العامل والأجير والفلاح لما هم فيه من بؤس وشقاء ؛ وترغيبهم في حياة الآخرة بما فيها من نعيم يعوضهم مالم يدركوه من أنواع الخير والنعيم في هذه الحياة الدنيا . غير أن طبقة العملة استيقظت من سباتها وأدركت أن الدين شيء ، وماهي عليه من بؤس وشقاء شيء آخر . وأن الدين ، الذي هو إيمان وسلوة ورجاء ، لا ينبغي أن يكون ذريعة لأصحاب رؤوس الأموال يتوسلون بها إلى استغلال عمالهم الشاق المضني لجمع مال وتنمية ينفقون جزءا تافها منه على تشييد الكنائس وإقامة الصلوات ويتركونهم يعيشون هم وأولادهم في بؤرة الشقاء والمرض والبؤس

ولم تحصل هذه النتيجة في عقول العامل والفلاح والأجير بتعاليم الاشتراكية والشيوعية طيلة القرن التاسع عشر فحسب ، بل كان الفضل في ذلك لانتشار التعليم أولا ، وافتضاح الطبقات المالكة . وافتضاح الكنيسة الكاثوليكية الأخلاقية والمالية . بحيث أصبح العامل والقروي لايغرهما بهرجة الدعاية وجمال المظهر وحسن الهندام ، إذ يعلمون أن من يمثلون الدين لايعيشون دائما حسب تعاليمه وأن أصحاب رؤوس الأموال لا يتأثرون من الدين بشيء ، فساءت الظنون وتبع ذلك ماهو أكثر منه أي فرار أكثرية العملة من حظيرة الكنيسة . وأحسن برهان على ذلك فقرات نصوفها للقارىء نقلا عن مجلة « إكليزيه » (Ecclesia) وهي لسان حال الكنيسة الإسبانية بقلم أسقف بلنسية جاء فيها :

« يتمنى العملة الإسبانيون استبدال الحكم في بلادهم ، ولكنهم يجهلون بأي شيء يستبدلونه ، والعملة لايخافون الكنيسة ، وإنما يخافون رجال الجيش ويعتبرون ما يتقاضونه من الأجور لايدفع عنهم البؤس وإنما هم مرغمون على تقاضيه من طبقة المترفين . والعملة من وجهة العلائق الجنسية مع نسائهم ، ليسوا من العفة في شيء : فالأعزب منهم لايريد الزواج ، والمتزوج منهم لايرى في زوجه إلا أداة للمتعة الجنسية ويعمل على ألا يكون له من زوجه ولد . ويلاحظ أن حديث العملة فيما بينهم أكثر مايدور حول النساء والشؤون الجنسية لا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية . »

ويختم الأسقف كلامه قائلا : « لا يتورع العملة عن سرقة مستخدميهم كلما وجدوا لذلك سبيلا ، وذلك إما بالقيام بالعمل أقل مايمكن ، وأما باختلاس بعض الأدوات . وهم إذ يتصرفون هكذا كأنهم يقولون هذه بضاعتنا ردت إلينا ! وماذلك إلا لأنهم يجهلون وجود الله أو لأنهم ملحدون »

ذلك مايخص الشعب في أمة تعتبر أعرق الأمم في الكاثوليكية. ولا حاجة بنا لتعليق أو شرح إذ كلام الأسقف من حيث البيان

قد بلغ النهاية القصوى . وإذا كان الأمر كذلك فى مثل هذه الأمة فاذا يكون فى غيرها من الأمم التى لعبت فى عقول أفرادها التعاليم الماركسية والماسونية التى سيطرت على التعليم فى كثير من البلاد الأوربية وفرقت بينه وبين التربية الدينية . فحالة المسيحية فى فرنسا لا تقل تحرجا عنها فى غيرها . فقد نشرت جريدة رجمية Carrefour كارفور فى عددها الصادر فى ٣٠ ابريل الأخير مقالا بقلم أحد مساعديها الاختصاصيين فى المسائل الدينية يقول فيه : « يمكن أن نؤكد من غير خشية الوقوع فى الخطأ أن فرنسا فى مجموعهـــا تسير شيئا فشيئا فى طريق العدول عن الإيمان بالله .

وإذا كان جمهور أهل البوادى لازال يقدم أولاده لماء المعمودية ، ولا زال يتزوج ويقيم جنائز أمواته فى الكنائس ، مظهرا بذلك تشبثا ظاهرا بالكاثوليكية ؛ فإن مجموع سكان المدن إلا من شذ — وحتى أفراد الطبقة الوسطى منهم وقسط من طبقة البرجوازية العليا — كل هؤلاء أصبحوا يعتبرون الكاثوليكية كتحفة أثرية رعقيدة عتيقة دخلت فى حكم التاريخ لاحاجة بالناس لإضاعة الوقت فى مناقشاتها والجدال فيها . والخاصة فى كل وسط من الأوساط الاجتماعية هى التى عدلت عن الإيمان بالله ، وهى التى قطعت علائقها بالكنيسة الرومانية متوجهة نحو العلم والرقى العلمى ، ونحو جميع الأوثان المزيفة التى نصبها العالم الحديث ، وبذلك يحاولون تحقيق أهدافهم الإنسانية على أكمل وجوهها »

وبعد أن أطال الكاتب وأطنب فى تصوير هذه الحالة التى تعتبر من صفحات الكاثوليكية السوداء فى العصر الحاضر ، زاد قائلا :

« أخذت فرنسا تبتعد عن المسيحية منذ القرن الثامن عشر الميلادى ، وقد أصبح إغراقها فى الإلحاد فى الوقت الحاضر فى أقصى درجة ممكنة ، ويشمل ذلك عددا كبيرا من الفرنسيين ، وخصوصا أفاضلهم ممن ينعتون بكونهم محافظين وممن عرفوا بانتمائهم للنظريات التقدمية

نعم إن الكاتب يقول بعد ذلك إن هناك رد فعل لا نزاع فى وجوده من طرف الكاثوليكيين وخصوصا من الشباب لاسترداد مافات الكنيسة من تأثير على النفوس ، ونحن كذلك لا نناقش فى هذا لأن الكاتب متفائل كل التفاؤل ونرجو أن يكون موفقا فى تفاؤله وأن تتوج تلك الجهود بالنجاح أو ببعض النجاح

ويختم مقاله المتشائم فى بدايته المتفائل فى نهايته بقوله : إن كنيسة فرنسا تتمتع بصحة جيدة !

ونحن لا يسعنا إلا أن نبارك هذه الصيحة ، لولا أننا فوجئنا بكتاب كتبه الراهب منتوكلار عنوانه : الحوادث والإيمان (١) ، صادرته الكنيسة الكاثوليكية بعد ظهوره وحرمت قراءته على المسيحيين نظرا للأفكار التى يتضمنها والتى تعتبرها أفكارا ثورية ، وهذا الراهب من أولئك الرهبان الأذكياء الذين عرفوا أن من بواعث انتشار الإلحاد والكفر والابتعاد عن تعاليم المسيحية ، كون من سبقوهم فيها — وخصوصاً منذ ظهور النهضة الصناعية فى أوائل القرن المنصرم — لم يكونوا فى صفوف العملة والفلاحين ، بل كانوا فى جانب الرأسماليين يباركون فى تصرفاتهم فى استغلال المال والعملة ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية كلما قام من بينها ومن بين رجال الفكر والمنتمين إليها من يندد بأعمال الرأسماليين ويدافع عن العملة مثل الأب لكوردير Lacordaire والأب لامنى Lomennis وغيرهما تقاومه وتحرم النظر فى كتبه لأنها تشتمل على أفكار وآراء تعتقدها مخالفة لتعاليمها وقد قام فى فرنسا بعض صغار الرهبان ، وأغلبهم من الشعب ، وأخذوا على أنفسهم التقرب من العامل والفلاح لدرس حالته أولا وإعانته فى شدته وضيق عيشه والدعوة إلى رحمته ليخرج بذلك مما هو فيه من بؤس وشقاء . وإذا خرج من ذلك ابتعد — فى نظرهم — كل البعد عن حظيرة الشيوعية . ولقبهم مناوئهم — بالآباء الحمر — لكونهم يعيشون فى أوساط العمال ويعيشون عيشتهم ، ومنهم من يخدم فى المعامل . وإذ كان عددهم الآن قليلا جدا لكون الكنيسة لا تنظر إليهم بعين الرضا — فإن أثرهم ملموس فى أوساط العمال الذين يحسون منهم بصدق وإخلاص فى المأمورية الإنسانية التى يهدفون إليها

والعجب كل العجب أن بعض هؤلاء « الآباء الحمر » قد توصلوا فى درسهم حالة العمال إلى نتيجة هى نفسها النتيجة التى

(١) Les Evénements et la foi R P Montuclard

توصل إليها الباحثون قبلهم من أصحاب النظريات الاقتصادية فى كل زمان ومكان ، وهى أن مسألة العمال والفلاحين — أو ما نسميه العدالة الاجتماعية — تحتاج إلى قلب النظام فى الاستهلاك والاستغلال وإعادة النظر فى توزيع الأراضى الخ — وهم بوصولهم لهذه النتيجة كأنما كانوا على موعد عندها مع مفكرى الماركسية - أحبوا ذلك أم كرهوه ! ولذلك فإنهم يسخطون الكنيسة والرأسمالية على السواء غير أنهم لا يخشون فى الحق لومة لائم وإن كانو منقادين لأوامر الكنيسة

ولكى تعرف رأى أحد هؤلاء « الرهبان الحمر » نأتى اليك بفقرات من الكتاب المذكور، يقول صاحبه ما نصه :

« لقد قضيت أياما من فصل الربيع الأخير مع جماعة من المبشرين فى بادية فرنسا فى أواسطها . وقد انسلخ سكان هذه الناحية تماما عن المسيحية بحيث لم يبق عندهم من مظاهر المسيحية إلا ما علق بتقاليدهم الشعبية وما هو ممتزج بخرافاتهم وأوهامهم التى تسود فيها معتقدات هى ألصق بالسحر من غيره . وكان حاضرا معى فى هذا الجمع عدد من الرهبان والخوريين يبلغ نحو العشرين ، فخصصنا يوما لدرس هذه الحالة وأمامنا سؤال واحد وهو : ما العمل لرد أهل هذه الناحية إلى حظيرة المسيحية ؟ فكان جواب الجميع أنه لا أمل لنا فى ذلك قبل قلب نظام توزيع الأراضى واستغلالها ؛ وهو نظام إنسانى يعيش فيه الفلاح وهو ينظر للحياة نظرات لا آفاق فيها »

ورغما عن كون هذه النظريات التى تشبع بها غير ما واحد من رجال الكنيسة ، وإن لم يتوصلوا كلهم لنفس النتيجة أى قلب النظام الحالى فى الامتلاك والاستهلاك ، فإن الرجعيين من الفرنسيين وخصوصا أصحاب الحزب الملكى المنتمين لأحد زعمائه وهو موراس — يقولون فى حكمهم على هذه النظريات : إن هذا دين جديد ، مخالف لما كان عليه دين آبائنا لكونه لا يقر الحياة التقليدية التى عاش عليها الفلاح منذ قرون وتكونت منذ قرون ، والذى يظهر من أمر هؤلاء الحواريين الصغار أن نظرياتهم لا تستند على كاثوليكية ولا على سياسة اجتماعية رشيدة ، وإنما مبناها أقوال الماركسية !

ولا غرابة فى هذا الحكم مادام مأتاه من قوم عرفوا بضيق الفكر وشذوذه فى كل شئ . والعجب كل العجب أن متزعم الحركة الملكية بفرنسا يقول بخلاف ما يدعيه من يزعمون الانتساب إليه ، وقد عرف عن لوكنت دوبارى أن له نظريات اجتماعية قد يرتضيها كثير من أحزاب العمال وهى مغايرة لكثير من نظريات أتباعه

ولكن الذى لا نفهمه هو أن كثيرا من المسيحيين المترددين أو المتحجرين الجامدين أمام القضايا الاجتماعية سواء فى فرنسا أو فى إسبانيا أو فى إيطاليا — لم يعتبروا بما وقع لروسيا التى ترددت كثيرا وجمدت ما شاء لها التعصب والجمود أن تفعل طوال القرن التاسع عشر ، وعلى رأسها أرستقراطية جبارة كانت تتصرف فى الأراضى وما عليها من رقاب تصرف السادات والإقطاعيين ، ولم تحاول حلا للمشاكل الاجتماعية بل لم يثبت أن قاداتها أمارو أذنا لسماع شكوى العامل والفلاح مما كانوا فيه من أنواع البؤس والشقاء . ففى جواب الرجعيين فى أوربا الغربية الآن كان يجيب به سادات روسيا العامل والفلاح ومن كان يتزعم حركتهما الإصلاحية مستندين فى ذلك على سوء فهم الدين ، وعلى تخدير الأعصاب الذى كان يقوم به رجاله المأجورون . ولكن ماذا كانت النتيجة سنة ١٩١٧ ؟

إنها كانت الشيوعية التى اكتسحت نصف أوربا وبعضا من آسيا الآن ، والتى ستضطر الإنسانية لصرف جميع ما تملك فى مقاومتها مع عدم تحقق الغلبة عليها ، لأن القضاء على الخطر الروسى ليس هو القضاء على الخطر الشيوعى !

كانت الشيوعية نتيجة لتحجر المسيحية والمسيحيين ، وكانت روسيا هى أكبر الدول المسيحية مساحة وأكثرها عددا ولكن النتيجة هى ما نعلم

ولذلك لا تغتر بقول من يقول : إن المسيحية فى ازدهار ، بناء على الإحصائيات

على أن ما يقال فى شأن التأثر بالدين وتعاليمه والتهذب بأخلاقه ومبادئه فى حق المسيحية والمسيحيين ، قد يقال مع مزيد الأسف والحسرة فى حق الاسلام والمسلمين مع ما لابد منه من التفرقة التى تقتضيها الاعتبارات التاريخية والجغرافية والاجتماعية

عبد الكبير الفاسى

من آثار السيدة زبيدة

للأستاذ المغربي

قال محمد بن على العبدى للخليفة القاهر وقد سأله يوما أن يحدثه عن السيدة زبيدة : كان من فعل زبيدة وحسن سيرتها فى الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها

فأما الجد والآثار الجميلة التى لها فى المملكة فهى حفرها العين المنسوبة إليها فى الحجاز . وتمهيدها الطريق لسائها فى كل خفض ورفع وسهل ووعر من مسافة اثنى عشر ميلا ، حتى بلغت بها مكة . وأنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار . ولها كثير من أمثال هذا العمل العمرانى

هذا فى الجد . وأما فى الأمور التى تتباهى بها الملوك فى أعمالهم ، وينعمون بها فى أيامهم ، وتتزين بها سيرهم وأخبارهم . فهو أنها :

أول من اتخذ الآلة (أى أدوات البيت وأمتعته) من الذهب والفضة المكللة بالجوهر . وصنع لها الصناع الرفيع من الوشى حتى كلف الثوب نحو خمسين ألف دينار

وهى أول من اتخذ (الشاكرية (١)) من الخدم والجوارى. يركبون الدواب ويغدون ويروحون برسائلها وحوائجها

وأول من اتخذ القباب على الهوادج من فضة وآبنوس وهندل ، لها كلاليب من الذهب والفضة ؛ وهى ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق . واتخذت النعال المرصعة بالجوهر . واصطنعت الشمع من العنبر . وقلدها أغنياء الناس فى ذلك جميعه

ولما أفضت الخلافة إلى ابنها (الأمين) قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم كثيرا وغيره من خدمه ، فلما رأت أمه شغفه بهؤلاء الغلمان المماليك اتخذت الجوارى الحسان المقدودات(٢) وعممت رؤوسهن ، وجعلت لهن الطرر والأصداغ (٣) والأقفية (لعله يعنى الشعور تجمع على القفا بشكل خاص موثق) وألبستهن الأقبية والفراطق والمناطق (وهى من ألبسة شباب الجند وغلمان العسكر) وأرسلتهن وهن بهذا الزى إلى ابنها (الأمين) فراقه شكلهن . وأبرزهن فى مجلسه أمام الخاصة والعامة . وشاع أمر هذا الزى فى الناس فجعلوا يتخذون الجوارى المطومات (أى المفصوصات الشعور من طم الشعر إذا جزه أو قصه) ويلبسونهن ملابس الغلمان : من أقبية ومناطق وسموهن (الغلاميات)

وقد أكثر شعراء ذلك الزمن من وصف هؤلاء الغلاميات وفى طليعتهم أبو نواس

ويظهر أن اتخاذ هؤلاء الجوارى الزى المذكور لم يكن بواسطة اللبوس من الثياب وطم الشعر فقط بل يتعدى إلى تصفيف الشعر كما يفعل الغلمان وإلى تخطيط شوارب من المسك والغالية والعبير على الشفة العليا تقليداً للشوارب الطبيعية . وقد أشار إلى ذلك أبو نواس بقوله

حور طلعن مؤنثا ت الدل فى زى الذكور
أصداغهن معقربا ت والشوارب من عبير

والعبير أخلاط من طيب تداف بالزعفران ، فالجارية كانت تلبس لبوس الغلام وتخط على مواضع الشوارب خطا من العبير وفى لونه شقرة فيبدو كشارب الغلام أول ما يبدو وهو بعد أشقر أو أصفر ، أما مواضع الصدغ من الجارية فلا يكون عليه شعر السالف مسترسلا أو سبلا كسوالف الجوارى وإنما هن يقصصن ذلك الشعر ويلوينه على شكل العقرب ، أو لعلهن يكوين شعر الصدغ كما تكوى الشعور اليوم بحدائد خاصة . فالغلمان

(١) الشاكرية جمع (شاكرى) معرب (چاكرد) شاعت منذ العهد العباسى بمعنى الخدم ومنه اسم (الشاكرية) لضرب من الخناجر كانوا يتقلدونه

(٢) المقدود اسم مفعول من قد ـ قد السيف أى خلق حسن التقاطيع والمعنى أن قدود أولئك الغلمان كانت متناسبة فى الرشاقة تناسب نصال السيوف

(٣) المراد بالأصداغ شعرها . وجعلها لهن الأصداغ كناية عن عقربتها . أى لى شعرها على شكل العقرب كما فى قول أبى نواس (أصداغهن معقربات والشوارب من عبير)

درس مطالعة ..

للأستاذ محمد على جمعة الشايب

كان ذلك فى الحصة السادسة وقد تسربت أذهان التلاميذ من نوافذ المدرسة وأبوابها إلى منازلهم حيث يهيأ لهم طعام الغداء وحيث ينتظرهم أهلهم وذووهم .. وقد كانت سحابة من التعب تلوح على وجوه التلاميذ تظهر من ثنايا إشراقة خفيفة من الأمل فى الانتهاء من اليوم المدرسى وإلقاء هذا العبء الذى أثقل كواهلهم من أول النهار إلى منتصفه تقريبا ؛ فهم لذلك يستحثون عقرب الساعة كما يستحث الناس آخر يوم من رمضان. وكنت أحس أن آذان التلاميذ ظامئة إلى موسيقى الجرس الآذن لهم بانتهاء اليوم ومغادرة المدرسة، ولعلهم لو قطعوا اقرأوا فى وجهى من بين ثنايا هذه القوة المقتطعة من الضعف وذلك العزم المأخوذ من الإعياء مثل ما أقرأ فى وجوههم أو بعض ما أقرأ.. ولكنه التلميذ الذى يعتقد أن مدرسه من حديد لا يلحقه الكلال أو التعب ! وأن صدر النهار وآخره عنده سواء .. وكان موضوع الدرس هو « السلع الآدمية » من كتاب « المطالعة المختارة » المدارس الثانوية . وخلاصة الموضوع — ولا أثقل عليك — أن شابين(١) إنجليزيين جلسا فى حديقة منزل بإنجلترا وسرحا بصرهما فيما حولهما فوجدا من محاسن الطبيعة ومفاتنها ما يأخذ النفس إعجابا ووجدا الطيور تنتقل من غصن إلى غصن فى حرية وانطلاق ؛ بل وجدا كل ما فى الحديقة يدعو إلى الحرية والانطلاق . تذاكر الشابان أن الحرية حق طبيعى ، ويجب أن ينعم به الناس فى الأرض كما تنعم به الطيور فى جو السماء ، وأن شقاء الإنسان مبعثه الإنسان، وما يدعيه الغربيون من مدنية وحضارة ليس إلا ستارا يحجب عن الأعين كثيرا من الرذائل والوحشية . وعرضا لما يجرى إذ ذاك من تجارة الرقيق فاعتزم

(١) كان هذا فى أوائل القرن الثامن عشر وأحد الشابين هو : « وليم بت » وقد صار رئيسا للوزارة الإنجليزية، والثانى هو . « وليم ويلبرفورس » من أعضاء البرلمان الإنجليزى

كانوا يومئذ يتخذون من شعر أصداغهم كهيئة العقرب . والجوارى المتشبهات بهم كن يفعلن ذلك، فإذا نظرت إلى وجه الواحدة منهن أول ما يقع نظرك على أصداغ غلام وشوارب غلام. ومن هنا كثر فى لغة الغزل قول الشعراء «عقرب الصدغ وعقرب الأصداغ» ولا يكون ذلك على ما يظهر فى الغزل بالغلمان الذين لم على أصداغهم شعر ملوى ومشى على نفسه بحيث يمثل قرآنى عقربا أسود يلسع . أما الجوارى فليس لهن عقارب أصداغ، وإنما لهن أفاعى وحيات من ذوائبهن تتلوى على ظهورهن

فلما سمع القاهر منى هذا الوصف تهلل ونادى بأعلى صوته اسقنا يا غلام على وصف (الغلاميات) فبادر إليه جوار قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والأقبية : والطرر والأقفية ، ومناطق الذهب والفضة . فأخذ الكأس بيده وجعلت أتأمل صفاء جوهر الكأس ولألاء ما فيه ، وحسن أولئك الجوارى الغلاميات ، ولمعان الحربة التى بجانبه . ثم التفت القاهر إلى وقال :

قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم حسبما وصفت وسرنى ما ذكرت وفصلت

ثم أمر لى بجائزة أخذتها على الفور وانصرفت

هذا ما رووه عن (محمد بن على العبدى) المتخصص فى علم الملوك كما شهد له بذلك المؤرخ المسعودى، وقد علمنا من مسامرته للخليفة (القاهر) وما أفاض به من وصف (الغلاميات) واسترساله فى هذا الوصف إجابة لرغبته الملحة علمنا منه أن هذا الخليفة لم يكن على ما يحبه له منصب الخلافة من عفة وصلاح وحسن سمت ووقار ؛ اللهم إلا إذا كان هذا من قبيل الدعابة التى أذن بها المأمون، فقد روى أن بعض جلسائه سأله :

هل تأذن لنا يا أمير المؤمنين بالدعابة ، فأجاب :

وهل يطيب العيش إلا بها ؟

(الغزالى)

الشابان أن ينتشلا وطنهما من تلك الحأة ويطهرا سمعة الأمة الإنجليزية من جريمة الرق المنكرة .. وقد كانت تجارة الرقيق في ذلك العهد قائمة على قدم وساق، فقد حدث أحد السائحين أنه رأى زنجيين يصيدان السمك في داهومي[1] وقد ملآ منه أسفاطا عدة ؛ فسمعا وقع أقدام خيل مقبلة فتركا ماصاداه وفرا هاربين من تجار الرقيق الأوربيين ، ولكن التجار أدركوهما وسلكوهما مع من معهم من الرقيق

وقد بر الشابان بوعدهما . ونشرا رأيهما في بلادهما ، فصادف نفوسا تكره الظلم ، ولم يمض قليل حتى هبت الأمة الإنجليزية كلها تنادي بالقضاء على هذه التجارة الخاسرة، وكانت إنجلترا أسبق الأمم إلى هذه الدعوة الكريمة ، ولم يكتف الشعب الإنجليزي بذلك بل جاد أبناؤه بأموال طائلة لشراء وطن في غرب إفريقية للعبيد المعتقين ثم تبعتها الأمم الأخرى في ذلك

لم أكد أفرغ من قراءة هذه الفقرات من الدرس حتى رأيت التعب قد طار عن وجوه التلاميذ كما يطير النعاس عن عين الفتور ، وأحسست أن أعصاب التلاميذ المتهدجة من الإرهاق قد شدت من فورة الحماس وأنهم قد صبت فيهم قوة الأسد المتأهب للوثوب، وأخذت أقرأ في وجوه التلاميذ وعيونهم الارتياب في صحة ما ينطوي عليه هذا الكلام، وأخذوا يعارضني بوابل من الأسئلة ؛ فمن سائل يقول :

إذا كانت إنجلترا حقا هي أول من نادى بإبطال تجارة الرقيق فلماذا هذا الاستعمار المسف ؟ وهل هناك فرق بين الاستعمار والرق في نظر إنجلترا ؟

وتطوع تلميذ بالإجابة عن هذا السؤال قائلا : إن الاستعمار أبشع وأشنع من الرق لأن الرق استرقاق أفراد ولكن الاستعمار استرقاق شعوب ، وقد يعتمد الرقيق على سيده في مأكله وملبسه ومطالب عيشه ولكن الاستعمار يستحوذ على أقوات الشعوب وكسائها بل يمتص دماءها .. والرقيق يشترى بثمن ولكن الاستعمار ليس كذلك .. ولكن كان محرجا حقا ذلك السؤال الآتي :

كيف يشترى الإنجليز وطنا في غرب إفريقية للعبيد المعتقين وهم اليوم يغتصبون الأوطان من الأحرار السودين بل وقبل اليوم بعشرات السنين ؟

وما إن انتهى التلميذ من إلقاء هذا السؤال حتى رمقته بنظرة الإعجاب ونظر التلاميذ إلى ينتظرون الإجابة وعلى شفتهم ابتسامة خبيثة ، وكأنهم فهموا أن الدرس يجب عليه أن يجيب عن كل سؤال حتى ولو كان السؤال لا يستطيع أن يجيب عنه البرلمان الإنجليزي ولا إيدن ولا تشرشل ... وشاءت المصادفات أن تمر في شارع المدرسة هذه الساعة دبابتان إنجليزيتان فتفزع الشارع بصوتهما الأجش الغليظ فينسى التلاميذ الإلحاح في طلب الإجابة، وألقيت على الدبابتين نظرة من نافذة الفصل فوجدتهما تهرولان وفيهما المدافع والجنود ؛ وقد رآهما الأطفال الذين كانوا يلعبون بجمع الحصى من الصحراء المشرفة عليها المدرسة فتسللوا إلى الحارات والبيوت هاربين؛ فحضرت في ذهني صورة الصيادين الذين جمعا السمك في أسفاط عدة فلما رأيا تجار الرقيق تركا الصيد وليا هاربين ؛ فتبينت في ذلك شبها بين الاسترقاق والاستعمار، وعدت ببصري إلى الفصل فإذا هو يكاد يتميز من الغيظ ، فقد كان من أبناء الإسماعيلية الذين ذاقوا ماذاقوا، فقلت في هدوء ورزانة الدرس التي يصطنعها أحيانا : لعل الله يبعث في إنجلترا شابين آخرين ترتفع صيحتهما للقضاء على الاستعمار وخنق أنفاس الشعوب

ودق الجرس وانصرف التلاميذ وأنا أسأل نفسي عن هذه الضجة التي أثارها هذا الدرس وقد درسته في العام السابق فمر في هدوء وسلام ... ولقد تمنيت لو سمع العالم كله ذلك الدرس الصاخب فقد كان درسا حقا

محمد علي محمد الشايب

(١) في غرب إفريقيا الوسطى

آراء جون ديوي فى التربية

للأستاذ حسن محمد آدم

توفى أخيراً الفيلسوف الأمريكى جون ديوى John Dewey صاحب الآراء والنظريات المشهورة فى التربية . ومن حق الرجل علينا — نحن المشتغلين بالتربية والتعليم — أن نكشف للناس عن بعض ما لهذا الفيلسوف من فضل على المناهج التربوية الحديثة فى المدارس والمعاهد وبالتالى على الجيل الجديد الذى يتربى فيها فى هذا القرن العشرين

يعتبر جون ديوى صاحب مدرسة وصاحب مذهب فى التربية وله أتباع وأنصار عديدون وآراؤه الفلسفية فى التربية تتميز بأنها عملية ترتبط بواقع الحياة وترمى إلى نفع الإنسانية منفعة مباشرة ، ولهذا أطلق على مذهبه التربوى مذهب البراجماسية. وإذا نظرنا فى هذه الآراء نجد أن ديوى يقرر أول ما يقرر أن « التربية يجب أن تهدف إلى تنظيم اشتراك الفرد فى حياة المجتمع اشتراكا إيجابيا عن وعى وقصد ، كما يجب أن تهدف إلى الإصلاح الاجتماعى الذى لا يتحقق إلا إذا وجهنا نشاط الفرد وتفكيره نحو الاشتراك فى المجتمع حتى يصبح فيه عضوا نافعا منتجا »

وكانت هذه المبادئ التى بدأ يقررها وينادى بها حدثا فى حياة التعليم التى ألفها الناس وعكفوا عليها القرون الطوال . فإن السنة التى كان الناس يجرون عليها فى تربية أبنائهم وتهذيبهم هى إرسالهم إلى المدارس بغية تلقى العلم واكتساب المعرفة عن طريق المربين الذين كانوا يتبعون طريقة واحدة هى طريقة إلقاء المعلومات وتلقينها للأطفال تلقينا نظريا حتى تمتلىء بها أذهانهم وكانت هذه هى الطريقة المثلى لازدياد علمها وخبرة ومعرفة بالحياة

وهاجم ديوى هذه الطريقة التقليدية الجافة وبين مافيها من عقم وأوضح أنها لاتفيد الصغير بخبرات جديدة تحقق الغرض من اكتسابه لها ، لأن موقفه السلبى الذى يتمثل فى مجرد الإنصات والاستماع إلى خبرات الغير من شأنه أن يصرفه فى غالب الأحيان عن الاستفادة ؛ ومن شأنه كذلك أن يكرهه فى مادة الدرس بما تدخله فى نفسه من السآمة والملل ، لأن الأشياء التى يكره على تقبلها لا تتعلق بذات نفسه لافتقادها عنصر التشويق وابتعادها عن ما يوائم ميوله الفطرية ويجارى غرائزه الطبيعية فى هذه السن المبكرة .

هذا فضلاً عن أن انتفاع الطفل بما يتلقاه فى مدرسته فى حياته المنزلية والاجتماعية يكاد يكون مستحيلا لأنه لا يجد ربطا بين حياته فى المدرسة وحياته فى المنزل أو فى المجتمع ، وبذلك تكون التربية التى من هذا النوع عقيمة غير مجدية يصعب عليها أن تمد المجتمع بمواطن صالح واحد

لهذه الاعتبارات كلها رأى « ديوى » أن التربية السليمة هى التى تقوم على أساس من خلق حياة طبيعية للتلميذ فى المدرسة ، مبنية على حاجاته وميوله ونشاطه الذاتى حتى يسمى بنفسه إلى اكتساب الخبرات التى تنمى مداركه وتغذى عقله .. وبذلك ننقل التلميذ من ميدان السلبية والركود إلى ميدان الإيجابية والعمل والنشاط . وبعد أن كان أساس التثقيف فى الميدان الأول التلقين النظرى الذى يأخذ فيه المدرس الجانب الأكبر من النشاط ولا يشارك التلميذ فيه إلا بقدر ضئيل تافه ، أصبح أساسه فى الميدان الثانى التوجيه العملى الذى يندفع فيه التلميذ من تلقاء نفسه بالتعليم ، بادئاً النشاط الأكبر تحت إشراف مدرسه الذى لا تتعدى مهمته أكثر من التوجيه والإرشاد إلى خير السبل لاكتساب المعرفة وتحصيل المعلومات

وخالف « ديوى » رجال التربية التقليدية فى أن هناك أغراضاً ثابتة للتربية لا تتغير بتغير الأحوال والظروف . فكان يرى أن التربية الحقة هى عملية نمو « growth » مستمرة ومتغيرة دائما إلى ما هو أحسن بالنسبة لنوع المجتمع وظروفه ومثله العليا

ولقد فهم كثيرون فلسفة ديوى هذه فهما خاطئا . إذ توهموا أن معنى هذا هو التحلل من البرامج والمناهج التربوية . ولكن ديوى كان ينص دائما على أن عملية النمو التى يقصدها ليست نموا لا ضابط له . بل هى عملية نمو موجهة ومرغوب فيها derirable groth ومعنى هذا أنه لا ينكر المنهج . بل غاية ما يشترطه فيه هو أن يكون مرنا ملائما

الولاة والعمال
في التاريخ الاسلامي

للأستاذ عواد مجيد الأعظمي

إن موضوع الولاة والعمال ، موضوع فريد في بابه ، يستوجب البحث والعناية ، لأهميته في تبيان بعض الأسس المهمة في النظم الإدارية عند الإسلام .. وقد لعب الولاة ، والعمال دورا فعالا في إدارة الممتلكات الإسلامية في مختلف عصور التاريخ الإسلامي ، وحاولت جهدي بيان سياستهم تجاه الأمور المالية ، والسياسية ، والإدارية ، والعمرانية ، والقافية ، والقضائية ، وسياستهم نحو الرعية ... وقبل البحث في سياسة

المجتمع ، منتظما لمختلف أوجه النشاط التي تمكن الصغار من اكتساب خبرات جديدة في أطوار النمو المختلفة

ثم إنه على أساس هذه الفكرة التربوية أقام نهائيا في مدارس الأحداث الأوربية عن طريقة التلقين القديمة ، ورسمت الطرق الحديثة في التدريس كطريقة المشروع وطريقة المشاكل وغيرها . ويعتبر « وليم كلباتريك » و « جون ستيفنسون » اللذان يذكران إذا ذكرت هذه الطرق من تلاميذ ديوى الذين تلقوا عنه في مدرسته أفكاره الرئيسية التي بنوا عليها فلسفاتهم فيما بعد

وكما كان لديوى أثره في الغرب كان لآثاره أيضاً في الشرق وفي مصر خاصة . وقد بدأ المعنيون بشؤون التربية والتعليم يفتحون أذهانهم إلى هذه الفلسفة الجديدة واقتبسوا منها الشيء الكثير ، وتعتبر المدارس النموذجية إلى حد ما خير من أخذت بآراء ديوى . وهذا لا شك خطوة طيبة إلى الأمام . ونرجو أن يأتي قريبا هذا اليوم الذي تتحرر فيه المدارس المصرية من الطرق التقليدية الجافة في التربية ، وتعمم فيها بينها منهج ديوى وغيره من رجال التربية المحدثين بقدر ما تسمح به ظروف بيئتنا حتى نتخلص بذلك من الجمود والنقص العيب الموجود في مناهجنا الحالية . وحتى يحين للتربية أن تثمر وتحقق المقصود منها

حسن محمد آدم

الولاة من الناحية العملية ، والواقعية ، أرى لزاما توضيح معنى الولاية ، والإمارة ، وتطور مفهومها ، وملاحظة أسسها من الناحيتين النظرية والفقهية

معنى الولاية « الإمارة » وتطور مفهومها

ليست الإمارة أو الولاية إلا شكلا من أشكال الإدارة المحلية خاضعة بصورة مباشرة أو غير مباشرة للسلطة المركزية المتمثلة في السلطان أو الملك أو الخليفة . . ومنشأها يرجع إلى حاجة الأمة في إدارة البلدان التابعة لها ؛ وبعبارة أخرى أن توسع الدولة وتعقد شؤونها المختلفة أدى إلى وجوب إنشاء الإمارة أو الولاية « ويراد بالولاية — الإمارة على البلاد ، فيولى السلطان ، أو الملك ، أو الخليفة من يقوم مقامه في حكومة الولايات ، وهي الأعمال في إصلاحهم .. وهذا النوع من الحكم قديم »(١) .. « وكان لكل إقليم حاكم أو عامل ، والغالب أن يكون بطريقاً »(٢) « وكان أمراء الأقاليم يسمون « عمالا » ومعنى عامل يفيد أن صاحبه ليس مطلق السلطة — على أنه فيما بعد استعملت كلمة والي وهذا يشعر بالنفوذ والسلطان »(٣)

ويقول « متز » : « وبهذا الاسم كان يسمى — ولاة البلاد .. وكذلك أبناء بيت الخلافة »(٤) ومن كل هذا نرى ، أن جميع المؤرخين المحدثين ، يتفقون على مفهوم الولاية أو الإمارة في أنها — نيابة — « وال » عن الخليفة ، أو الملك أو السلطان في إدارة شؤون الولايات التابعة له

وقد تطور مفهوم هذه الكلمة — « فأطلقت كلمة « أمير » على يزيد بن عبد الملك كما أصبحت كلمة « عامل » في عهد بني أمية تطلق على رئيس الناحية الإدارية كالمدير الآن(٥) .. » وقد امتنع كافور بمصر من التسمي « بالإمارة » ورأى أن يجري على رسمه في المخاطبة « بالأستاذية »(٦) ... على

---

(١) جرجي زيدان — تاريخ التمدن الإسلامي — ج١ ص١٢٨

(٢) البطريق — غير البطريرك — فالأول لقب ذي منصب سياسي والآخر لقب ذي منصب ديني — كرد علي الإدارة الإسلامية في عز العرب — القاهرة ١٩٣٤ ص ١٠٢

(٣) — حسن إبراهيم — النظم الاسلامية مصر ١٩٣٩ ص١٩٧

(٤) متز — الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري — القاهرة ١٩٤٠ ج ص ٢٧

(٥) حسن إبراهيم حسن — النظم الاسلامية — ص ١٩٧

(٦) متز — الحضارة الاسلامية — ج ١ ص ٢٧

أنه في العصور العباسية المتأخرة اتخذت الإمارة شكل أمير الأمراء : « فقد لقب ابن رائق « أمير الأمراء » وصار بيده رئاسة الجيش وامتدت سلطته بصورة مباشرة على جباية الضرائب وعلى إدارة الحكومة المركزية ، وغدا اسمه يذكر مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة . »(٧) والواضح أن لقب « الأستاذية » و « أمير الأمراء » كان نتيجة لضعف مركز الخلافة العباسية وزيادة النفوذ الأجنبي وتوسع حركة انفصال الولايات عن جسم الدولة العباسية

الولاية فقهيا ونظريا

وقد سائغ الفقهاء نظرية الإمارة أو الولاية على النحو الآتي :(٨)

(١) إمارة عامة (٢) إمارة خاصة

والإمارة العامة على نوعين —

(١) إمارة استكفاء بعقد اختيار

(٢) إمارة استيلاء بعقد اضطرار

والإمارة عن اختيار تشمل سبعة أمور أوردها الماوردي وهي : —

(١) النظر في تدبير الجيوش . . وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم

(٢) — النظر في الأحكام — وتقليد القضاء والحكام

(٣) — جباية الخراج — وقبض الصدقات وتقليد العمال

(٤) — حماية الدين — والذب عن الحريم — ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل

(٥) — إقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين

(٦) — الإمامة في الجمع والجماعات — حتى يؤم بها أو يستخلف عنها

(٧) — تسيير الجيوش من عمله ومن سلكه ومن غير أهله حتى يتوجهون معانين عليه(٩)

وأما الإمارة عن اضطرار فهي (١٠) التي يأخذها الوالي ويقرها الخليفة ، وفيها يكون الوالي مستبدا بالسياسة أو التدبير ، ولكن في المسائل المتعلقة بالدين تكون من اختصاص الخليفة فلا يمكن أن يغض النظر عن بدعة أو إهمال(١١) . . ومن ذلك يقول الماوردي : « وأما إمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار فهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين ، وهذا وإن خرج من عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه ففيه من حفظ القوانين الشرعية وحراسة الأحكام الدينية ما لا يجوز أن يترك مختلا مدخولا ولا فاسدا معلولا ، فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ما امتنع في تقليد الاستكفاء والاختيار لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز

وأما عن الإمارة الخاصة ... فيقول الماوردي « يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة ، وتشمل المجتمع وموضع السكان ومستقر الدعوة — والذب عن الحريم — وليس له أن يتعرض للقضاء ، والأحكام والجباية ، والخراج والصدقات »

ونختم قولنا عن وظيفة العامل كما جاء في كتاب قوانين الدواوين « أن العامل هو المتولي ، ويلزمه عمل الحسابات ورفعها ، والكتابة على ما يرفعه من معاملته منها بالصحة والموافقة ، وكل من الناظر والمشارف ، إنما هو لضبطه ، والشد منه ، ويلزمه تحقيق الباقي إذا انصرف عن الخدمة » (١٢)

هذه هي مصيغة الفقهية ... لشكل الولاية ، وأقسامها ووظيفة الوالي والعامل وسنبحث في الفصول الأخرى — الناحية العملية في سياسة الولاة والعمال في مختلف عصور التاريخ الإسلامي وعلى القارئ ملاحظة مدى المطابقة والمقارنة بين الناحيتين الفقهية العملية في سياسة الولاة والعمال في مختلف شؤون الحياة

(٧) الدكتور الدوري — دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد ١٩٤٥ ص ٢٣٦

(٨) الماوردي — الأحكام السلطانية — ص ٢٤ — ٢٩ وكتاب القاضي : ابن الفراء الحنبلي : الأحكام السلطانية : ص ١٧ : ٢٢

(٩) الأحكام للماوردي « إنفرد بها فامن — وهو جهاد من يليه من الأعداء »

١٠ ر ٣٩

(١٠) وتسمى « إمارة الاستيلاء » — الحنبلي — الأحكام السلطانية ص ٢١

(١١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢٠٠

(١٢) : أسعد بن مماتي — كتاب قوانين الدواوين — مصر ١٩٤٣ ص ٣٠٣

بغداد — العراق عواد مجيد الأعظمي

نظرات خاطفة

شاعر السودان *

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

إذن فشعر العباسى هو شعر الفخامة والجزالة والموسيقى العربية الأصيلة ذات الإيقاع الكلاسيكى والرنين البدوى العنيف الذى يعيد لنا تارة صوراً من شعراء بنى العباس وأخرى من شعراء الأمويين الذين عاصروا الخلفاء الراشدين وعمروا حتى أوائل الدولة التى اتخذت دمشق عاصمة لها

على أنى وقد قرأت الديوان بإمعان رأيت ناحيتين مهمتين تطغيان على شعره وهما :

١ — حبه لمصر :

عرفنا أن الشاعر جاء إلى مصر فى مطلع حياته ودخل المدرسة الحربية فى القاهرة ليعد نفسه حاميا لسياج الوطن، وعلمنا أيضا أنه مكث فيها مدة سنتين وكان آنذاك طرى الإهاب ، ندى العود ، فى فجر شبابه الريان ، فلذلك لم نعجب إذا ما ظل وفيا إلى الديار التى أبلى فيها بعض سنى شبابه ، ولا نستغرب منه حنينه إلى معاهد شبيبته ورفاق صباه، خاصة بعد ما ترك فيها أستاذه الشيخ زغلى الذى كان له الفضل الأكبر فى توجيهه وتثقيفه ، لذلك نسمعه يقول فيها :

مصر وما مصر سوى الشمس الق ... بهرت بشاقب نورها كل الورى
ولقد سميت لها فكنت كأنما ... أسمى لطيبة أو إلى أم القرى(١١)
وبقيت مأخوذاً ، وقيد ناظرى ... هـــذا الجمال ، تلفتاً وتحيرا
ووقفت فيها يوم ذاك بمعهد ... كم من يد عندى له لن تكفرا(١٢)
دار درجت على ثراهـا يافعاً ... ولبست من برد الشباب الأنضرا

ثم يسترسل فى وصف ربى مصر ومغانيها ورياضها وطيب هوائها العليل :

فهنا يسكب الشاعر ألمه الذى يحس به منذ فارق مصر وفرحه بالعودة إلى البلد الذى أحبه وعقد عليه رجاءه ورجاء شعبه الكريم لذلك يهتف فى مدح « ملك الوادى » من منبعه إلى مصبه

أقوى الملـكين عزيمة ... وأسدهم رأيا ، وأكرم عنصرا
فأقام من صرح العروبة ركنه ... مذ قام فيها منذرا ومبشرا

ثم يقول

مولاى يازين الملوك ومن غدت ... مصر به زين المواسم والقرى
علمت جاهلها وعلت فقيرها ... وسقتهمو يمنى يديك الكوثرا
بوركت من ملك وبورك عهدك الميمون ما أبهى سناه وأبهرا
انظر إلى السودان نظرة مشفق ... فلقد أمض زمانهم وتنكرا
وهو بعرشك لائذون ومالهم ... إلاك من بذر العسير ميسرا
فلذا تراهم كالعطاش تطلعوا ... بالدو يرتقبون مزنا ممطرا(١٣)

ثم يصرخ صرخته الموجعة فيشرح لملك النيل حال شعبه وما فعل به المستعمر البغيض من تفرقة الصفوف وسجن الأحرار وخنق الحريات وكم الأفواه فيقول :

ضربوا بأقفاص الحديد عليهم ... مثل الذى فعلوا بآساد الشرى
صبروا لها صبر الجبال رواسيا ... وسروا وما ملوا مغالبة السرى(١٤)
وسهرت أحـدوهم بذكرك دائما
وحدى وأشدو بلبلا أو مزهرا(١٥)
حتى لصفت لكل أذن منهمو ... قرطا وكنت قريده المتخيرا(١٦)

ونراه فى قصيدة أخرى يتشوق فيها إلى عهد الشباب الذى قضاه فى مصر وهو ناعم البال مستريح القلب فيقول :

هل إلى مصر رجعة وبنا شرخ شباب فضّ وزهرة عمر
وليال قد أشرقت فى رباها ... كلها فى الأقدار ليلات قدر

١١) طيبة هى المدينة المنورة وأم القرى مكة المكرمة
١٢) يشير الشاعر إلى المدارس الحربية المصرية فلقد التحق بها سنة ١٨٩٩ وقدم استقالته منها بعد سنتين

١٣) الدو : الأرض الفازة التى لا ماء بها ولا شجر
(١٤) السرى : السير ليلا
(١٥) يستبان من هنا أن ثقافة الشاعر الدينية هى التى جعلته يورد فى الشعر هذه اللفظة الفقهية وأعنى بها (دائما)
(١٦) من قصيدته « آمال السودان فى مليك الوادى » ص « ٢٢ » من الديوان

ومكان كأن كل نسيم ناشر فى أرجائه طيب نشر
يبهر العين منه مرأى أنيق من مروج قيد الابواخر خضر
وهناك النسيم يعبث بالما ء ، ويزرى والورق الماء تغرى
وهناك البهى من كل زهر وهناك الشجى من كل طير
بقعة شاكلت هوى كل نفس فصبا نحو حسنها كل فكر
رب هل تلك جنة الخلد أدخلنا إليها أم تلك جنة سحر
كنت فى ذلك الحمى ناعم البا ل خليا من كل قيد وأسر
فيك يا مصر لذتى وسرورى وسميرى وقت الشباب ووكرى

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن أكثر شعراء السودان لا يزالون متعلقين بمصر ، يبنون عليها آمالهم وآمال شعبهم وبلادهم غير ملتفتين إلى صيحات دعاة التفرقة والاستعمار . هاتفين بالوحدة والتمسك بأهداف أمهم الحنون . وعلى رأس هذه الطبقة من الشباب المرحوم شاعر الإيداع التيجانى يوسف بشير . فهو يقول فى قصيدته « ثقافة مصر » (١٧)

عادنى اليوم من حديثك يا «مصر» رؤى وطوفت بى ذكرى(١٨)
وهفا باسمك الفؤاد ولجت بسمات على الخواطر سكرى
من أتى صخرة الوجود فقرا ها وأجرى منها الذى كان أجرى
سلسبيلا عذب المشارع ثرا ، ورياحم الأراذى غمرا(١٩)
كلما مصر السود منها زاد فى مجده جلالا وكبرا
كلما طوق « الكنانة » علماً خولتها منه روافد تترى
هو من صافنا على حرم النيل وشطآنه دعاء وشكرا
فجر النيل يوم نشر فى الأرض ضحاها وصاغ للناس فجرا

قال :

كن فاستجاش يقذف دفا عاً ويجرى على الشواطئ خمرا

ويقول أيضاً فى قصيدته « رسل الشباب فى مصر »

وشباب من الكنانة حس ينثرون الحماس صاحا بصاع
صرخوا بالعرين صرخة ذى مجد مذال وذى مقر مضاع
فى سبيل الجهاد عن مصر بنوها بمنصل ويراع
وأرى مصر والشباب حليف مجد فرعون أو ضحيهى يفاع
مصر دين الشباب فى الحضر الرافه والبدو من قرى وبقاع
مصر أم الشعوب ماذا عراها واعترى الشرق من وجى وضياع
حبذا الموت فى سبيلك يامصر لنفرء عن الحمى دفاع

* * *

قل لمصر وحيها فى شباب صيغ من جرأة ومن إزماع
شاد أركانها وشد ذراها وابتنى صرح مجدها المتداعى
فى جهاد من العقيدة صدق ونضال عن الحمى وقراع
مصر يامهبط الحضارة والنور ويامبعث الهدى كل ساع(٢٠)

وهكذا نجد أكثر أرباب الفن والقلم فى السودان لا ينكرون فضل مصر عليهم بل يتجهون دائما وأبداً صوب زعيمة النهضة وأم البلاد العربية متخذين منها قبلة يوجهون إليها صلاتهم وتسابيحهم وأناشيدهم لأنها الملجأ الوحيد والأمل الذى يخلصهم مما هم فيه ، ولا غرو ففضل أعلام مصر وأدبائها وشعرائها يستوى فيه السودانى والسورى والعراقى واللبنانى وكافة العرب فى أقطارهم . .

والناحية الثانية الظاهرة فى شعر العباسى التى تظهر واضحة جلية فى شعره هى بكاؤه على شبابه الذاهب وتذكره أيامه الخالفة

٢ — ذكرى الشباب :

تطالعنا لوعة تذكره لأيام صباه فى كل قصيدة من قصائده ، فهو يبكى على ساعات لهوه وسنى مراحه وذكريات أفراحه ، والناظر فى ديوانه يلمس هذه الظاهرة بوضوح تام فلنستمع إليه وهو يقول :

فارقتها والشعر فى لون الدجى
واليوم عدت به صباحا مسفرا (٢١)
« سبعون » قصرت الخطى فتركننى
أمشى الهوينا ضالعا متعثرا (٢٢)
من بعد أن كنت الذى يطأ الثرى
زهواً ، ويستهوى الحسان تبختراً

(١٧) ديوان إشراقة «ص٨٦»
(١٨) رؤى : المنظر
(١٩) الأراذى جمع أذى وهو الموج
(٢٠) ساع : ساعة
(٢١) فارقتها أى « مصر »
(٢٢) ضالع : معوج

يامن وجدت بحبهم ما أشتهي ... هل من شباب لي يباع ويشترى
ولو انهم ملكوا لما بخلوا به ... ولأرجعوني والزمان القهقرى
لأظل أرفل في شباب فاتني ... زمن الشباب ، وفاته متحسرا

أو يقول : —

وفؤاد قلب قد سلا نشوة الصبا ... وقد كان في ريعانه جد جاهد
وهل أبقت الأيام شيئا أفده ... وقد أسلمتني للردى والشدائد
فيا بعد لذات الصبا غير نادم ... وعدت لشيب لم يكن خير وافد

أو يقول :

ليت الشباب عاد لي ... بعد المشيب والكبر
حتى أرى أين محط ... الرجل من كف القدر

أو قوله :

واليوم قصر بي عما أحاوله ... وعاقني عن لحاق الركب ما عاقا
وأنكر القلب لذات الصبا وسلا ... حتى الندمين : أقداحا وأحداقا

أحبو إلى الخمس والستين من عمري

حبواً وأحمل أقلاما وأوراقا

أو قوله :

ما أنس لا أنس إذ جاءت تعاتبني ... فتاة لحظ ذات الحاجب الدوني
يا بنت عشرين والأيام مقبلة ... ماذا تريدين من موءود خمسين ؟

أو قوله :

ولي شبابي وانطوت ... أيام غصني الندى
جادك نجاح الحيا ... من مبرق ومرعد
لأنت ريحان القلو ... ب عدت أو لم تعد

وهكذا فنحن كلما قلبنا صفحات الديوان لاتقع أعيننا إلا على ذكرى مؤلمة لشباب مضى .. فهو كلما مرت به مجلة الحياة سجل أعوامها في شعره وهذا يرجع سببه كما يقول « علماء النفس » إلى كبت عواطفه وعدم الانسياق في ظرف اللهو التي يزينها الشباب وعدم إطاعة نوازع الجسد في دور الصبا؛ وذلك لوجوده في بيئة جامدة محافظة ووجوده بين أحضان عائلة دينية متمسكة بتقاليدها ، لذلك نجد طابع الألم مرتسما على كل بيت يذكر فيه شبابه كما يفعل اليوم أكثر الرجال الذين يحرمون في شبابهم من متع الحياة لفقرهم أو لانصرافهم إلى العلم ولكنهم عندما تتاح لهم الفرصة ولو في كهولتهم تراهم يركضون وراء اللذات كأنهم منطلقون من السجون ، كما حدث للشاعر الرصافي فإنه بعد أن قضى شبابه وهو منطو على نفسه رأيناه في صدر رجولته يصب من كؤوس اللذة صبا ، دون ما وازع أو رادع

ولذلك فإن العباسي يحق ببكائه على أيام شبابه لأنه حرم من لذته وهو في كل ما قاله صادق العاطفة يحس فيه قارئه حرارة اللوعة وصدق الإيمان

إلى هنا نمسك عن الحديث لنترك المجال إلى غيرنا للكتابة عن هذا الشاعر لنعود مرة أخرى إلى تقديم نماذج جديدة من شعراء السودان الشباب في أعداد قادمة إن شاء الله

بغداد — عبد الغفور رشيد الناصري

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى

للرحلات الثانية من كتاب

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثاني أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

ديوان مجد الاسلام

للمرحوم الشاعر أحمد محرم

يقرضه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار (١)

هي الأواصر أدناها الدم الجاري ... فلا عمالة من حب وإيثار
الأسرة اجتمعت في الدار واحدة ... حييت من أسرة بوركت من دار
مشى بها من (رسول الله) خير أب ... يدعو البنين، فلبوا غير أغمار
تأكد العهد مما ضم ألفتهم ... واستحصد الحبل من شد وإمرار
كل له من سراة المسلمين أخ ... يحمي الذمار ويرعى حرمة الجار
يطوف منه بحق ليس يمنعه ... وليس يعطيه إن أعطى بمقدار
يجود بالدم، والآجال ذاهلة ... ويبذل المال في يسر وإعسار
هم الجماعة، إلا أنهم برزوا ... في صورة الفرد فانظر قدرة الباري

(١) كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة — وقيل وهو يبنى — وكان المراد فيها إزالة الوحشة، وشد الأزر في سبيل الدعوة الإسلامية، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوي الأرحام، فلما عز الاسلام وقويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله تعالى «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» وكان نزول هذه الآية الشريفة في وقعة بدر، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم من قبل»

وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر، وقيل غير هذا

عن زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول: أين فلان؟ أين فلان؟ فلم يزل يتقدمهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال: إني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه، وحدثوا به من بعدكم، إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا، ثم قرأ (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) قال: وإني أصطفي منكم من أحب أن أصطفيه وأواخي بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته، قم يا أبا بكر، فجثا بين يديه الصريفتين فقال: إن لك عندي يدا الله يجزيك بها، ولو كنت متخذا خليلا لا تخذتك، فأنت عندي بمنزلة قميصي من جسدي، وحرك قميصه بيده. ثم قال: اهدأ يا عمر، فدنا فقال: قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص، فدعوت الله أن يعز بك الدين، أو بأبي جهل، ففعل الله ذلك بك، وكنت أحبهما إلى الله، فأنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة

وآخى بين المهاجرين والأنصار، فجعلهم أخوين أخوين وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء، وقيل كانوا تسعين، وكانت المؤاخاة في دار أنس بن مالك، وهي دار أبي طلحة زوج أم أنس، واسمه زيد بن سهل

صاح النبي بهم كونوا سواسية (٢) ... يا عصبة الله من صحب وأنصار
هذا هو الدين لا ماهاج من فتن ... بين القبائل دين الجهل والعار
ردوا الحياة، فما أشهى مواردها ... دنيا صفت بعد أقذاء وأكدار
الجاهلية سم ناقع وأذى ... تشقى النفوس بداء منه ضرار
تأهبوا، إن دينا قام قائمه ... يومي إليكم بآمال وأوطار
أما ترون رياح الشرك عاصفة ... تطغى على أمم شتى وأقطار؟
إن أترك الناس فوضى في عقائدهم ... وإن أسالم منهم كل جبار
أكلما ملك الأقوام مالكهم ... رمى الضعاف بأنياب وأظفار؟
الشر غطى أديم الأرض، فارتكست (٣) ... أقطارهم بين آثام وأوزار
أخفى محاسنها الكبرى فكيف بكم ... إذا تكشف عن وجه لها عار؟
لا أزلزل ذوي الطغيان منزلة ... تستفرغ الكبر من هام وأبصار
ظنوا الضعاف عبيدا بئسما زعموا ... هل يخلق الله قوما غير أحرار؟
ما غرهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم ... بواحد غالب السلطان قهار؟
يرمي العروش إذا استعصت وبيعتها ... مبثوثة في جناحي عاصف ذار
بعثت بالحق، يهدي الجاهلين كما ... يهدي الحيارى شعاع الكوكب السارى
أدعو إلى الله بالآيات واضحة ... تهدي القوى، وتنهى كل كفار
فمن أبى، فدعائي كل ذي شطب (٤) ... ماضي الرسالة في الهامات بتار
الله أكبر هل في الحق معتبة ... لمستخف بعهد الله غدار؟
ألم يكن أخذ الميثاق من قدم ... فما القيام على كفر وإنكار؟
إن الأولى اتخذوا الأصنام آلهة ... على شفا جرف من أمرهم هار
يستكبرون على من لا شريك له ... ويسجدون على هون لأحجار
راحوا يجلونها من سوء ما اعتقدوا ... والله أولى بإجلال وإكبار
لكل قوم إله يؤمنون به ... ما يبتغي الله من إيمان فجار؟
النار أعظم سلطانا ومقدرة ... في رأي عبادها، أم خالق النار؟
سبحانه من إله شأنه جلل ... يهدي النفوس بآيات وآثار

(٢) سواء (٣) ارتكس الرجل والشيء انتكس
(٤) الطرائق في السيف

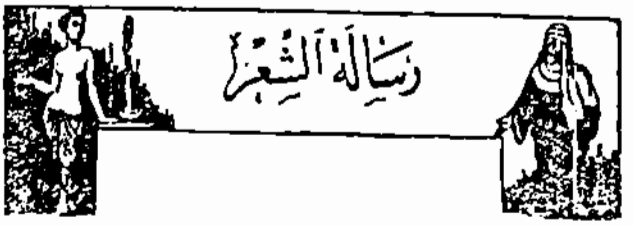

١ ـ إلى مجلس الدولة

للاستاذ محمد يوسف المحجوب

يامعقلا أنصف الأحزاب كلهم ... ولم يجد منصفا منهم إذا حكموا
الحق رائده ... والعدل ديدنه ... سيان مضطهد يشكو ومنتقم
ليت الأولى عنفوا لما نصرتهم ... تذكروا صنعهم بالأمس أو ندموا
بل ليتهم فكروا في يومهم لغد ... لكنها شهوات النفس تضطرم
خلف السياسة والأحزاب أفسدنا ... حتى القضاء.. له كادوا وما رحموا
لكنك الطود : لم تهتز إذ عصفت ... بك الرياح ..ولازلت بك القدم

* * *

يامؤئل الدولة اضرب للحمى مثلا ... عليا وبصر بنى قومى فقد وهموا
كم حاولوا أن ينالوا منك وا أسفا ... ماذا سيبقى إذا ما حصننا هدموا ؟
لعل فيما رأوه عبرة لهم ... لو أنصفوا قبلوا الجدران واستلموا
علمتنا أن روح العدل باقية ... وأن صرح الهدى هيهات ينهدم
وأن فيك قضاة كلما جلسوا ... للحكم عفوا فما جاروا ولا ظلموا
لوجه مصر وللتاريخ ما كتبوا ... وللعدالة والإصلاح ما رسموا
حصن البلاد : تحياتى وتهنئتى ... وما أهنئ أقواما لك احتكموا
لكن أهنئ فيك العدل مؤتلقا ... فالعدل أعظم ما تحيا به الأمم

٢ ـ حتى النساء..

حتى النساء وما قربن ... من النيابة — بعد — قربا
أو ذقن طعما لانتخا ... اب بات يشغفهن حبا
دب الخلاف بجوهن ... وقام معركة وحربا
أنظر لجمعياتهن ... وما حوت : طعنا وسبا
أوماترى « الحزب النسائى » ... قد غدا عشرين حزبا ؟
فصلت رئيستهن عضوات ... به إربا فإربا
وفصلن منه رئيسة ... فاضحك معى عجبا وعجبا
البعض يأكل بعضه ... قد صار جد الأمر لعبا..
يابرلمان : متى أراك ... بجوهن ملئت صخبا ؟
وأرى معاركهن فيك ... تطورت : لطما ونديا ؟
يا أطول النواب زندا ... من بنى جنسى وأربى
وأشدهم لسنا وأجرأهم ... — لدى الميدان — قلبا
يا صاحبى : قل لى إذا ... زاحمتكم جنبا لجنبا
وفدا التنافس بينهن ... وبينكم دفعا وجذبا
كيف المصير متى دخلن ... البرلمان ؟ وقيت ضربا
وحماك ربى يا زميل ... ولا أراك الدهر غلبا
من « شيشب » يتهال إن ... عارضت ثائرة وغضبى
ومن المخالب إذ ترى ... أظفورها بقفاك « طبا »
ومن الدموع الزائفا ... ت إذا انهزمن تفيض سكبا
ومن القرار بفصلكم ... تمضيه « زنوبه » « وبنبا »

محمد يوسف المحجوب

لأكشفن عن الأبصار إذ عميت ... ما أسبل الجهل من حجب وأستار
ما للسراجين(٥) بد من مصارعها ... إذا انتضت سطوات الضيغم الضارى
ضموا القوى إنها دنيا الجهاد بدت ... أشراطها وترا آى زندها الوارى
لابد من غارة للحق باسلة ... وجحفل من جنود الله جرار
خير الذخائر أبقاها وإن نجدوا ... كالمهد يرعاه أخيار لأخيار
لا تنقضوا العهد إن الله منزله ... على لسان رسول منه مختار
قالوا : عليك صلاة الله ، إن بنا ... ما يعلم الله من عزم وإصرار
آخيت بين رجال يصدقون إذا ... زلت قوى كل خداع وختار
جنود ربك ، إن قلت اعصفوا عصفوا ... يرمون فى الحرب إعصارا بإعصار
من كل منغمس فى النقع مرتجس(٦) ... وكل منبجس(٧) باليأس فوار

يتبع

إبراهيم عبد اللطيف نعيم

---

(٥) السراحين الذئاب
(٦) ارتجست السماء رعدت ، والسحاب صوت
(٧) البجس الماء ونحوه تفجر

وحدى مع الأيام

للشاعرة الآنسة فدوى طوقان

للأستاذ كامل السوافيرى

أعتقد أنى لست بحاجة إلى أن أقدم للقراء الشاعرة الآنسة فدوى طوقان صاحبة ديوان «وحدى مع الأيام» الذى أصدرته لجنة النشر للجامعيين ، وهى الكوكب اللامع فى سماء الشعر ، والنجم الساطع فى أفق الأدب، والبابل الصداح فى دوح المروبة الذى غنى فأشجى القلوب ، وهز النفوس

عرفت فدوى منذ فترة تزيد على عشرة أعوام بما قرأته لها من قصائدومقطعات على صفحات الرسالة الغراء، والأديب الزاهرة، وقد اختصتهما بطائفة كبيرة من إنتاجها الشعرى ، فهزنى شعرها ، وأطربنى غناؤها ، لا لأنه شعر نسائى ظهر فى فترة أفقر فيها الشعر الحديث منه . ولا لأن صاحبته آنسة تستحق المجاملة والتشجيع، ولكن لأنه صادر عن شعور صادق، وموهبة فطرية. وكنت أتيقن أن يوما قريبا آت تتبوأ فيه الشاعرة الناشئة مكانها فى موكب الشعر . وقد حققت الأيام ذلك وأصبحت فدوى طوقان شاعرة لا لفلسطين وحدها ؛ بل لدنيا العرب والمروبة

وليس ديوان الشاعرة إلا مجموعة من القصائد المتناثرة هنا وهناك تخيرتها الشاعرة مما نظمت وضمتها إلى بعضها ، لوجود وحدة نفسية بينها، فهناك شعر كثير لم يتضمنه الديوان ولعلها تنشره فى ديوان آخر

وأستميح صديق الكاتب المعروف، والناقد اللامع الأستاذ أنور المعداوى العذر إذ أنوه بإشرافه الفنى على إخراج الديوان . وأنا أعلم أنه لن يرضيه هذا التنويه. ولكنه يرضى الفن والأدب، وإلى المشرف يرجع الفضل فى الحلة الأنيقة التى ظهر بها الديوان

أهدت الشاعرة الفاضلة ديوانها إلى روح شقيقها الشاعر المرحوم إبراهيم طوقان الذى قصفت يد المنون غصنه الرطيب وهو ريان الصبا ، ربق الشباب، وكان للشاعرة الأخ والوالد والأستاذ، فأحدث موته فى قلبها فاجعة لم تستطع الأيام أن تسدل عليها ستار النسيان ، وشق فى فؤادها جراحا لم تندمل، وفجر فيها ينابيع الحزن والأسى، فصاغت من دموع العين ، ودماء القلب ، المراثى تزخر باللوعة ، وتفيض بالألم ، وهى فى حزنها عليه ورثائها له تلتقى بالشاعرة المخضرمة الخنساء فى بكائها على أخيها صخر ، ورثائها له ، ويبدو أن فجيعة فدوى بإبراهيم كانت فوق ما يحتمله قلبها ، فأحالت حياتها المطمئنة الوادعة إلى مأتم دائم ، ودموع لا تجف وزفرات لا تنقطع، وطبعت شعرها بطابع الأسى والحزن، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائدها من الحزن الدفين ، والحرقة اللاذعة

استمع إليها فى قصيدتها « حياة » ص ٣٩ من الديوان التى مطلعها

حياتى دموع
وقلب ولوع
وشوق ، وديوان شعر ، وعود

إذ تبكى أحباءها الراحلين إلى عالم الخلود ، وتصور اللوعة على فقدهم ، فتناجى روح المرحوم والدها ، ثم تتجه إلى شقيقها إبراهيم الذى كان لها نبع حياة وحب ، وضياء العين والقلب ، وإذا برياح الموت العاتية تطفئ شعلته وتصبح الشاعرة وحيدة فى ظلام الوجود ، حائرة فى قفار اليأس ، لا نور يهديها ولا أمل يناغيها

وفى ليل سهدى
يحرك وجدى
أخ كان نبع حياة وحب
وكان الضياء لعينى وقلبى
وهبت رياح الردى العاتيه
وأطفأت الشعلة الغاليه

وأصبحت وحدى
ولا نور يهدى
أجالج حيرى بهذا الوجود

ومن قصيدة « على القبر » ص ١١٥ تناجى قبره فتحس أن للقبر إشعاعا من النور ، وأنه أجل القبور لأن دنياها فيه ، وفى قلبها مأتم دائم

آه يا قبر.. له إشعاع نور
لا أرى أجل منه فى القبور
فيك دنياى وفى قلبى الكسير
مأتم ما انفك مذبات لديك
قائما يأخذ منه بالوتين

وهنا أقف لحظة لأسجل أن فدوى قد بلغت القمة فى هذا الفن ؛ أقصد فن الرثاء من ناحية الصدق الشعورى ؛ والصدق الفنى وأقصد به الصياغة اللفظية التى تتجلى واضحة فى شعر الشاعرة . مما يدل على تمكن من لغة عدنان ، وإحاطة بأسرار بيانها ، واستعمال مفرداتها . وللشاعرة فى رثاء أخيها شعر كثير لم يتضمنه الديوان

وتترك فدوى التى هدها الحزن . وأضناها الأسى على إبراهيم .. إلى فدوى الشاعرة الوطنية التى ترى بلادها المقدسة تخر صريعة أمام العدوان الاستعمارى الظالم — ولا أقول الاستعمار الصهيونى فنحن نعلم من يقف وراء الصهيونية — وتشاهد الكارثة المريعة تدمر بناء أمتها وتدك مجدها فتثور عاطفتها الوطنية ، وترسل صيحتها الشعرية تستصرخ أبطال المروءة وتستنهض هم العرب ليدفعوا عن فلسطين العدوان ويدرأوا عنها العدو ؛ فتقول من قصيدة « بعد الكارثة » ص ١٢٧

يا وطنى مالك يخنى على روحك معنى الموت معنى العدم
أمشك الجرح الذى خانه أسأته فى المأزق المحتدم
لا روح تستنهض من عزمهم لا نخوة تحفزهم ، لا هم

ولا يلبث الأمل أن يداعب قلب الشاعرة فتحس أن الغمرة ستنجلى ، وأن هذا الليل المظلم سيعقبه فجر مشرق ، وأن السحاب المركوم سيتبدد عن صفحة الجو ، فلا يزال فى الأمة العربية شباب أحرار من الذين يأبون الضيم ، ويحاربون الهون لن يقعدوا عن ثأرهم

ستنجلى الغمرة يا موطنى ويمسح الفجر غواشى الظلم
هو الشباب الحر ذخر الحمى اليقظ المستوفز المنتقم
ان يقعد الأحرار عن ثأرهم وفى دم الأحرار تغلى النقم

ولقد عاصرت فدوى مراحل جهاد العرب فى فلسطين ضد الاستعمار البريطانى والصهيونية الآثمة . وشهدت قوافل أبطال الحرية المتتابعة ، الذين قدموا أرواحهم رخيصة للدفاع عن أوطانهم منذ البطل المجاهد المرحوم عز الدين القسام . إلى الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦ . وشهدت جبل جرزيم وعيبال يموجان بالمجاهدين من أبطال جبل النار ، فكان كل ذلك من أكبر العوامل التى جعلت من فدوى شاعرة وطنية تؤجج فى النفوس عاطفة الدفاع عن الوطن . وتضرم فيها النخوة والحمية ، وتذكر المجاهدين العرب بصفحات البطولة اللامعة التى سطرها التاريخ لأجدادهم الثائرين

وتقع الكارثة عام ١٩٤٨ وتهوى البلاد إلى حضيض الاستعباد وتهيم جيوش اللاجئين من أبناء فلسطين على وجوههم ، يبحثون عن المأوى فلا يجدون إلا المغاور والكهوف والأودية والشعاب والخيام المهلهلة التى لا ترد الحر والقر فيتخطفهم الموت زمرا لا فرادى . ويوحى هذا المنظر المريع الشعر فى قلب فدوى فتنشد من قصيدة « مع لاجئة فى العيد » ص ١٢٩

أختاه هذا العيد رق سناه فى روح الوجود
وأشاع فى قلب الحياة بشاشة الفجر السعيد
وأراك مابين الخيام قبعت تمثالا شقيا
متهالكا يطوى وراء هموده ألما عتيا
يرنو إلى اللاشئ ... منسرحا مع الأفق البعيد

وأترك هذين الفنين الشعريين من الفنون التى حلقت فيهما الشاعرة إلى الحديث عن فدوى الإنسانة التى لا تقف رسالتها الفنية عند تصوير عواطفها ، وبث آلامها وأحزانها . شأن الشعراء الذين يتحدثون عن ذواتهم ولا يحسون بإحساس أمتهم ومشاكل مجتمعهم ، لأقرر أن فدوى فنانة وإنسانة تشاطر البائسين آلامهم ، وتدعو البشرية لتجفيف دموعهم . وتنادى بالعدالة الاجتماعية حتى لا يكون فى الناس جائع ولا محروم

نقول من قصيدة « مع سنابل القمح » ص ٢٦

كم بائس ، كم جائع كم فقير يكدح لايجنى سوى بؤسه
ومترف يلهو بدنيا الغجور قد حصر الحياة فى كأسه

* * *

لم تحبس السماء رزق الفقير لكنه فى الأرض ظلم البشر

بقى أن أقول بعد ذلك أن هناك ظاهرة واضحة تطالع النقاد فى شعر فدوى : وليست تلك الظاهرة سوى فراغ الحياة . أرسمها إن شئت الحرمان . الحرمان من العطف والحنان. الحرمان القاتل الذى جعل الحزن يرين على نفسها ، ويستحوذ على قلبها فيشعرها بأنها تحيا غريبة فى دنيا الناس . ولعل اسم ديوانها أكبر دليل على ذلك حيث أضنتها الحيرة ، واستبد بها القلق ، فرغبت عن الحياة وتمنت أن تنطلق روحها من الأرض إلى السماء . .

تقول فى قصيدة « أشواق حائرة » ص ٣٢

وهناك تومئ لى السماء وبى شوق إليها لاهف طارم
فأود لو أفنى وأدمج فى عمق السماء ونورها الباسم

وقد كررت الشاعرة هذا المعنى فى قصائد متعددة من الديوان وقد أوحى إليها هذا القلق بالتساؤل عن حقيقة الموت . والبعث والخلود

تقول من قصيدة « خريف ومساء » ص ١٢

عجبا ما قصة البعث وما لغز الخلود ؟
هل تعود الروح للجسم الملقى فى اللحود ؟

وأنتقل إلى شعر الطبيعة فى ديوان فدوى لأقرر أن الشاعرة قد تغنت بجمال الطبيعة فى البيئة المحيطة بها ، والشاعرة عاشت فى مدينة عريقة فى مدينة نابلس فى فلسطين حيث يحتضن جبلا جرزيم وعيبال المدينة ، وعلى سفح الجبلين تكثر الروح التى أوحت للشاعرة بقصيدة «مع المروج» ص ٩

هذى فتاتك يامروج فهل عرفت صدى خطاها
عادت إليك مع الربيع الحلو يامثوى صباها
درجت على السفح الخضير على المنابع والظلال

روحا تفتح للطبيعة للطلاقة والجمال

وقد حلقت الشاعرة فى أجواء بعيدة ، وتناولت فنون الشعر المختلفة ، وبرهنت على أن طاقتها الشعرية متعددة المنافذ تغذيها ثقافة واسعة ، واطلاع دائم

ولها فى الديوان قصائد من تجارب شعورية اجتازتها الشاعرة فكانت تعبيراً صادقا عما يختلج فى شعاب القلب ومسارب النفس ، وتبدو هذه التجارب فى القصائد الآتية

من الأعماق ، غب النوى ، إلى صورة

ولا ينحدر مستوى الشاعرة فى هذه التجارب عنه فى الرثاء والوطنيات . والتأملات والنزعات الفلسفية

وبعد فأظنني قد قدمت للقراء صورة عن ديوان الشاعرة الملهمة التى قرأوها . والتى قدمها شعرها إلى القراء خير تقديم

كامل الشنافيرى

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى

لشاعر فرنسا الخالد

* لامرتين *

ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

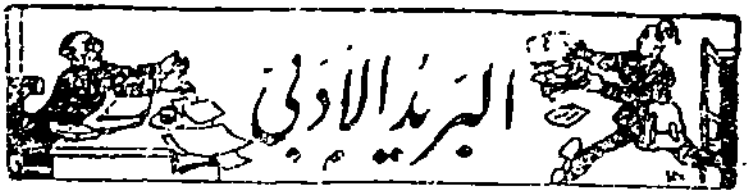

رسالة فى أدب البشرى

تلقيت عن طريق صحيفة « المصرى » الغراء كتابا من الأستاذ جمال الدين الرمادى يقول فيه إنه يعد رسالة جامعية عن المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى للحصول على إجازة «الماجستير» ويستفسرنى عما نشرته قبل سنوات فى « الرسالة » عن شعر الشيخ البشرى الذى كان ينشره فى صحيفة (الظاهر) التى كان يصدرها المرحوم محمد أبو شادى بك

وكنت أريد أن أجيب الكاتب الفاضل برسالة خاصة لولا أنى افتقدت كتابه خلال إقامتى فى المصيف برمل الإسكندرية ، ومن ثم اتهم على عنوانه الذى طلب إلى أن أكتب إليه بوساطته

والذى سمعته من شيخنا البشرى عام ١٩٣٤ أنه كان يقول الشعر وينشره فى بعض الصحف ومنها جريدة الظاهر ، على أن ما نشره فى تلك الصحيفة لم يكن يعدو — فيما يظهر — هجاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد — رحمه الله — أيام قضية الزوجية المشهورة عام ١٩٠٤ ولو رجع الكاتب الفاضل إلى مجموعة الظاهر فى تلك السنة لوجد عندها الخبر اليقين . فإذا غم عليه الأمر فإنى أنصحه بالرجوع إلى الكاتب اللغوى الأستاذ محمد شوقى أمين المحرر فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فهو حجة فى أدب البشرى إذ كان يملى عليه مقالاته فى أخريات أيامه

والذى أعرفه من طبيعة الشيخ البشرى أنه لم يكن يعنى بجمع ما ينشره فى الصحف الدائرة ، ولقد عهد — رحمه الله — إلى كاتب هذه السطور وبعض إخوانه فى جمع المقالات التى احتواها فيما بعد كتابه « المختار »

وبعد ، فأحب أن أشكر للأستاذ جمال الدين الرمادى حسن ظنه بصاحب هذا القلم الضعيف ، وأرجو أن يوفقه الله لنشر أدب البشرى قبل أن يعفى عليه الزمان

منصور جاب الله

تحية طيبة

قرأت بالعدد ٩٩٣ من الرسالة الغراء بحث موضوعه « جحا القاضى » للأستاذ عطا الله ترزى باشى جاء فيه ما يأتى : —

« ولئن كان جحا ضحكة بين الناس فإنه لم يكن ساغرا أو مهانا راضيا بالذل والضيم » وجاء الشرح بالحاشية لكلمة « ضحكة » هكذا : —

« هو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه »

ونحن نتساءل أيريد الأستاذ الكاتب كلمة ضحكة (بفتح الحاء المهملة أم بسكونها ؟) إن كان يريد الأولى فالشرح الذى أورده على هذا فى الحاشيه خاطئ لا يستقيم وكذلك الأمر إن أراد الثانية

تقول العرب ضحكة بضم ففتح لمن يضحك على الناس . وتقول ضحكة بضم فسكون لمن يضحك عليه الناس . ويكون الأستاذ على هذا قد أتى بشرح لا يخضع تحته أحد اللفظين

قال ابن السكيت فى الإصلاح والتبريزى فى تهذيبه « إعلم أن ما جاء على فعلة بضم الفاء وفتح العين من النعوت فهو على تأويل فاعل وما جاء منه على فعلة ساكن العين فهو فى معنى المفعول » وجاء بالمقامة الثالثة والعشرين «الشعرية» للحريرى :

وإنى لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام . فأفتضح بين الأنام . وتحبط مكانتى عند الإمام . وأصير ضحكة بين الخاص والعام ...) أى يضحك على

محمد محمد ابراهيم

على هامش الحياة — رسالة

« وبعد » فقد حدثتنى نفسى أن أخط إليك هذه الرسالة ، وقطعت بين الإحجام والإقدام شوطا بعيداً ، وكاد يقعد بى عنها أننى كتبت إليك مثلها يوما ، فاحققت فرضاء ولا أصبت هدفا ، وواجهتنى حين التقينا بالصمت ، فلم أدر مخبوء سرك ، ولم أتكشف وقعها على نفسك ، وظللت على خطئك فى الحياة ، لا تبالى نصيحة ، ولا تحفل بتسديد ، وكاد يقعد بى عنها ثانيا أن موضوع الحديث شائك ، وقد أكون فيه متهما ، وربما وصمتنى فيه بالحيف أو التحيز ، أو ما يحلو لك أن تسميه ، ويشهد الله أن باعثه هو الشعور الأخوى الذى يوحد بينى وبينك ، فرد هذه

الرسالة إلى وإن توجهت إليك . وما إخال واحداً منا يرضى أن يحايد أخاه ، أو يقنع منه باللقاء والافتراق ، والتبسط في الحديث ، والجهد في الابتسام ، وستر الخواطر ، ولست أملك نفسي إن سلط عليك لسان أجنبي ، أو نال منك نائل حقد ممن انقطعوا دون غايتك ، وانبهروا عن اللحوق بك ، لست أملك نفسي أن أثور لك ، فأفقد أصدقائي ، وأستهدف لملام الناس وتقريعهم ، وخير لي ولك وللناس جميعا ، أن تلقى إلى سمعك ، وتبذل من وقتك بمقدار ما تنظر في هذه الرسالة ، فلعله أن تلتقط من بينها ما يضيء لك السبيل ، فتمضي حيث يمضي الناس ، لا تخلد إلى الأرض ، أو تحيا في السماء ، وإنه ليطغى على شعور بأنك ربما أزريت بي وبقلمي وبسائر منهجي ، فقد جلست مني يوما مجلسا فيه طائفة من الاتهام ، وكثير من الحيف ، وخشيت على نفسي أن أكون كما جردتني من كل محمدة ، وألصقت بي كل مذمة ، وقمت خزيان من ترادفك واطرادك ، ولا أبرئ نفسي من المساقط والمزالق ؛ فما في الحياة من برئ من الذنب ، وخلص من العيب ، ولا حملت لك في نفسي غيظا ، أو ما يشبه الغيظ ، لأنك أخي ، وما يمكن أن يريد أخي إلى إحراجي ، أو إغاظتي أو النيل مني ، أو الزراية بي ، وأنت تفهم عني هذه الحقائق سافرة واضحة ، وربما كان هذا هو الذي دعاك إلى الثورة علي بالأمس ، كما أثور أنا عليك اليوم ، ولا أحب أن أتميز عليك في خليقة ، أو أفضلك في مكرمة .. هي مسائل من هامش الحياة ، ولكنها ترمي إلى الصميم ، وقد تعدها أنت تافهة ، ولكنها في اعتباري جسيمة ، وهي لا تخصني أنا ، فمن خلق التسامح والعفو والإغضاء ، ولكنها تمس أشخاصا يمتون إلي بسبب ، وهم يدققون في مسائل الحياة ، بمالا يستوجب العتاب ، لأن ذلك منهج البشر ، وما بد من الخضوع لهذا القانون ، وقد تجنيت عليهم ، وتخدعك نفسك أن رائدك الحق ، وما سواه الباطل ، وأنا وهم وسائر الناس لا نراه إلا تمنتا وشططا ، مبعثه الخيال ، ومرده إلى الجور والتحيف .. إنها مسائل مما أراه يدنو من فهمك ، ولا تقصر عنه يدك ، ولا يعوزك أن تفهم أن سوء الظن في أقوال الناس وأفعالهم يكاد يملك عليهم أسماعهم وأبصارهم ، ويأخذ عليهم مسالك التعقل ، فلا يدع للهدوء إلى أنفسهم طريقا ، فإن رأيت ألا تضع نفسك مواضع التهمة ، وأن تعلم أن هذا المجتمع البشري ، يقتضيك أن تفهمه ، وتعقل مواجهه ، ولا تشذ عنه برأي ، أو تنعزل بفكرة ، في غير ما استهانة بكرامتك ، أو امتهان لشخصيتك ، كنت قد حققت أملي فيك ، ورأيت أني رميت إلى غاية ، وأصبت في مسعاي ، وإن تركت الثغرة تفصل بينك وبين الناس ، ورغبت عن حديثي إليك ، وبرمت بدعوتي إياك أن تجانس الناس في اتجاهاتهم ، وتتلاقى وإياهم في أفكارهم ، فتجاملهم في غير نفاق ، وتقدرهم بلا تكلف ، وتأتي إليهم الذي يأتونه إليك ، فلن تجد مجتمعا راقيا مهذبا يعينك على سلوكك ، ويفسح صدره لآرائك ، وما شد من عزمي في تحرير هذه الرسالة إليك إلا أني أعلم فيك استعداداً فطريا ، وسماحة ، وخلقا ، لا يمنعك أن تفيد من التجارب ما دامت شريفة المقصد ، نبيلة الغاية ، فاسمع يا أخي ، ولا تضق بي ، أو تمط من فمك ، أو تغضن من جبينك ، فما أريد إلا الخير . واعلم أن أحدكم يوحي إلي ، أو يعمل على ، وإنما أنا وحدي الذي أرتأيت كما رأيت ؛ أنا وحدي حتى لا أكون سببا في متاعب ذهنية ، كلانا في غنى عنها ، لأني أحبك ، وأوثر لك على سواك ، فإن تلاق رأيانا كان ذلك لي نجاحا ، وإن رأيت أني أبعدت في الفهم ، وجرت في الرأي ، فأحب شيء إلى نفسي أن تبين ما يصدق اللهجة ، ونفاذ البصيرة ، وإخلاص الدفاع ، وكل ما أهدف إليه ألا أراك موضوعا لمقالة ، أو ظنينا بجور ، وهذا ما ينبغي أن أتحدث معك في أمره ، أما سائر شأنك ، فلا أدس أنفي فيه ، لأنه سلوك شخصي قد يكون لك فيه تأويل أو مساغ ، ولا أدعي لنفسي عقلا أكبر من عقلك ، على كبر في السن ، وكثرة في التجارب ، وهأنذا صمت .. فهل تجد هذه الرسالة منك أذنا ساغية ، وقلبا واعيا ، فتسوي أمرك ، وتدنو من أفهام الناس ، لتتقي أذاهم ، وتكتفي من ظنونهم ، وإلا فأين هو السلاح الذي أشهره في الدفاع عنك ، إن تطاير من أجلك حديث ، أو أثير حولك غبار ، وسلام عليك

محمد محمد البشري

إلى الأستاذ حبيب جاماتي

قرأت كتابكم الذي صدر أخيرا في سلسلة كتب للجميع

بعنوان « أغرب ما رأيت » فعنت لى بعض خواطر أسجلها فيما يلى : —

١ — حول تجارة الرقيق :

تمنى الأستاذ جاماتى أن يكون تقدم الزمن منذ عام ١٩٣٠ قد خدم العبيد ضد النخاسين ولا أدرى لماذا لم يتتبع الأستاذ الفاضل أخبار تجارة الرقيق بعد هذا التاريخ !!

وبالأمس القريب وفى سنة ١٩٥٠ أتهم الكاتب الأمريكى لورنس جرسولد اليمن بتجارة الرقيق

فقد كتب مقالا عنوانه « ما زلت تستطيع أن تشترى جارية » وقد نشر هذا المقال فى إحدى المجلات الأمريكية ثم نشرته مجلة (وورلد) فى عدد سبتمبر سنة ١٩٥٠ وقد نقلت مجلة الفصول الغراء المقال بأمانة تامة وقدمته إلى قرائها فى أقطار الشرق العربى . فانبرى لنقد المقال الأستاذ على بن على الأنسى اليمنى وذكر أن اليمن ليس بها أسواق للرقيق (١) . ومع احترامنا لرأيه بصدد اليمن .. وللحقيقة نقول إن كثيرا من المعلومات التى وصلت إلينا تدل على أن تجارة الرقيق لم يقض عليها القضاء الأخير . ولا يسعنا إلا أن نردد المثل العربى « وعند جهينة الخبر اليقين » ولعل تقدم الزمن كفيل بالقضاء على تلك التجارة الشائنة تماما فى المستقبل القريب

٢ — حول معجزات الهند :

سألنى صديق عزيز وهو بين مصدق ومكذب عن معجزات الهند ولا سيما معجزة الحبل الهندى فقلت له : إن معجزة الحبل رآها ابن بطوطة الرحالة العربى القديم فى القرن الرابع عشر الميلادى وعاينها بنفسه بل وذكر خبرها فى كتابه عن رحلته المعروفة بتحفة النظار فى عجائب الأمصار وغرائب الأسفار

وبعد أفلا كان من الواجب أن يشير الأستاذ جاماتى ولو بكلمة واحدة إلى ابن بطوطة وما شاهده وهو فى صدد الحديث عن الموضوع نفسه

٣ — زرافة الباشا أولا :

إن من يقرأ ما كتبه الأستاذ حبيب جاماتى عن المسلة المصرية التى نقلت من الأقصر وتقوم الآن فى ميدان الكونكورد بباريس قد يظن أن العلاقات لم تتوطد بين محمد على باشا عاهل مصر الكبير وبين فرنسا إلا فى سنة ١٨٣٠ وهو التاريخ الذى أهدى فيه محمد على الكبير مسلة الأقصر إلى عاهل فرنسا لويس فليب . وللحقيقة والتاريخ أقول إن العاهل الكبير تبادل الهدايا مع ملوك فرنسا قبل سنة ١٨٣٠ وأهم هذه الهدايا التى أرسلت إلى فرنسا وكان لها صداها زرافة كانت مناط إعجاب الفرنسيين وعرفت بزرافة الباشا

فوالى عام ١٨٢٥ بسط مصر سلطانها على الجزء الجنوبى من الوادى وخضعت لها كردفان وأمر والى هذا الإقليم — من قبل عاهل مصر — وهو إذ ذاك مختار باشا الفرسان السودانيين بصيد الزراف وقد استطاع مختار باشا أن يرسل إلى محمد على الكبير وكان بالإسكندرية فى ذلك الحين زرافتين صغيرتين على قيد الحياة

وقد استطاع دروفيتى قنصل فرنسا فى مصر بوسائله الخاصة أن يحصل على إحدى هاتين الزرافتين كهدية لفرنسا من عاهل مصر لتكون تحت تصرف علماء متحف التاريخ الطبيعى بباريس . وقد وصلت هذه الزرافة إلى فرنسا سنة ١٨٢٧ وكانت مناط إعجاب الفرنسيين بل وتركت أثرا كبيرا فى الأدب الفرنسى فى ذلك الوقت ...

هذا وقد استفاض مسيو جبريل داردو (مدير وكالة الأنباء الفرنسية بالقاهرة الآن) فى الكلام عن رحلة زرافة الباشا وعن أثرها فى الأدب الفرنسى ودعم بحثه القيم بالوثائق والأسانيد، ويقع هذا البحث فى اثنتين وسبعين صفحة من القطع الكبير، وقد نشر هذا البحث فى عدد يناير سنة ١٩٥١ من مجلة

Revue des Conferences francaises en orient

وهى المجلة التى أخذت على عاتقها ذكر وبيان شتى العلاقات التى تربط بين فرنسا والشرق وبخاصة بين فرنسا ومصر

ومن الأشياء التى أهديت إلى فرنسا كذلك عقب هذه الزرافة المعروفة بزرافة الباشا الزرياف أو دائرة البروج التى كانت بمعبد دندره .. وأخيرا تأتى مسلة الأقصر التى أهديت سنة ١٨٣٠

شفيق أحمد عبد القادر

(١) أنظر مجلة الفصول عدد نوفمبر سنة ١٩٥٠

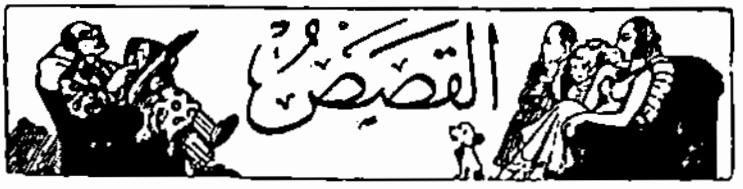

عودة الروح

للكاتب الفرنسي تيودور دي بانفيل

استكملت السيدة هورتنس دافراي في ١٨٨٢ ربيعها العشرين ، وليس في قولي « السيدة » تجانفا مني ولا مينا . فقد كانت هورتنس زوجة ، بل أرملة بائسة لا ولد لها يسهر عليها ولا قريب يؤويها إلا جدتها « مدام دي بريل » .. استقدمتها تلك الجدة لتشاطرها العيش في مسكنها بشارع ليل . وكانت هورتنس تنشق — بقرب جدتها — آخر نسمات العيشة العائلية الهادئة تهب عليها في ونى وهدوء . قد مضى الآن حولان كاملان على وفاة جدتها الطيبة التي ماتت حزينة قلقة على مصير حفيدتها إذ تتركها وحيدة في غياهب الفقر وأمواج الحياة . إنها عمرت ثمانين عاماً رأت فيها من تحب يتزوجون ، ومن تعرف يرحلون ، ولم يبق منهم أحد تعهد إليه بحفيدتها البائسة

ولما أحست مدام دي بريل بأجلها يقترب ، رتبت أمرها في شهرها الأخير ، كي لا تقلق بال حفيدتها . ولقد غالت الجدة في ذلك ، فكانت ترمي أوراقا كثيرة في النار وتحفظ الأخرى . وكانت الجدة تحتفظ — طوال مرضها — بصندوق صغير في دولابها الكبير . وكانت تضع مفتاحه في خيط من الحرير تحت الوسادة الحائلة . وكثيرا ما كانت الجدة تمسك الصندوق ساعات طوالا ، كأنما تريد أن تنتهي من أمره إلى حل ، وتتخذ حيال ما فيه قراراً . ودهمتها سكرة الموت قبل أن تقرر مصيره أو تتخلص منه

واستشعرت السيدة دافراي قلقاً يساورها عندما عثرت يداها الباحثتان على الصندوق الصغير

وقررت أول الأمر أن تحرقه — أمانة منها وإخلاصا — دون أن تعرف ما فيه من أسرار . ولكنها لم تفعل ذلك خشية أن تضيع — بحرقه — أداء واجب عليها أداؤه ، أو وصية لابد منها . وهكذا فتحت الصندوق وألفته مليئا برسائل جمة ، لا تحمل العنوان على الأغلفة كما هي الطريقة الحديثة ، ولكن تحمله على شرائح من ورق رفيع . وقد علمت — بعد أن بصرت بأول خطاب — أنها ليست رسائل جدتها مدام دي بريل ، ولكنها رسائل أم جدتها — السيدة إيودكسي تيرين . وقد رأت هورتنس تلك الجدة العتيدة . فإنها لم تمت إلا أخيراً في سنة ١٨٨٢ . ولها من العمر خمسة وثمانون عاماً

على أنها تستطيع أن ترى خيالها كل حين إن أرادت ، فأسرتها تحتفظ لها بصورة رسمها البارون جروس ، في ميعة شبابها ووفرة صباها . وقد كان عن طريق غريزة ركبت فينا ، نشعر بها ولا نستطيع أن نكيفها ، أن رأت هورتنس دافراي بينها وبين صورة الجدة — التي صورت من ثلاثة وخمسين عاماً خلون — شبها قوياً . بل لتكاد — إذ تنظر إليها — ترى وجهها في مرآة صافية !

ذلك بأن الطبيعة يحلو لها في فترات مختلفة وفي أسرات خاصة ، أن تعيد خلق وجوه درست وتوت بالتراب من أمد بعيد .. تعيد خلقها كما كانت ، كأنها مثال يأخذ عدة أشكال من قالب واحد . ولكن المرء يسائل نفسه في تلك الأحوال : إلى أي حد يبلغ الشبه ؟ أيقتصر على الوجه والخلقة ؟ أم يسيطر على الأفكار والمشاعر ؟ أم ينفذ إلى سواد الفؤاد ؟ ! تلك مشكلة من مشاكل العلم الحديث يرمينا بها فتفتح أمامنا آفاقا واسعة غير ذات بر ولا حدود

وقبل أن تقرأ السيدة دافراي أولى الرسائل لمحت سكة كبيرة تتدحرج في الصندوق بجوار جداره الرقيق . فالتقطتها ، وتفقدتها ، فإذا بها رسم ملازم شاب ، من ضباط الدولة الأولى ، ذي شعر وحف جعد ، وعينين يلمع فيهما بريق الشهامة ويأس الشباب . وجبهة قسمتها ندبة جرح طولي إلى قسمين عريضين . ينبسط أكبرهما من حاجبه الأيمن إلى منبت الشعر بوسط المحيا . وجبهته عامة جبهة شجاع جسور . وأدمنت هورتنس النظر في الصورة ، فجذبها بريق العينين ، وفتنها سحر الجمال ، وأخضعها بأس الهوى ! فاستشعرت في قلبها آلافا من المشاعر المتضاربة

المركبة ، آلافا من خوف وأخرى من سرور ، إنها تحب ! ولكن ويلها من تحب ! ؟ فتى مرت على وفائه حقب وأعوام ، وتوالت على قدره أحداث ورجام ! فتى دالت دولتـه ، وراحت صولته ، وقدر لها ألا تراه على الأرض حيا ! ... ولكن كثيرا ما لعبت الجذوة التي تلهبنا بالحقائق والأفكار ! وكثيرا ما كانت الحقيقة شيئاً مستحيلا ، فليس ضرورة أن يكون الشئ ممكناً حتى نقول بأنه حقيقة

وإنه لمن الضلال البعيد أن نقول بأن هورتنس قد فجأها الحب ، ولكنها كانت تشعر في قلبها بحب قديم ، له آلامه وآماله ، ولسبب ما خمد وانطفأ بل نزع من القلب والذهن انتزاعاً. ولكنه استعر فجأة ، وقفز إلى ذهنها وقلبها معاً يعذب هذا بالذكريات ، ويكوى ذاك بالشوق والألم

وتفقدت الرسائل فإذا بإمضاء واحد يذيلها جميعا . وقرأتها في شغف وجنون . ثم كانت لا تنى عن القراءة والإعادة كأنها محمومة . ولم يكن عسيراً أن يجمع المرء خيوط القصة التي أنجبت تلك الرسائل

تزوجت جدتها السيدة إيودكسى تيرين من أحد متعهدى الجيوش . وكان كهلا أنانيا ، أفسدته الخلاعة ، وأضواه المجون . وقد مكنتها مهنة زوجها من الاتصال بضباط الجيش . فهام بحبها ملازم شاب من جند نابليون ، يدعى بول فراند وجرفها تيار هواه . فلم تستطع أن تقاوم أو تتشبث . فسايرت التيار في هوادة وإخلاص . فكان جميلا أن ترى عاشقين شفهما الهوى وبرح بهما الغرام يتعاطيان كؤوس الوصل مترعة هنية ، وينهلان من منبع الحب الخالص ، فيحلمان بسعادة خالدة ، ونعيم مقيم . غير أنهما — طوال الوقت — يشعران بأجنحة الموت السوداء تصفق فوقهما كأجنحة الخفاش الأعمش ، وبإنسان يمسوح الردى الطخياء تهددها بالبعد والحداد

وسرعان ما تبددت الأحلام ، وحلت المخاوف ! لقد فرق الدهر المشتت بينهما أيام « أوسترلتز » وإيينا وإيلو ، أيام فريدلند ووجرام ... وكانا قليلا ما يلتقيان — في تلك الأعوام العصيبة — لحظات معدودات . ولكن فراندير كان يختلس ما بين واقعتين أو ما بين نصرين فيسيطر لها — وهو أشعث أغبر — آيات الحب والهيام . ويبثها وقدة الشوق وجذوة الهوى . يسطر لها رسالات مترعة أسى وعذاباً ، تقرأها الآن حفيدتها الصغرى بين دمع واكف وقلب خافق ، بين صدر يعلو ويهبط كالموج ، وأنفاس حرى تذهب وتجئ . كان من أجل إيودكسى — كما كان من أجل نابليون — أن خاض فراندير المعارك الدامية ، وشرق في البلاد وغرب ، وقاسى كثيراً واصطبر . كان يريد أن ينصر العاهل حتى النفس الأخير ، وأن يكسب لإيودكسى عرشاً فخيما

ومات في تلك الأثناء زوجها . وحن فراندير الأمل ، وحن إليها ففكر في الرجوع إلى الوطن . وبينما الأمل ينمو ويوطد الجذور ، والشوق يستعر والقلب خفاق ، إذا به يقع في الميدان يتشحط في دمه المغرم ، وإذا برصاصة تخترق صدره العاشق وتسكت قلبه الخافق . فثوى في حزون سمولنسك الباردة وحيداً ، لا قلب يخفق له ، ولا دمع يترقرق في المحاجر أسى عليه . ونمى فراندير زميل ائتمنه على سر قلبه وذات صدره . وكان خطاب الزميل مع الرسائل الأخرى في الصندوق الصغير

ما في هذا الأمر من شئ غريب . ولكن الغريب حقا أن يتراءى لهورتنس دافراى أن التوسلات والذكريات التي حفلت بها الرسائل ، وأن الجوى والهيام كل ذلك لها هي من دون جدتها إيودكسى تيرين . واندفعت روحها الظامئة تاشدة ذلك الحب ، تاركة وراءها الحقيقة ونواميسها ، وحلقت بالغرام في الخيال غافلة عن الواقع ونظمه ، وتمادت في ذلك فاستباحت لنفسها أن تخلق المعدوم وأن توجد المستحيل ! ولم تكتف بذلك بل وهبت نفسها لفراندير هذا دون أن تفكر لحظة أنه مات منذ أمد بعيد ، في تيه المجد وضجة النصر المبين . واعتقدت أنه يوماً موافيها ، وأنها ملاقيته بعد أمد قريب أو بعيد ، وأنها مسلمة عليه ومصغية لحديثه الحنون ، ولم يخامرها في يقينها هذا شك ، ولا وجدت على عقيدتها غباراً ... رأت فأحبت فأغرمت فتعذبت ثم راحت تنتظر الحبيب بثقة واطمئنان !

لو رأى النائم المعجزات في حلمه لما استغرب ، لأن النفس تكون متطلقة من الواقع ونظمه ، والحقيقة وأشراطها . وكذلك لم تستغرب هورتنس دافراى — حينما كانت تزور مدام دى

سيمور — أن تعلن الخادم قدوم السيد بول فراندير !

وأنه يدخل ، هو بعينه الذى أحبت وتحب : بول فراندير ! بول فراندير بشعره الوحف المجعد ، وعينيه السوداوين ، ثم بندبة الجرح فى جبهته العريضة ... لم يكن هناك فرق سوى أنه يرتدى زى ملازم من مدفعية الفوج الإفريق الأول ... كلا ! لم تعجب مدام دفيراى إذ تراه ، فقد كانت تنتظره بصبر واطمئنان . على أن قلبها غاص فى حنايا صدرها البض ، وراح يحطم ضلوعها بخفقه الشديد ، وودت إن لم تكن بين ذلك الجمع من الرجال المتأنقين وتلك الثلة من النساء ذوات الأساور والحلى ، فتقفز كالغزال إليه ، ثم تغيب فى أحناء صدره الرحيب قائلة « هأنا ذى » !

وانحنى فراندير لعمته مدام دى سيمور . ثم رى هورتنس فجأة ، فبهت ، لا عرف لديه ولا نكر ، وغاض لونه واصفر وجهه ، واستطاع بعد لأى أن يعتمد على الحائط وأن يجر قدمه الواهنة إلى مخدع كان لحسن الحظ خاليا ، فتخاذل وارتمى على بساطه الثمين . ودهشت مدام سيمور من سلوكه الناشز عن العرف والتقليد ، فتعقبته إلى حيث تداعى يئن أنيناً . ودخلت المخدع ساعة رانت عليه صفرة الموت وغاب عن الوجود

واستدعت عمـــته طبيباً مشهوراً من أضيافها . ولكنها أحست — بغريزة المرأة — أن هناك سرا لا يحسن أن تفض غلفه لأحد غريب . فجثت على العليل تدلك رأسه وصدغيه ، وتنشقه بعضاً من ملح قوى مفيق . ثم رفعت رأسه براحتيها واضعة تحتها وسادة من حرير غال

ولما أن أفاق وثاب إليه الوعى ، دس يده فى جيب صداره وأخرجها تحمل رسماً على ورق قديم ، حمله قبلات والهة ، فأراه عمته ، ثم صاح فى فرح المجنون وطرفه غريق فى الدمع الهتون : « أى بلانش ! بلانش ! إنها تحيا ! » فأجابته عمته : بلانش ! بالطبع ! إن هورتنس دافراى تحيا ، وهى فوق ذلك صديقتى . ولكن قل لى لم تدخل فى زى الدولة الأولى ؟ على أنك لم ترها مرة واحدة ! فما معنى تلك النوبة التى انتابتك من لحظة ؟ فقال فراندير :

— إنى لم أرها إلا الآن ولكن روحى هامت بها من زمن بعيد ، وأوسعتها حبا وعشقاً . وقد استقر حبها بين جوانحى وفؤادى ، وسرى بين لحمى وعظمى . لم يفارقنى ذلك الرسم منذ خلص إلى وتناهى من ثلاثة أعوام خلون . واصطحبنى فى الفتح والحروب ، فى النفق والخنادق ، فكان رسول السلام إلى قلبى المولع الجازع إذا ما اشتد النزال وحمى الوطيس ، وكان بشير الحصانة إذا ما رنق على الرؤوس الموت ليختار على أى يقع . كان فيض الأمل ونبع الحياة ، كان كل هذا برغم ما كنت أعلم عن موت صاحبته . ولكنى لا أملك من أمرى شيئاً . وكنت أعلل نفسى أنى ملاقيها فى جنان الرحمن حيث لا تعجز اللقيا ... ولم يكن خيالى يستبيح لنفسه — وهو الشرود الجموح — أن يتصورها حية فى عصرنا هذا . فهو إن صورها يصورها ناعمة بجلال بين الورود والزهور فى جدثها العاطر . فيطير لبى شعاعا ، وتنسرق نفسى هياما وحبا !

— هذا حسن ! ولكنك لم تحدث لى من أمر الصورة ذكراً . كيف تناهت إليك ؟

— ذاك أمر بسيط ! فقد كان لدى أبى — فى مكتبه — مكتب مهجور . طلبته منه كى أستذكر عليه فأعطانيه ولم يعمل . وقال لى إنه من مخلفات — سمى — عمه الأكبر بول فراندير ، كان ملازما فى جيش الدولة الأولى . ومات فى سمولنسك فى السابع عشر من أغسطس سنة ١٨١٢ . وكانت مفاتيح المكتب ضائعة فاضطررت إلى كسر أغلاقه ، وفى أحد أدراجه الخفية عثرت يداى المجدودتان بتلك الصورة المقدسة ، ولقد عشقتها من ذلك الحين

— حقا إن فى ذلك الحادث جانباً كبيراً من الغموض والإبهام ، وعلى أية حال فأنت شاب طليق وهى فتاة حرة . فلا مانع يفصلكما من الحب ويحرمكما الزواج

ولكن الأمانى كانت سراباً . فقد ادكر كل من بول وهورتنس صاحبه ، فتذاكرا العهود وجددا الغرام ، فنعما بجنة الحب لأمد قصير . ولكن بول ذهب فى فوجه إلى «تونكين» وهناك مات — كجده — برصاصة شقت الصدر وباتت فى الفؤاد ، أى بؤس وعذاب !

م . م